دراسات قرآنية

د. عماد الدين خليل

دراسات قرآنية

د. عماد الدين خليل

إلى كل الذين تسلموا الرسالة الإلهية التي بعث بها الله (جل في علاه) ... إليهم ... فوضعوها في عقولهم وقلوبهم ووجدانهم ... ومضوا في الطريق ... لكي يعيدوا على ضوئها بناء العالم !!

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلتي مع كتاب الله

تبدأ رحلتي مع كتاب الله " بالسماع " حيث حباني الله (سبحانه وتعالى) ، منذ طفولتي بأذن مرهفة تعرف كيف تلتقط الأصوات العذبة ، وتتفاعل معها ، وتنفعل بها ... كان أبي – رحمه الله – هو نقطة البداية – إذا صح التعبير – بصوته الهادئ العذب ، وهو يرتل ما يحفظه من كتاب الله صبيحة كل يوم ، قبل أن نستيقظ لتناول الفطور ... كان صوته يصعّد في الأعالي ، يجتاز فناء الدار باتجاه السطح حيث كنا ننام في ليالي الصيف ، فكنا نصغي إليه بنشوة بالغة ، وهو يتلو سورة ياسين ، أو الكهف ، أو غيرهما من كتاب الله ...

تنطبع نبرته ، جرسه ، نغماته ، مقاماته ، في أعمق حلقة من حواسنا البكر التي كانت تتعامل مع الخبرات كما لو كانت اكتشافاً يومياً ، فتزداد رهافة وحساسية وإعجاباً بكلمات الله ...

منذ فترة مبكرة كانت تدهشني قصار السور في أجزاء عم وتبارك والذاريات ، وسور الكهف ومريم وطه ، وياسين والصافات وص والزمر وغافر وفصلت وق ... في ايقاعها ، وجرسها ، وتنوع فاصلاتها ، في سرعتها ... في ويلها وثبورها الذي تصبّه على رؤوس الكافرين ... وفي بشرياتها العذبة للمؤمنين ... في عروضها المؤثرة لمشاهد القيامة من جنة أو نار ... لكنني – بمرور الوقت – لم أقف عند هذا الحدّ ، بل امتدت دهشتي إلى سور القرآن كافة بما تنطوي عليه من إعجاز بياني ، وعلمي ، وموضوعي وتشريعي ... وبما تقدّمه لقرّائها من منظومة معرفية مدهشة في عمقها وإحاطتها وشمولها ...

حتى أني قررت – مع نفسي – يوماً أن أبدأ بحفظ كتاب الله ، وبدأت بطبيعة الحال ، بحفظ جزئيه الأخيرين تبارك وعم ... ثم ثنّيت بحفظ السور الثلاث : الكهف ومريم وطه ... ثم جئت إلى بدايته فحفظت مائة وخمسين آية من سورة البقرة ... وكنت أوظف أوقات فراغي لتأكيد ما حفظته ، وتجاوز نسيان ما قد يتعرض للنسيان من آياته ومقاطه.

وأذكر أني عندما كنت أمارس الرقابة على امتحانات طلبة كلية الآداب التي كنت أدّرس فيها ، كنت أذرع القاعة الامتحانية وعيني على الطلبة ، وذاكرتي تسترجع ما حفظته من سور القرآن ... ولكن ، للأسف الشديد ، سرعان ما وجدتني ، وسط مشاغل القراءة والتأليف ، اتباطأ عن الاستمرار في الحفظ ، بل الاحتفاظ بهذا الذي حفظته من قبل ، وأساله تعالى ألا يحاسبني على تقصيري هذا الذي سبق لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أن حذّر منه في حديث شريف ... وأن يعوّضني عن ذلك بما أنجزته من دراسات قرآنية على مدى خمسين عاماً أو تزيد.

ثمة مسألة أخرى لابدّ من الاعتراف بها وأنا أتحدث عن رحلتي مع كتاب الله ... تلك هي كراهيتي الشديدة ، أيام طفولتي لحضور الكتاتيب (أو ما نسميه في العراق الملاّ) حيث كان آباؤنا يرغموننا على الانتساب لكتاب المحلة التي نقطن فيها ، أيام العطل الصيفية ، تخلصاً من

عبثنا الصبياني ، لكي نقضي هناك ساعات الصباح الطويلة ونحن نجلس بملل وتثاؤب أمام الملاّ ، وهو يقرئنا القرآن وفق الطرائق التقليدية الجافة الميتة والمنفرة ، بحيث انني كنت انتهز فرصة انشغاله مع هذا التلميذ أو ذاك ، لكي ما ألبث أن أتسلل خفية عائداً إلى البيت ، فإذا به يكتشف غيابي فيبعث اثنين من زبانيته يجيئون فيحملوني على اكتافهما ويعودون بي إلى الملاّ لتلقي العقاب والتوبيخ ...

استمرت هذه الحالة من الاكتئاب اليومي لدى التوجه إلى الملاّ ... ومحاولات الهروب المتواصلة والإعادة إليه مرة أخرى ، أكثر من سنتين ... بحيث انني كنت ، عندما تفتح المدارس أبوابها ، مع إطلالة كل خريف ، أحسّ بفرح غامر يتملكني ... حيث كنا في المدرسة نتلقى دروس الدين بصيغة أكثر تشويقاً بكثير من الصيغ الميتة في الملاّ.

ولحسن حظي ، فان ردّ فعلي من الملاّ ، لم يدفعني مطلقاً – كما دفع طه حسين من قبل – إلى كراهية كل تقاليد التعليم الديني والقرآني بشكل خاص ... بل وجدتني على العكس ، اندفع – ذاتياً – لاختيار الطرائق الأكثر حيوية وتشويقاً في تعاملي مع النصّ القرآني ، وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه ورحمةً منه جلّ في علاه ...

في عصاري رمضان ، الذي عايشناه في طفولتنا لأوّل مرة في فصل الصيف (في الأعوام ١٩٤٦–١٩٥٠م) كانت أصوات المذياع في البيوت والمقاهي ترفع تلاوات عمالقة الترتيل في القاهرة وبغداد : الشيخ محمد رفعت ، أبو العينين الشعيشع ، عبد الفتاح الشعشاعي ، طه الفشني، عبد العظيم زاهر ... الحافظ مهدي ... الحافظ خليل ...

ومنذ فترة مبكرة تعلّق سمعي ، ووجداني بتلاوة الشيخ محمد رفعت وأبي العينين ... كانت تفعلان في جملتنا العصبية فعل السحر ... فكنا نلتصق بالمذياع كي لا تفوتنا آية أو كلمة يصدح به محمد رفعت أو أبو العينين ...

فيما بعد عندما أتيح لي أن اشتري جهاز تسجيل (كروندبنك) رحت انقل على أشرطتي الخاصة كل ما اسمعه من تراتيل محمد رفعت التي كانت تبثها إذاعة القاهرة في أماسي الاثنين من كل أسبوع ... فكنت لا أمل سماع الشيخ وهو يرتل ما تيسّر من القرآن ... ولكن آه من العلم ، ومن التقدم العلمي ، الذي يلغي اليوم ما اعتمده بالأمس وسيلغي غداً ما يعتمده اليوم ... إذ سرعان ما أصبحت (الأشرطة) (دقّة قديمة) ، وغابت معها أجهزة التسجيل ... وما لبثت أن قرأت الفاتحة على المجموعة القيمة من تلاوة الشيخ !!

عندما بدأت أمارس الكتابة أنجزت مقالاً عن الشيخ بعنوان (محمد رفعت : الصوت والوهج) ضمنته مؤلفي البكر (كتابات إسلامية) جاء فيه : " في تاريخ الترتيب المعاصر يبرز (محمد

رفعت) علماً شامخاً ، وطاقة صوتية فذة ، وضوءً شفافاً يدعو إلى الإعجاب ... من منا لم يسمع (محمد رفعت) ولو مرة واحدة في حياته ؟!

ما الذي يشد الإنسان إلى الرجل الأعمى وهو يقرأ مقاطع من سورة مريم أو طه أو يوسف أو الإنسان أو الفتح أو الرحمن أو الكهف أو آل عمران أو غيرها من قصار السور ؟ ما الذي يجعلنا نعلّق أرواحنا وإحساسنا به ، وننسى ، ونحن نندمج بكلمات الله مرتلة على لسان الشيخ ، متاعبنا ومشاغلنا وآلامنا ؟! ما الذي حمّل هذا الصوت العجيب مقدرة على أن يتجاوز بنا النسبي المحدود إلى الخالد المطلق ، والمأساة والحزن إلى الفرح الروحي الغامر ، والتقطع والزوال ، إلى الامتداد والاستمرار ؟ ما الذي يجعلنا نحسّ ، وهو يصعّد صوته في الأمسيات ، أن الموت ليس مخيفاً إلى هذا الحدّ ، وأن الحياة الدنيا ليست مغرية آسرة إلى هذه الدرجة ، وأن المتاعب والمصائب ليست شيئاً نهائياً ساحقاً وجداراً أصماً يستسلم تحت وطأتهما الإنسان ؟ ما الذي يجعل الدموع تتساقط من أعيننا ، وهو يرتل ، ونتحرق شوقاً ونذوب ؟!

ليس صوته الصافي الفذ الحنون هو وحده السبب وراء هذا كله ، وليست المقامات والأنغام ، المتنوعة الغنية الخصبة ، هي وحدها السبب ، وليست المقدرة (التعبيرية) عن الصورة القرآنية هي وحدها السبب كذلك ، انها هذا كله ، مضاف إليها ، أن (محمد رفعت) يسكب نفسه وهو يرتل ، يذوب وجداً وهو يتنقل عبر كلمات الله ومقاطع السور والآيات ، يمنح قلبه وإحساسه ووجوده بالكلية للكتاب الذي يقرأ فيه ولا يستبقي لنفسه شيئاً ، لأنه لم يعد هنالك رجل يدعى (محمد رفعت) ... انما هناك صوت بشري ، متفرد ، غني ، خصب ، قادر على الاندماج والتعبير ، ينقل لنا ، بنبراته الخاصة ، أصوات القرآن ونداءاته وصوره المدهشة ، ويضعنا وجهاً لوجه أمام معجزته ، وكأن الآيات تتنزل علينا اللحظة لكي تستجيش مشاعرنا وتهزّنا من الأعماق !!

حقاً ، ان الصوت البشري المبدع ، هو خير وسيلة تبعث فينا الحسّ القرآني المليء بالغبطة الروحية ، والفرح الغامر ، والأمل الكبير ، وتجعلنا نعلو ، شيئاً فشيئاً على آلامنا ومتاعبنا ومخاوفنا وأحزاننا ، وما أكثرها في دنيا يتكسر فيها الإنسان المسلم في اليوم الواحد عشرين مرة !!

ونقف قليلاً عند الأداء التعبيري العجيب لدى (محمد رفعت) ... إنه عندما يرتل ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ يجسد لنا بنبراته الرفيعة ، بالنغم المتسائل الذي يعلقه على الكلمة الأخيرة ، السؤال الكبير ، وأزمة القلق البشري ، وقضية المصير الكبرى ، ويجيبنا عليها في الوقت نفسه ، فنثق ونطمئن ونرتاح ... وهو عندما يصرخ بأعلى الطبقات الصوتية :

﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (سورة الإنسان ، (الآيتان ١١-١٢) ... إن كلمة ﴿ وَجَزَاهُم ﴾ تجيئ هنا بنبرة يعجز القلم عن تصويرها ، لكنها على أية حال تمنحنا الأبعاد الحقيقية للجزاء الإلهي الذي يجيئ دائماً وفق أدق الموازين تقديراً للإنسان الذي كدح طويلاً وأعطى كثيراً !!

وأذكر أنني كنت استمع إلى (الشيخ) وهو يرتل مما تيسر من سورة طه وورد النبأ المفجع (المفرح !!) بتنفيذ حكم الإعدام بصاحب (الظلال) ... كان الشيخ يصعّد صوته آنذاك ويمدّه ... بنبرات غنية متنوعة مليئة بالحزن والأسى وهو يقرأ : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۞ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ۞ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ !! (سورة طه ، (الآيات ٤٢-٤٦).

ومن خلال الدموع الصامتة ، رأيت حركة التاريخ الدائمة تدور حول نفسها ، لتعيد ، عبر عشرات القرون ، الدور نفسه !!

ويبقى دائماً شرف الإنسان ، تبقى كرامته ... في مجابهة عمليات القتل والانتقام هذه ، وفي استمداد القيم الحقيقية المضيئة من لياليها السوداء ... تماماً كما كان (الشيخ) يستمد من ظلمة عينيه ، الوهج الذي يعرف كيف يحرق الأفئدة ويضيئها ، في الوقت نفسه !! ".

انتقلت في تعاملي مع النصّ القرآني من رجفة الوجدان إلى دهشة الفكر ، أو أضفت – بعبارة أدق – القراءات المتواصلة في التفاسير والدراسات القرآنية ، حيث وجدت (الظلال) للشهيد سيد قطب يتبوأ مكانها الأعلى في ميدان التفسير ، وحيث رحت أطالعه على مكث خشية أن آتي عليه ، فمكثت في مطالعته على تقطّع خمساً وثلاثين عاماً ... ولقد انعكس هذا الإعجاب في مقال يحمل عنوان (الظلال ... ذلك الإنجاز المتفرد) نشر هو الآخر في (كتابات إسلامية) جاء فيه " عندما تكون الأهداف والمنطلقات واحدة ... وعندما تكون المحبة عميقة وكبيرة ، تجيئ المواقف والتوقعات والنتائج واحدة ... هكذا يحدث الإنسان نفسه ، ويصل حد الاقتناع عندما يطالع في (الظلال) ... أمام أي حرف أو كلمة أو آية أو مقطع أو سورة ، يقف الإنسان المؤمن المتوحد المحب ، ينتابه إحساس عميق ، مسبق ، وتخمين يبلغ اليقين ، ورؤية نقية لا غبش فيها ... بما سيقوله (الشهيد) حول المسألة !!

وفي معظم المواقف ، إن لم أقل كلها ، يجيئ الإحساس المسبق صادقاً نقياً ، ويقرأ الإنسان تحليل القضية أو الموقف أو الكلمة وكأنه يقرأ في نفسه ... وطالما تعجلت وأنا أطالع

في هذا السفر العظيم ، لمحة أو إشارة أو تعليق أو صورة ، أو التفاتة ، فإذا بها تجيئ دائماً في مكانها المناسب ، وإذا بي أكون قد تعجلت أكثر مما ينبغي ، لأن ما نتوقعه في ساحات (الظلال) البعيدة الشاملة المترعة لابدّ أن يجيئ كما نتوقع ونتخيل ... ما دمنا نحب (الشهيد) هذا الحب ، وما دمنا قد آثرنا أن ننطلق معه منذ اللحظة الأولى ، من نفس البداية ، ونواصل الدرب معاً ، عبر رؤية وفهم مشتركين ، صوب تحليل القرآن ، هو في الحقيقة أروع تحليل.

إن تفاسيرنا (القديمة) التي منحنا أصحابها الثمار والمتاعب في الوقت نفسه ، كانت تعاني في كثير من الأحيان التطرف في هذا الاتجاه أو ذاك ، وكانت تتضخم في ناحية بينما تنكمش في ناحية أخرى ، ولم تعرف إلا قلة منها ، المنهج الذي يبحث عن التوازن والتوزيع العادل للمساحات ، ومتابعة كل المسائل والمواقف القرآنية ، بقدر مشترك من الاهتمام والتحليل.

إننا نجد في بعضها انهماكاً مبالغاً في التحليل اللغوي ، أو البلاغي ، وفي بعضها الآخر اتجاهاً تاريخياً يتجاوز الوقائع إلى السرد القصصي والخيال الإسرائيلي ، ويتطرف في نزعته الميتافيزيقية ، ويأخذ عن أهل الكتاب جلّ تراثهم في ميدان القصة والأسطورة والتاريخ دونما نقد ولا تمحيص.

وفي تفاسير أخرى نلمح تأكيداً على مفاهيم الفرقة المذهبية التي ينتمي إليها المفسر ... فيجيئ عقلياً مؤثراً على يد مفسر معتزلي ، وصوفياً مهوّماً على يد مفسر صوفي ، وخارجياً حرفياً على يد مفسر ظاهري ، وفقهياً تشريعياً على يد مفسر فقيه ... وباطنياً تأويلياً على يد مفسر إسماعيلي !!

ورغم محاولات (عصرية) عديدة بذلت لتفسير القرآن وفق منهج حديث يتجاوز السلبيات القديمة ، إلا أنها جميعاً لم تجئ كما جاءت (الظلال) شاملة ، موزعة ، عادلة ، لا تغادر المسألة التي بين يديها إلا بعد أن تشبعها بحثاً وتحليلاً وتمحيصاً على كل المستويات : العقيدية والتشريعية والروحية والتاريخية واللغوية والعلمية والجمالية ... ولئن بدا أن في (الظلال) تأكيداً على الجوانب السياسية والتشريعية فما ذلك إلا لأن القرآن نفسه صبّ جل معطياته على مفهوم (التوحيد) المطلق الشامل الذي تنبثق عنه بالضرورة كل المواقف والاتجاهات السياسية والتشريعية التي أريد لها أن تنظم الحياة البشرية تنظيماً يتيح للإنسان المسلم أن يمارس سائر فاعلياته وهو يتحرك على أرضية صالحة ويتوجه بالتعبد الشامل صوب إلهه الواحد.

إن الكثيرين ممن مروا سراعاً في (الظلال) قالوا أنه ليس تفسيراً بالمعنى الدقيق المعروف ، وأنه لا يعدو أن يكون مجرد خواطر وتعليقات في كتاب ... ومأساة هؤلاء أنهم اعتادوا التفكير الجزئي ، الحرفي البارد ، الذي لا يتجاوز مدى الكلمة ومعناها ، والشرح المبسط

للمفردات والعبارات والجمل ... والتقصي الممل للشواهد البلاغية واللغوية ، والارتداد ، غير العلمي إلى قصص أهل الكتاب ومتع الإسرائيليات.

والحق أن (الشهيد) لم يشأ في كتابه الكبير مخاطبة هؤلاء ، إنه تجاوز متطلباتهم إلى مستويات وآفاق عليا. فقد أكد في تفسيره على وحدة المقاطع والمجموعات والسور ، ورفض التجزئة والتقطيع ، في محاولة رائدة في هذا المجال ، كما عمق بإحساسه وثقافته الفنية الأصيلة ، فكرة تناسق الشكل والمضمون ، دون تفريق أو فصل ، واعتمد في تحليله وسرده أسلوب (التعبير الوجداني) الذي سلكه القرآن نفسه كأفضل وسيلة لاستثارة الحسّ الديني لدى الإنسان ، وفتح منافذ وجوده على موحيات النفس والكون والعالم ، ومن ثم إدراك وحدة الخالق سبحانه وتعالى والايمان به إيماناً حيوياً حركياً مدركاً ...

ويبقى في (الظلال) بعد هذا كله ، وأهم من هذا كله ، شيء أساسي يكاد يتفرد به صاحبه : انه محاولة فذة للانسجام مع الأجواء القرآنية ذاتها ، مع الظلال التي تطرحها المواقف المتعددة في كتاب الله ، لكي يجيئ التفسير مصوغاً بالمادة القرآنية نفسها ، متشرباً روحها وسماتها ، مطبوعاً بخصائصها وبصماتها ، ومن ثم فان القارئ لن يجد نفسه أبداً ، وقد شذ عن الأرضية القرآنية ، من أجل تتبع مفرد لغوي أو تخريج بلاغي ، وملابسة فقهية ، وقصة تاريخية هي في أكثر الأحيان من نسج الخيال ... إنه في (الظلال) يظل دائماً في نطاق (الجوّ) القرآني ، ويندمج في كلمات الله ... يتناغم معها ويتساوق ويتوغل في معطياتها إلى أبعد الحدود دون أن يشذ لحظة أو يبعد عن النسيج الذي يتنفسه بوعيه وبصيرته ، وعن البستان المزهر الذي يتجول في أفيائه الغناء بروحه وعقله ووجدانه.

إن (الظلال) في توافقها العجيب هذا مع كتاب الله ، توافق الجوهر والصورة ، تعدّ – لعمري – فتحاً في تاريخ التفسير ، ورحم الله (الشهيد) إذ سماها ظلالاً !! ".

ومع (الظلال) أوغلت في قراءة ودراسة العديد من التفاسير والدراسات القرآنية التي شكلت في خزانتي العقلية المزيد من الفهم والإعجاب بهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الردّ ... ومع القراءة والدراسة حضور الندوات والمحاضرات ، والمشاركة في مناقشة الرسائل والأطروحات التي انصب بعضها على التعامل مع النص القرآني ... ولا زلت أذكر ، وأنا لا زلت بعد طالباً في مرحلة الماجستير في معهد الدراسات العليا في بغداد عام ١٩٦٤ م ، كيف جاء من أخبرني وأصدقائي بوصول الباحثة المصرية المعروفة (عائشة عبد الرحمن : بنت الشاطئ) إلى بغداد ، بدعوة من كلية الشريعة ، لإلقاء جملة من المحاضرات ، وكيف أنها ستلقي ذلك اليوم محاضرة في تفسير (سورة العصر) ... فما كان منا إلاّ أن هرعنا إلى هناك ... وأذكر أني اخترت مكاناً قريباً من المحاضرة الجليلة ورحت أتابع محاضرتها بشغف ...

استمرت المحاضرة خمسين دقيقة ، فما أحسست حينها بالزمن ، لشدة اندماجي بعرضها البياني الرائع لسورة العصر ، وأن قسم الله (سبحانه وتعالى) بالعصر لم يقصد به فترة زمنية محدودة ، ولا وقت العصر بالذات ، انما الزمن الذي يتحرك كآلة جبارة تعصر الإنسان عصراً ولا تتركه إلا فرقاً وأشلاءً ... ولن ينجو من هذا المصير إلا أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...

والحق ... لقد كانت تلك المحاضرة واحدة من أروع ما سمعت في حياتي من محاضرات ... على صاحبتها رحمة الله ورضوانه ...

وما لبثت أن جات المرحلة الثالثة من تعاملي مع النصّ القرآني : البحث والاستقصاء ، والدراسة والتحليل والتي تمخضت عن جملة كبيرة من المقالات والبحوث والمؤلفات التي عالجت فيها جملة ملحة من قضايا الفكر الإسلامي ، انطلاقاً من كتاب الله ...

وفيما يلي قائمة بأهم هذه المؤلفات :

١- التفسير الإسلامي للتاريخ.
٢- المنظور التاريخي في فكر سيد قطب.
٣- التاريخ والسنن التاريخية في كتابات النورسي.
٤- مدخل إلى الحضارة الإسلامية.
٥- الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين.
٦- أصول تشكيل العقل المسلم.
٧- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم.
٨- مدخل إلى إسلامية المعرفة.
٩- تهافت العلمانية.
١٠- قالوا عن الإسلام.
١١- القرآن الكريم من منظور غربي.
١٢- مع القرآن في عالمه الرحيب.
١٣- حوار في المعمار الكوني.
١٤- مقال في العدل الاجتماعي.
١٥- متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة.
١٦- الله أو الطاغوت : مسائل أساسية في التصوّر الإسلامي.
١٧- رحلة في عالم الكتاب الإسلامي.

١٨- آيات قرآنية تطل على العصر.

١٩- آفاق قرآنية.

٢٠- دراسات قرآنية.

وأنا – إذا أردتم الحق – لست من المكثرين أو المتباهين بكثرة ختماتي لكتاب الله ... حيث كنت ولا أزال ، أقرأ في اليوم الواحد نصف الجزء ، مفضلاً التأمل في الآيات ومحاولة اكتشاف ارتباطاتها الموضوعية ، على الهذّ عليه لإنجاز ختمة أكثر ... ولا أدري أيهما أكثر أجراً !

لكن الأهم من هذا هو التأثير النفسي لقارئ القرآن ... وإنه والحق يقال لتأثير عجيب يغسل ما في النفس المثقلة بالأوجاع والهواجس والهموم ، ويضعها أمام الجلال القرآني وقد تطهرت من هذا كله ... كيف لا ونحن نقرأ في كتاب الله هذه الآية ذات الدلالة الحاسمة : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد ، (الآيتان ٢٢-٢٣). فنجد أنفسنا نتجاوز مواقع الحزن والندم ، نعلو عليهما ، نتحرر من أسرهما، وننطلق بخفة ورشاقة إلى سماوات البهجة والاطمئنان والفرح .. وفضاءاتها الكبيرة التي تذوب فيها كل أحزان الإنسان وتعاساته وخوفه وقلقه ... ألم يقل القرآن بأنه : ﴿ ... شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٥٧).

صدقت يا رب السماوات والأرض ، فأنت – جل جلالك – الأعلم بخلقك ، والأدرى بما يصلح حالهم وينقلهم من الظلمات إلى النور.

لقد تضمن كتابي هذا الذي يجده القارئ بين يديه مقالاً بعنوان (الفرح الكوني) حاولت أن أرصد فيه جل القيم والمعايير التي تمسك بيد الإنسان المسلم وتأخذه إلى فوق ... إلى سماوات البهجة ، والاطمئنان ، واليقين ، والتوحد ، والفرح .... تعلو به ... تحررّه ... من كل صنوف اليأس ، والتعاسة ، والمرارة ، والشقاء ، والألم ، والندم ، والحيرة ، والتخبط ، والإحساس بالاختناق ... وبأنه وضع في حفرة ضيقة لم يتح له الخروج منها إلا إلى حفرة أخرى أشد ضيقاً هي القبر !!

أردت أن أفتح الفضاء الواسع ... السماء الكبيرة ... الإضاءة الكونية أمام الإنسان المسلم الذي يضيق عليه الحصار يوماً بعد يوم ... أمام عقله ، وضميره ، ووجدانه ، وروحه ، وجسده ... أن أقول له بأن عليه أن يكون من أكثر خلق الله فرحاً في هذا العالم ... من أكثرهم

تحرراً من المخاوف والآلام ... وأن فرحه يتجاوز حدود الأنا ، الجماعة ، الإقليم ، الأمة ... والعالم ... إلى الكون الذي جاء هذا الدين لكي يقيم بينه وبين الإنسان أعمق الوشائج والصلات وأن يعقد بين الطرفين الفة ميتافيزيقية ، لم ولن يستشعرها أي إنسان إلا هذا المسلم الذي فتح وعيه على هذه المسألة الهائلة التي أعطيت له ... مساحة كونية تتجاوز الراهن إلى الأبدي ، والمحدود إلى المطلق ، والزائل إلى الباقي ، والجزئي إلى الكلي ، والعابر إلى الدائم الذي لا يتقطع ولا يزول.

إننا كمسلمين لسنا أبناء قرن دون قرن ، أو بيئة دون أخرى ، أو مكان دون مكان ... انما نحن أبناء كل زمن وكل مكان ... وأن كتاب الله يعلمنا هذا ... يسلمنا المفتاح المدهش الذي نفتح به بوابات العالم والكون على مداهما ... فنصبح بحق أناساً كونيين تغمرنا سعادة لا نكاد نجد لها مفردة في قواميس الدنيا ... ولا قريناً في أفكارها ومبادئها وخبراتها التي إن استطاعت أن تبلغ شأواً بعيداً في التقنية والخدمات وتغطية الملاذ الحسية ، لكنها ظلت ولا تزال تعاني من الضمور الروحي ، والإحساس بالاختناق في البيئات الضيقة ، وبالتال هيمنة حالات الاكتئاب على العديد من أبنائها ، وهو اكتئاب يتزايد نوعياً بما يقود المأزومين إلى غسل أيديهم من الخلاص ... فيلجأون إلى الانتحار ...

إن هذا ما تقوله آخر الإحصائيات التي نشرتها وكالات الأنباء على شاشات الفضائيات : عشرة بالمائة من الأمريكيين يعانون من الاكتئاب ويهربون إلى المغيبات التي هي أشد لعنة من الخمر ... والحشيش والأفيون ... وقد يلجأون إلى الانتحار ... اليابان تخصص عام (٢٠١١م) ثلاثين مليار دولار لملاحقة حالات الاكتئاب والانتحار التي تضيّق الخناق على اليابانيين ... أما في السويد والنرويج ، باعتبارهما من أكثر الدول تقدماً خدمياً وتقنياً ، فان ما يحدث فيهما من حالات الانتحار يضرب به المثل.

وعود على بدء ... لقد كانت رحلتي مع كتاب الله ، بمستوياتها الثلاثة : السماع ، القراءة ، الدراسة والبحث ... واحدة من أكثر الرحلات ، عبر حياتي كلها ، متعة وفائدة ... ولقد مارست التخفيف عني فيما كنت أعانيه من التعاسة والضيق ، ونفاد الصبر ، والعتمة ، والقلق ، والندم ... ونقلتني إلى آفاق التحرّر والتوحد والاطمئنان والفرح واليقين ...

وهذا يكفي ...

وأنا أقول في نفسي : ما أكثر أخطائي التي تتزايد يوماً بعد يوم ، ربما وفق متواليات هندسية ، لكن ما يعزيني ، ويدخل الاطمئنان إلى يوم الحساب في وجداني وعقلي ... انني عشت بالطول والعرض والعمق ، مع كتاب الله ، مستمعاً ... وقارئاً ... ودارساً ... فلعل ذلك يشفع لي عند الله ، جل في علاه ، يوم الحساب !!

وأخيراً ... فهذا الذي يجده القارئ بين يديه ، ليس تفسيراً بالمعنى العلمي الدقيق للتفسير ، ولكنه تأملات مشروعة لكل مسلم ، قد تخطئ وقد تصيب ...

إن كتاب الله يتم التعامل معه بصيغ عديدة ، منها التفسير الذي ينطوي على شروط محددة ملزمة ، والتأمل الذي قد لا يلتزم ببعض هذه الشروط ، ولكنه – بالمقابل – لن يكون ملزماً لأحد من الناس غير صاحبه.

وتبقى النية هي البوصلة الحقة لكل المسافرين عبر كتاب الله !!

يا حسرة على العباد

ليس تفسيراً ... وحاشا لله ، ولكنها مقاربة أو محاولة للفهم ، قد تخطئ وقد تصيب ، إلاّ أن النية التي تكمن وراءها ربما تشفع لها أمام الله ...

هزّتني مقاطع من سورة الأعراف ... تكّشفت لي فجأة عن تصوّر للوجود ، كما يعرضه كتاب الله ، ما خطر على بالي من قبل بهذا الوضوح والارتباط.

ودائماً كنت أقول بأن وقفة متأملة ، أو محاولة جادة للمقاربة مع مقطع من كتاب الله قد تفتح المغاليق ، وقد تكون أكثر جدوى من عشر ختمات للقرآن الكريم !

هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثر الرد ... صدقت يا رسول الله ، فأنت بكلماتك هذه أوجزت المعجزة وقلت فيها ما يكفي ... ولكن أين القلوب التي تحّس ، والعقول التي ترى ، وكيف تكسر الأقفال التي ختمت بالشمع الأحمر على الأفئدة والأسماع والأبصار ؟!

هزتني مقاطع من سورة الأعراف إذ وجدتني – فجأة – قبالة حالة أو وضع يريد الله – جلّت قدرته – أن يتحقق في هذا العالم ... مع الإنسان تماماً ... لصالحه تماماً ... على كل المستويات ... سعادة ... ورفاهية ، وتوحدا ، وأملاً ، وأمناً ، وإصلاحاً ، وعطاءً ، وعمراناً ، وعدلاً ، وانسجاماً ...

وإزاء حالة مضادة في الوقت نفسه ، تسعى كلمات الله (جلّ في علاه) ، إلى هدمها ، وتدميرها ، والانقلاب عليها ، وإزالتها من الوجود ... ضد الإنسان تماماً ... ضد مصلحته ووضعه البشري على كل المستويات ، تعاسة ، وفقراً ، وتمزقاً ، ويأساً ، وخوفاً ، وإفساداً ، وتخريباً ، وكسلاً ، وتشتتّاً ، وظلماً ...

أكثر من هذا : إن الحالة الأولى تتجاوز الوفاق مع الذات والآخر ... تتجاوز المجتمع والبشرية والعالم ، صوب الطبيعة والوجود والكون ، لكي تجعلها جميعاً في صيغة توافق ، وتصادٍ مشترك ، وعطاء ، وتسخير ، وتبادل في الأداء ... يؤول في نهاية المطاف إلى أقصى حالات الانسجام بين الإنسان والعالم والطبيعة والوجود والكون ... يشكل البيئة التي تتوحد فيها الظواهر والأشياء ... الإيقاع الذي يتحرك ، وهو يسبّح بحمد الله ، ويتوجه إليه وحده بلا شريك ... وحده بلا ندّ ... لكي يرتفع بالإنسان ، أكثر فأكثر ، يصعّد به في المراقي ... يصنع الإنسان الكوني الذي يتجاوز شد الأرض وجاذبيتها إلى فوق ...

وهو في مهرجانه المتسامي هذا ... بالإنسان والجماعة والحياة ... يستجيش كل الطاقات والقدرات البشرية : الروحية والعقلية والحسّية والوجدانية ... ويوظف كل إمكانات الطبيعة والعالم والوجود ، بدءً من دفق الضوء القمري ودفء الشمس ، وانتهاء بالجبال والينابيع والجداول

والأنهار والأمطار والنبات والحيوان ... كلها تتلاءم وتتواءم ، لكي تقدم أقصى ما تستطيع أن تقدمه للإنسان وبأكبر قدر من الألفة الميتافيزيقية والود والتوحد والمحبة والتناغم والانسجام ...

والنبوّات التي تتحدث عنها مقاطع سورة الأعراف هذه ، انما هي في نهاية الأمر وبدئه ، نبوة واحدة ... هي الدعوة نفسها ... الصوت والنداء والفاعلية المتواصلة في الزمن والمكان ، من أجل الخروج بالإنسان من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ...

إن الحالة الضدّ التي تتحدث عنها الآيات البيّنات حيناً ، وتتركها حيناً آخر ، لكي يتملاّها الذهن كصيغة مضادة للقيم والمرتكزات الإيجابية التي المحنا إليها قبل قليل ... هذه الحالة التي يدينها كتاب الله ويعلن الحرب عليها ... ما الذي تصنعه بالإنسان ... وإلى أي المآزق تقوده ، وعبر أيٍّ من الطرق المعوجة تمضي به لكي ما تلبث أن تمرّغه بالتراب ، وتحجر عليه في الثقوب الضيّقة ، وتدفن وجوده البشري في لزوجة الطين وشدّ الجاذبية ... وتضيّق الخناق على وضعه في العالم لكي يغدو بموازاة عالم النحل والنمل والأنعام والحيوان ...

تريد الحالة الأولى أن يصير الإنسان إنساناً ، وأن تكون قامته مرفوعة إلى فوق ، عالية بما هي قامة إنسان أريد له أن يكون سيد المخلوقات جميعاً ... وتريد الحالة الثانية أن يتضاءل الإنسان ، ويتقزّم ، وتنكمش قامته ، وينكفئ في الجحور الضيّقة كما تنكمش الحشرات وهي تأوي إلى ثقوبها تحت الأرض ، وكما تلجأ الأنعام إلى حظائرها خوفاً من البرد والمطر والزمهرير ...

نداء التوحيد والنبوة هو النداء الوحيد لتحرير الإنسان من مصير كهذا ... وهو الدرب الوحيد لاجتياز المحنة ، والانطلاق إلى الأفق العريض المضيء المفتوح ، ليس فقط على ساحة العالم ، وانما على مدى الكون كلّه ... وليس وراء ذلك إلاّ الضياع ، والحيرة ، والضلال ... وليس ثمة طريق ثالث ... أبداً ... إما هذا أو ذاك ...

يعجز القلم عن ملاحقة الايماضات التي تشع بها آيات سورة الأعراف تلك ... عن التعبير عن العالم الجميل السعيد المتوافق المضيء الذي ترسمه وتومئ إليه ... وعن نقيضه البشع ... الشقي ... الممزق ... المعتم الذي تحذّر من الاندفاع إليه ...

يعجز القلم ... رغم أنه يملك مفردات واحدة من أكثر لغات العالم خصباً ، عن أن يحقق التغطية الشاملة لكل المعاني التي تفجّرها كلمات الله ... لكل الومضات التي تتقدح في الذهن والوجدان ، قبالة هذا المقطع أو غيره ، فلا تقدر اللغة – مهما دقّت ورقّت – أن تعبر تماماً ، وبالصدق المطلوب ، عما يتشكل في ذهن الإنسان ووجدانه ، فيما تريد الآيات البيّنات أن تقوله ، وترسمه ، وتغري به ، وتحضّ عليه.

مهما يكن من أمر ، فانها مرة أخرى ، محاولة للفهم ... مقاربة ، كما يصطلح الأدباء المحدثون ، لحافّات المنظور القرآني للعالم والحياة ... ولعلّ هذا يكفي ...

في مساحة لا تتجاوز الصفحات الستّ ... وعبر عدد من الآيات لا يتجاوز البضع والأربعين من سورة الأعراف ، يتحدث كتاب الله عن هذا كله ... يمنحنا – بعبارة أدق – هذا كلّه ... فمن يختار بعدها التعاسة على السعادة ، والتمزق على التوحد ، والحزن على الفرح ، والظلم على العدل ، والانكماش على الانتشار ، والقيد على الحرية ، والجحور الضيقة على الفضاء الواسع ، وضيق الدنيا على سعتها ، وجور الأديان على عدل الإسلام ، وعبادة العباد والآلهة والطواغيت والظنون والشهوات والأهواء على عبادة الله وحده ، والتمسّك بحبله الذي تنقطع

دونه الحبال ... وبسلّمه الواصل بالخلود ... وبعلمه اللدنّي ذي المصداقية المطلقة الذي يعلو على المتغيّرات والنسبيات ، والذي تتضاءل دونه وتتهافت كل المعارف والعلوم التي لا تستهدي بهديه ، ولا تتلقى عنه الضوء والإشارة ...

في مساحة لا تتجاوز الصفحات الستّ يجد المرء نفسه قبالة عقيدة ليست كالعقائد ، ودين ليس كالأديان ، وعبادة ليست كالعبادات ... ويجد معها حالة من الحزن والشجن على الإنسان الضائع ، والمسيرة البشرية التائهة التي تتقاذفها الطواغيت والأرباب ، والمصير الأسود الكالح الذي يساق إليه بنو آدم ، بقوة الإغراء الشيطاني ، المضلّل ، المخادع ، الدجال ... ويتذكر الآية الكريمة ، والنداء الإلهي المؤثر ، المحزن : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٣٠).

ويتذكر ، بالأسى والشجن نفسه ، وعد الله وأكذوبة الشيطان : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (سورة ياسين، (الآيتان ٦٠-٦١).

بإيجاز بالغ : إنه الصراط الذي تصوغه وتضيئه عبادة الله وحده ...

وليس ثمة وراءه ، قبله أو معه أو بعده ، إلاّ التيه والتخبط والضلال ... لأنه ما من طريق ، غير هذا الطريق ، الاّ وهو من عمل الشيطان الذي يسوق عباده إلى مصيدة الشرك ، والتعدّد ، والضياع ...

وما لنا ألاّ نقرأ معاً المقطع المذكور من سورة الأعراف لكي نتدّبر معاً ما تريد أن تقوله لنا آياته البيّنات :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيات ٥٢-٥٨).

في مقطع قرآني لا تتجاوز آياته السبع عدداً نجد أنفسنا قبالة حوارٍ محتدم ، أو مجابهة حاسة – بعبارة أدّق – بين قيم الخير والشر ... بين الاستقامة والاعوجاج ، وبين الهدى والضلال ... بين حياة آمنة ، عاملة ، مبدعة ، متجددة ، طيبة يدعونا إليها القرآن ... وحياة وجلةٍ ، ساكنة ، مفسدة ، نكدة ، خبيثة ، ميّتة ... يغرينا بها الشيطان ...

في الخطاب القرآني نجد أنفسنا ازاء مفردات العلم ، والهدى ، والرحمة ، والحق ، والعمل ، والإصلاح ، والإحسان ، والبشرى ، والطيب ، والبعث ، والشكر ... وفي الاغواء الشيطاني نجد أنفسنا إزاء مفردات : النسيان ، والخسران ، والضلال ، والافتراء ، والعدوان ، والافساد ، والموت ، والخبث ، والنكد ...

فمن منا يرتضي لنفسه أن يذهب مع الثانية ويتجاوز الأولى فيضع نفسه في دائرة الضنك والضيق والتعاسة والضلال ؟!

إنها صفقة خاسرة بكل المعايير ... ومن أجل ذلك يمضي المقطع التالي في كتاب الله ، عبر رحلة مكثفة مع النبّوات وهي ترفع الخطاب نفسه ، على تقّلبها في الزمان والمكان : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٦٢) ، ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (سورة الأعراف ،

(الآية ٦٨) ، ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٧٩) ، ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٩٣).

ومرةً أخرى نتذكر – ونحن نتابع مأساة الإنسان الضائع في العالم ، المتكّبر على النصح ، المتأبّي على الصلاح ، المتخبّط في مصيدة الشرّ والضلال – نتذكر النداء الإلهي المؤثر المحزن : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيتان ٦٠-٦١).

الغيب يخترق المنظور

بعد تفجير القنبلة الذرية ومن بعدها الهيدروجينية والنيوترونية ، تبيّن كم أن الواقع المنظور لا يعدو أن يكون قشرة هشّة سريعة التكسّر ، وأن ما وراءها ، تحتها تماماً ، على بعد خطوات منها ، مخفية عن العيان ، ومنطوية في عالم الغيب ... قوى هائلة تفوق التصوّر ، وتؤكد الحقيقة القرآنية التي طالما أشار إليها وأكدّها كتاب الله مراراً وتكراراً ، من أن عالم الغيب أشد ثقلاً وحضوراً من العالم المشهود.

والظاهرة لا تقتصر على الغيب الفيزيائي وحده – إذا صحّ التعبير – ولكنها تمتد لكي تشمل الخلائق كافة ، والقوى والطاقات الهائلة التي ينطوي عليها الكون ، مروراً بالملائكة والجان ، ووصولاً إلى كلمة الله التي إذا أرادت شيئاً فانما تقول له **(كن فيكون)**.

ماذا لو رفع الغطاء ؟

أية قوة هائلة ، مطلقة الإسار ، غير محدودة ، تنطوي عليها كلمة **(كن)** هذه ؟ أية فاعلية جبارة لا يقف أمامها شيء ، تملك هذه القدرة اللامحدودة على الخلق والإنشاء : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١٠٩) ... ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٢٧).

والعقل البشري الذي لا يزال ، رغم كشوفه المدهشة ، طفلاً يحبو عند حافات الكون ، لن يكون بمقدوره إدراك ما تعنيه كلمة (الغيب) ، وما تنطوي عليه من قوى خلاّقة ، هائلة ، غير محدودة ...

هايزنبرغ وشرودنجر واينشتاين وماكس بلانك ، والفيزيائيون والكوزمولوجيون الذين جاءوا بعدهم ، فتحوا في القشرة المنظورة ثغرات ضيقة جداً ، فرأوا الأعاجيب ، وكانت القنبلة الذرية واحدة من ثمار هذه الأعاجيب ... ترى ماذا لو رفع الغطاء كلّه ؟ ما الذي سنراه ؟

القرآن الكريم يجيبنا على جانب من السؤال المخيف ، عندما يتحدث في سلسلة متواصلة من آياته البيّنات عن الانقلاب الكوني يوم القيامة ، هذا جانب من المشهد :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (سورة التكوير ، (الآيات ١-٦) ، ﴿ إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ ۞ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۞ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ (سورة الانفطار ، (الآيات ١-٤) ، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ (سورة النازعات ، (الآيات ٦-٩) ، ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ (سورة الزلزلة ، (الآيات ١-٥) ، ﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (سورة القارعة ، (الآيات ١-٥) ، ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۞ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾ (سورة الطور ، (الآيات ٦-١٠) ، ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيتان ٣٧-٣٨) ، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۞ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ۞ فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً ﴾ (سورة الواقعة ، (الآيات ١-٦) ، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ١٣-١٦) ، ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ﴾ (سورة المعارج ، (الآيات ٨-١٠) ، ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۞ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ (سورة القيامة ، (الآيات ٧-١٠) ، ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاء

﴿ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (سورة المرسلات ، (الآيات ٨-١٥).

الهوْل !!

" وأما تسجير البحار فقد يكون معناه ملؤها بالمياه. وإما أن تجيئها هذه المياه من فيضانات كالتي يقال أنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها. وإما بالزلازل والبراكين التي تزيل الحواجز بين البحار فيتدفق بعضها في بعض. وإما يكون معناه التهابها وانفجارها كما قال في موقع آخر ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾. فتفجير عناصرها وانفصال الايدروجين عن الأوكسجين فيها ، أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع في تفجير الذرة ، وهو أشد هولاً. أو على أي نحو آخر. وحين يقع هذا فان نيراناً هائلة لا يتصور مداها تنطلق من البحار. فان تفجير قدر محدود من الذرات في القنبلة الذرية أو الايدروجينية يحدث هذا الهول الذي عرفته الدنيا ، فإذا انفجرت ذرات البحار على هذا النحو أو نحو آخر ، فان الإدراك البشري يعجز عن تصوّر هذا الهول ، وتصور جهنم الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة "[1].

فماذا عن خفايا الإنسان ؟!

هذا عن العالم والكون ، فماذا عن الإنسان ؟

الكسيس كاريل في (الإنسان ذلك المجهول) ، ومن أجل تأكيد عجز الإنسان ، ونسبية معرفته عن معجزة العقل ، وطرائق عمل الدماغ البشري ، يؤكد بأن العلم الطبيعي إذا كان قد أوغل في كشوفه ، وقطع المسافات الطوال بخصوص الظواهر الطبيعية ، فانه يكاد يحبو ويتعثر في فهمه لخبايا النفس البشرية ... يقول : " إنّنا بتعلمنا سر تركيب المادة وخواصها استطعنا الظفر بالسيادة تقريباً على كل شيء موجود على ظهر البسيطة ، فيما عدا أنفسنا ... إن علم الكائنات الحية بصفة عامة – والإنسان بصفة خاصة – لم يصب مثل هذا التقدم ... إنه لا يزال في المرحلة الوصفية ... فالإنسان كل لا يتجزأ وفي غاية التعقيد ، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له ، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه أو في أجزائه في وقت واحد ... فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة ! وواقع الأمر أن

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ط ٣٧ ، دار الشروق ، (القاهرة-٢٠٠٨ م) ، ٣٨٣٩/٦.

جهلنا مطبق. فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب. ان هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة ... ونحن لا نملك أي فن يمكننا من النفوذ إلى أعماق المخ وغوامضه ، أو إلى الاتحاد المتناسق بين خلاياه ... وعلينا أن ندرك بوضوح أن علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعاً "[1].

ضعيفة ومتلجلجة !

وسوليفان في (حدود العلم) ، وبعد دراسة مستفيضة في نظريات علم النفس كافة ، يخلص إلى أنه ليس في هذه النظريات " شيء من شأنه أن يغير جدياً في قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن. وللمعارف الأخرى أيضاً مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك ، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية. والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي. أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبياً ضعيفة ومتلجلجة "[2].

وهي النتيجة نفسها التي انتهى إليها الكسيس كاريل في (الإنسان ذلك المجهول) ... إن السيطرة على عينة من العالم المادي لغرض فهمها ممكنة إلى حدّ ما ، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الإنسان ، والعقل ، والحياة ، والروح ، طرفاً ، فتكاد تكون مستحيلة ... والنتيجة التي نصل إليها في هذا المجال " ضعيفة ومتلجلجة ".

ومن قبل سئل الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الروح : معجزة الإنسان ، وسرّ العقل ، ومفتاح الحياة ، فأجاب القرآن عنه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٨٥).

كتلة الجليد العائمة

بل أن الفيزيائيين الكبار الين أشرنا إليهم كشفوا عن حقيقة أخرى : انه حتى الكشوف الفيزيائية المتعاملة مع المادة والطاقة والضوء والكتلة ... لم تبلغ حافات اليقين ، وأن نسبة

---

(١) الكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول ، ترجمة : شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ، (بيروت–بدون تاريخ) ، مقتطفات من الكتاب المذكور.

(٢) ج . سوليفان ، حدود العلم ، الدار العلمية ، (بيروت–١٩٧٢م) ، ص ٦٠–٦١.

الاحتمال فيها كبيرة ... وكبيرة جداً. وأنها تنطوي على أعماق غائرة مغيّبة عن الأنظار ، وعن أكثر الأجهزة التقنية قدرة على الكشف والايغال.

ومن الواضح ، كما يقول سوليفان ، أن حقيقة كون العلم مقصوراً على معرفة البنى ، وليس الماهيات ، هي حقيقة ذات أهمية إنسانية عظيمة لأنها تعني أن مشكلة طبيعة الحقيقة لم يبت فيها بعد ، ولم يعد يطلب إلينا الآن أن نعتقد بعدم وجود مقابل موضوعي لاستجابتنا للجمال ... إن تطلعاتنا الدينية وحسّنا الجمالي ليسا بالضرورة ظواهر وهمية ، كما جرى الافتراض في السابق[1] ...

ما الذي نخلص إليه من هذا العرض الموجز سوى أن عالم الشهود لا يعدو أن يكون بقعاً صغيرة ومنحسرة في البنية الكونية ، وهو كذلك في النفس البشرية ، بتقلباتها التي لا حدود لها ، وبطرائق عمل الدماغ البشري ... حيث لا يبدو في معظم الأحوال سوى الخمس من كتلة الجليد العائمة ، بينما تظل الأخماس الأربعة الأخرى مغيبة عن الأنظار ، باعتبارها عالماً غيبياً.

القرآن والغيب

في ضوء ذلك كله الا يتحتم علينا أن نرجع إلى القرآن الكريم مرة ومرتين وثلاثاً ، وعشرين مرة ، لمتابعة ما الذي يريد أن يقوله بخصوص ازدواجية الظاهرتين الكونية والإنسانية ، ما بين الشهود والغيب ؟

أربع وخمسون مرة ترد كلمة (الغيب) باشتقاقاتها المختلفة ، في كتاب الله سبحانه وتعالى ، مما يدلّ على الثقل الكبير والحضور المؤكد اللذين أولاهما القرآن الكريم لعالم الغيب ، بل ان نقطة الارتكاز الأساسية في الايمان ، والتي وردت في الآية الثالثة من سورة البقرة ، هي الايمان بالغيب : ﴿ الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآيات ١-٣).

بعدها تتوالى الآيات لكي تعرض الحقيقة الغيبية وتتعامل معها ، من أكثر من زاوية ، وعلى أكثر من مستوى ... ولسوف نستدعي ها هنا شواهد محدودة فحسب من هذه الآيات قدر ما يسمح به مقال كهذا : ﴿ ... إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٣٣) ، ﴿ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ... ﴾(سورة آل عمران ، (الآية

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٩-٤٠.

١٧٩) ، ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٥٩) ، ﴿ . . . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧٣) ، ﴿ . . . فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢٠) ، ﴿ وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٢٣) ، ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّهُ . . . ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦٥) ، ﴿ إِنَّ اللّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٣٨) ، ﴿ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (سورة الطور ، (الآية ٤١)، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ﴾ (سورة الجن ، (الآية ٢٦) ، ﴿ . . . قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ١٠٩) ، ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٧٥).

التسبيح الحرّ !

ومن عجب أن واحدة من أحدث النظريات التي طرحها عدد من كبار العلماء في مطلع السبعينيات ونشرت خطوطها العريضة مجلة (العلم والحياة) الفرنسية ، تقول بالمقابل أو المعادل اللامادي للتراكيب المادية في البنية السديمية والذرية على السواء ، وأنه ما من الكترون أو بروتون أو نيوترون أو جسم كوني كذلك ، إلا وتوجد قبالته معادلته اللامادية. ومعنى هذا أن أكثر النظريات الفيزيائية حداثة تقدم تأكيداً أشد على تهافت المادية وتشير بلسان العلم المختبري والمعادلات الرياضية المركبة إلى التواجد الروحي في قلب الكون ، وفي صميم الذرة. واننا لنقف خاشعين أمام واحد من جوانب الإعجاز القرآني ، تلك المجموعة من الآيات الكريمة التي تحدثنا عن تسبيح الكون ، والطبيعة والذرات للخالق العظيم : ﴿ سَبَّحَ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ١) ، الحشر ، (الآية ١) ، الصف ، (الآية ١) ، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٤٤) ، ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ . . . ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ١٣) ، ﴿ . . . وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ

﴿ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٧٩) ، ﴿ . . . قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النور ، (الآية ٤١).

إن (التسبيح) ها هنا لا يقتصر على كون الذرات والأجسام الفضائية تخضع للنواميس التي وضعها الله فيها ، فهي بهذا تسبح بحمد الله (سبحانه وتعالى) ، فهنالك ما هو أبعد من هذا وأقرب إلى مفهوم التسبيح الحرّ ، أو التقديس الواعي !! وإن هذا ليقودنا إلى مقولة أدينغتون من أن (مادة العالم هي مادة عقلية) ، كما يقودنا إلى الآية الكريمة : ﴿ . . . وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٤٤).

مفاتح الغيب والكشوف الفيزيائية

اننا – على سبيل المثال – عندما نقرأ : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٥٩) ، ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٦) يتجه فكرنا على الأغلب ، إلى العالم اللامنظور ، الكائنات اللامرئية ، الوجود المغّيب عن الأنظار : الملائكة ، الجان ، الشياطين ، الجنة ، النار ... إلى آخره ... أو – حتى – الأرزاق المقدّرة من السماء. ولكنه نادراً ما يتجه إلى ما ينطوي عليه الكون من طاقات وأسرار مغيّبة ، فيزيائية هائلة ، لا يتصورها عقل ... ولقد قدّر للإنسان أن يطلع على جانب ضئيل منها عندما فجّر الذرة ... ولكن ماذا بخصوص الذي لم يكتشف أو يفجر بعد من طاقات وأسرار الكون التي يمسك الله سبحانه وتعالى بمفاتيحها ، أو ينزّلها بقدر معلوم ؟

إن الانقلاب الكوني الكبير يوم القيامة ، والذي أشرنا إلى بعض شواهده ، قد يقرّبنا بعض الشيء ... تلك الآيات التي تحدثنا عن انفطار السماء ، وانتثار النجوم ، وتكوير الشمس ، وتسجير البحار ، ودك الجبال ...

إن علينا أن نقف طويلاً عند عبارة (مفاتح الغيب) وعبارة (السرّ في السماوات والأرض) ، ونتجاوز تسطيح التفاسير القديمة ، ونستدعي أكثر الكشوف الفيزيائية والكوزمولوجية جدّة وحداثة ، لكي ندرك أبعادهما المدهشة والمذهلة ، ولكي يتبيّن لنا – بحق – أن كتاب الله سبحانه وتعالى ، وكما حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد).

" إن حقيقة الغيب من مقومات التصوّر الإسلامي الأساسية ، لأنها من مقومات العقيدة الإسلامية الأساسية ، ومن قواعد الايمان الرئيسية ، وذلك أن كلمات (الغيب) و (الغيبية) تلاك في هذه الأيام كثيراً – بعد ظهور المذهب المادي – وتوضع في مقابل (العلم) و (العلمية). والقرآن الكريم يقرر أن هناك (غيباً) لا يعلم (مفاتحه) إلا الله ، ويقرر أن ما أوتيه الإنسان من العلم قليل ، وهذا القليل انما أتاه الله به بقدر ما يعلم هو (سبحانه وتعالى) من طاقته ومن حاجته ، وأن الناس لا يعلمون – فيما وراء العلم الذي أعطاهم الله إياه – إلا ظناً ، وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً. كما يقرر (سبحانه وتعالى) أن الله قد خلق هذا الكون، وجعل له سنناً لا تتبدل ، وأنه علم الإنسان أن يبحث عن هذه السنن ويدرك بعضها ، ويتعامل معها – في حدود طاقته وحاجته – وأنه سيكشف له من هذه السنن في الأنفس والآفاق ما يزيده يقيناً وتأكداً أن الذي جاءه من عند ربه هو الحق ، دون أن يخل هذا الكشف بسنن الله التي لا تبديل لها ، بحقيقة (الغيب) المجهول للإنسان ، والذي سيظل كذلك مجهولاً ... "[١].

وشهد شاهد من أهلها

وأريد أن أختم مقالي الموجز هذا بثلاث شهادات لعلماء غربيين كبار قالوا كلمتهم في ثنائيتي العلم والايمان والغيب والمنظور :

سوليفان : " لقد أصبح العلم شديد الحساسية ومتواضعاً نسبياً. ولم نعد نلقن الآن أن الأسلوب العلمي هو الأسلوب الوحيد الناجح لاكتساب المعرفة عن الحقيقة. إن عدداً من رجال العلم البارزين يصروّن بمنتهى الحماس على حقيقة مؤداها أن العلم لا يقدم لنا سوى معرفة جزئية عن الحقيقة ، وأن علينا لذلك أن لا نعتبر أو يطلب إلينا أن نعتبر كل شيء يستطيع العلم تجاهله مجرد وهم من الأوهام "[٢].

أينشتين : " إني أدين بالتبجيل كله لتلك القدرة العجيبة التي تكشف عن نفسها في أضأل جزئ من جزيئات الكون "[٣].

الفريد كاستلر : " إننا كلما أوغلنا في دراسة المادة أدركنا أننا لم نعرف عنها شيئاً ... فسوف يظل دائماً شيء مخفياً عنا " فلما سألوه ، مخفي بمن ؟ أجاب : بالله ! ثم وصف متاعبه في استمرار البحث بالقوانين المعروفة ، إذ اكتشف أنه بعد التوغل إلى أمد بعيد توقفت القوانين

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، ١١١٣/٧-١١١٤.

(٢) سوليفان : حدود العلم ، ص ٣٢-٣٣.

(٣) ينظر : توفيق الحكيم ، الأحاديث الأربعة ، مكتبة الآداب ، (القاهرة-١٩٨٣م) ، ص ٢٧.

عن العمل ، وأنه دخل مرحلة لم تعد تسري فيها هذه القوانين الطبيعية المعروفة في الأرض ، مما جعله يسأل نفسه : أترى علم الفيزياء الذي نمآرسه في الحقيقة ليس علماً واحداً ؟ أي أنه يوجد علمان كل منهما يعمل مستقلاً عن الآخر : علم للمرئيات ، وعلم للمخفيات ... أو بعبارة أخرى علم للمحسوسات أو لهذه الدنيا ، وعلم فيزياء آخر لغير المحسوسات ، أي لغير دنيا البشر ، أي للآخرة ... وكل منهما له قوانينه الخاصة التي لا تسري إلاّ على عالمه[1] !!

(١) ينظر المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨ ، نقلاً عن كتاب كاستلر : المادة هذا المجهول.

حول معجزة الإمطار

وهذه أخرى من معجزات الإبداع الإلهي في العالم ... انها معجزة الإمطار ... إيصال القطرة العذبة إلى أفواه الناس ... والضرع ... والزرع ... من أجل أن تستمر الحياة ...

ونحن نعلم ، على مستوى الرياضيات والفيزياء ، أن حدوث ظاهرة ما بمفردها قد يكون وليد الصدفة التي لا هدف لها ولا غاية ... ولكن عندما تنبني عليها حالة ثانية لكي تقودها إلى هدف محدّد ، فان الصدفة تضعف وتغيب وتتلاشى ... فكيف إذا انبنت عليها ثمانية حالات توافقية أخرى ؟ الا يتوقف مؤشر الصدفة عند نقطة الصفر المطلق لكي يسمح للغاية أن تعمل عملها في هذه الظاهرة المدهشة التي طالما نبّه كتاب الله عليها قرّاءه في أكثر من مائة وستين آية أو مقطع قرآني ، لكي يتأكدوا بما لا يسمح لأي مجال للجدل والمناقشة ، أن وراء ظاهرة الإمطار هذه إرادة علوية ، قديرة ، فاعلة ، مبرمجة ، هي التي ترتب الأسباب على المسببات ، وتسوق الأوليات إلى نتائجها المحتومة ... وهي ها هنا إيصال الماء العذب للإنسان والحيوان والنبات على السواء ، بعد جملة من العمليات الكبرى التي يعقب بعضها بعضاً ، والتي في حالة غياب أية حلقة منها ، ستبوء المحاولة إلى الفشل المحتوم.

اننا هنا بإزاء ثمانية حلقات محكمة الأداء ، يقوم بعضها على البعض الآخر ، لكي ما تلبث أن تؤول في نهاية الأمر إلى المطلوب ... والمطلوب هو إدامة الحياة البشرية والطبيعية بإيصال الماء العذب لسقيها وإدامتها ، والذي لولاه لتوقفت عجلة الحياة في أيام معدودات ... فها هي ذي الحياة تجتاز آلاف السنين وهي ضامنة حقها في الحصول على الماء ، من لدن خالق السموات والأرض ... ومبدعهاً ... جلّ في علاه ...

نقطة البداية تتمثل في تكوين هذا الخزين الاستراتيجي الهائل من الماء في البحار والمحيطات التي تغطي خمسة أسداس كرتنا الأرضية هذه ، فلا يتعرض للنفاد ، أو الجفاف ، حتى لو مضى عليه آلاف السنين ومئات آلافها ... إنه بحق خزين استراتيجي محسوب حسابه في علم الله : ﴿ ... وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ... ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١٦٤) ، ﴿ ... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٥٩) ، ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾(سورة يونس ، (الآية ٢٢) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً ... ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٤) ، ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٦٦) ، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ... ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٦٧) ، ﴿ وَلَقَدْ

﴿ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . . ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٧٠) ، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١٠٩) ، ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ . . . ﴾ (سورة النور ، (الآية ٤٠) ، ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . . . ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦٣) ، ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٢٧).

ومن أجل أن تظل أعماق هذا الخزين صالحة للحياة ، فان مياهه المتجمدة يخف وزنها – بإرادة الله سبحانه وتعالى – لكي ما تلبث أن ترتفع إلى السطح ، ويبقى ما دونها في حالته السائلة.

ولكن السؤال الذي يبرز ها هنا : ماذا لو تحرّك هذا الخزين في عمليات سونامي شاملة كبرى وطغى على السدس المحسور من اليابسة ، ألا يعني ذلك غرق الحياة الدنيا وبوارها في دقائق معدودات ؟

ها هنا ، وبعد التخزين الكبير تجيئ موافقة أخرى تنبني عليه ... انها (التسكين) الذي طالما حدثتنا عنه آيات القرآن الكريم : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٥٣) ، ﴿ . . . وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً . . . ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦١) ، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ . . . ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ١٢) ، ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيتان ١٩–٢٠).

إذن بعد عملية التخزين الكبير تجيئ عملية التسكين المدهش الذي يلجم مياه البحار والمحيطات عن أن تتحرك وتثور وتطغى على اليابسة فتقضي على الحياة ... هذا إلى دقة واحكام التوزيع الحراري للكرة الأرضية الذي يحمي الكتل القطبية من الذوبان والطغيان على اليابسة ...

ونحن نعلم أن الماء الساكن سرعان ما يتعرض للفساد ، ويصبح بيئة صالحة للعفن ولأنواع لا تحصى من الميكروبات التي بمقدورها أن تغزو اليابسة وأن تدمر الحياة على الأرض في

مديات زمنية قصيرة ... وقصيرة جداً ... وهنا تجيئ العملية الثالثة : (التمليح) : وضع الملح في مياه البحار والمحيطات لحفظها من الفساد ، حتى لو مضى عليها آلاف السنين ... يا سبحان الله ... أإلى هذا الحدّ تمضي عملية الإمطار بغائيتها المحكمة إلى هدفها دونما أي قدر من الخلل والاضطراب ... وأية صدفة هي تلك التي ترتب الأسباب على المسببات ، فتخزّن وتسكّن وتملّح وفق ترتيب قصدي تديره إرادة عليا وتغيب فيه أية صدفة على الاطلاق ؟! ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٥٣) ، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ... ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ١٢).

ولكن ماذا عن تحويل هذا الماء المالح الذي لا يمكن شرابه إلى ماء عذب صالح للشرب والسقي والاستخدام اليومي ؟ ها هنا تنبني عملية رابعة على مسار الظاهرة ... وهي عملية (التبخير) التي تفك الارتباط بين ملوحة مياه البحار والمحيطات وبين عذوبتها ، بتسليط قدر مناسب من الحرارة على سطح هذا الخزين الهائل من الماء وتحويله إلى حالة بخارية خفيفة تمكنها من الارتفاع إلى فضاء البحار والمحيطات وقد رشح منها ملح البحار !!

فمن الذي وضع الشمس ، هذا الفرن الذري المتفجر منذ آلاف السنين ، والموضوع في مكانه المناسب تماماً من الأرض ، والذي يدفع إليها بالنسبة المعقولة من الحرارة لكي تمارس عملية التبخير ... فضلاً عن اسهامها في عملية التمثيل الكلوروفيلي الذي تتشكل بموجبه الثمار والبذور والتي بدونها لن تتمكن الحياة من الاستمرار لأسابيع معدودات ... ومن الذي وضع الأرض في مكانها المناسب من الشمس ؟ فلو أنها ابتعدت عنها قليلاً لتجمدت الحياة وقضي عليها ، ولو أنها اقتربت منها قليلاً لتعرضت للاحتراق ؟!

من غير الله (سبحانه وتعالى) ومشيئته المطلقة في ترتيب حلقات الظاهرة وبناء بعضها على بعض بها القدر من الإحكام الذي يستهدف غاية محددة ، ألا وهي إيصال القطرة العذبة إلى أفواه الناس ... وإلى ضرعهم وزرعهم ؟ من غير الله جلّت قدرته ؟! : ﴿ ... وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (سورة الرعد ، الآية ١٢) ، ﴿ ... وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٦٤) ، ﴿ ... حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ... ﴾

(سورة الأعراف ، (الآية ٥٧) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ . . . ﴾ (سورة النور ، (الآية ٤٣).

ولكن ، رغم هذه العمليات الأربع : التخزين ، التسكين ، التمليح ، التبخير ... لم يصل بعد شيء من الماء العذب إلى الإنسان وإلى ضرعه وزرعه ...

هنا تجيئ العملية الخامسة ، بإرادة الله وحده (التحريك) ، وذلك بتسخير الرياح لتحويل هذا الكم الهائل من البخار المعلق في سماوات البحار والمحيطات ، إلى سماء اليابسة ، استعداداً لنزول المطر ... وإذا بنا نجد أنفسنا قبالة رياح تتشكل وتتحرك باتجاهات مختلفة ، تذكرنا بآليات المكائن والأجهزة الميكانيكية التي تتحمل مسؤولية الحركة ذات اليمين وذات الشمال ، وإلى أعلى وإلى أسفل ... فهناك الرياح الموسمية ، والعكسية والبخارية والاعصارية ... و ... و ... تندفع بكل اتجاه لكي تمارس مهمتها بالعدل والقسطاس فتوزع السحب على أكبر قدر من اليابسة ... يا سبحان الله على هذا الاتقان الحكيم ، والتصميم الإلهي الذي لا يندّ عنه شيء في الأرض ولا في السماء : ﴿ . . . حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٥٧) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ (سورة الروم ، (الآيتان ٤٨-٤٩) ، ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٩) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ . . . ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٤٨) ، ﴿ . . . وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؟ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦٣) ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٤٦) ، ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ . . . ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٩) ، ﴿ . . . وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٥).

وفي هذه الآية الأخيرة تحسم الأمور !! فان الذين لا يدركون هذا الاهتمام المنضبط الذي يبني حلقات الظاهرة بعضها على بعض ، والتي إذا غاب أو تعطل أي منها تعطلت الظاهرة وتوقفت عملية إيصال الماء العذب إلى الناس وإلى ضرعهم وزرعهم ، وتوقفت معها الحياة عن

الاستمرار ... الذين لا يدركون هذا كله ، ويطرحون نقيضه فيما يسمى (بالمادية الديالكتيكية) التي تفّسر كل الظواهر الكونية والطبيعية تفسيراً كمياً يتغير إلى معطيات نوعية ، دونما إرادة فوقية مريدة ، تملك القدرة على هذا التحويل المقصود ... لهم فعلاً قوم لا يشغلون عقولهم ، بخلاف أولئك الذين أدركوا الظاهرة ، وفسّروها التفسير العلمي العقلاني الذي لا تتم إلا به ، وبالتالي يصفهم كتاب الله بأنهم (قوم يعقلون) !!

ولكن ، مرة أخرى ، فرغم هذه العمليات الخمس : التخزين ، التسكين ، التمليح ، التبخير ، والتحريك ، فان الناس وضرعهم وزرعهم لم يتلقوا بعد شيئاً من الماء العذب الذي يديمون به حياتهم ويقضون حاجاتهم.

فما تلبث الحلقة السادسة أن تجيئ : تحويل الحالة البخارية للماء المعلق في سماوات الأرض القريبة ، إلى حالة سائلة ، بتلقيح السالب بالموجب وتشكيل القطرات العذبة الثقيلة التي تشدها جاذبية الأرض إلى التساقط مطراً على الأرض : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٢٢).

ها هي ذي حلقة سادسة تدخل على العملية لكي تسوقها إلى غايتها ... انها حلقة (التلقيح) التي تعيد الماء إلى حالته السائلة من أجل أن ينزل مطراً يبعث الحياة في الموات ، ويحي الأرض بعد موتها ...

ومع ذلك نسمع العديد من الأغبياء يقولون انها الصدفة !! أية صدفة هذه التي تبني تلك الحلقات المحكمة بعضها على بعض لكي تحقق المطلوب بقصدية أريد لها منذ البدء أن تصل عبر هذا الممر الطويل من العمليات إلى غايتها المحسوبة ؟!

ولكن رحمة الله (سبحانه وتعالى) لا تقف عند هذا الحدّ وحاشاه ... حيث إذا نزلت المطر دفعة واحدة لم يستفد منها الإنسان وضرعه وزرعه ، كاملة ، وانما هو العشر أو أقل من العشر ، وتمضي الأعشار التسعة الأخرى عائدة مع اندفاع السيول والأنهار ، إلى البحر كرة أخرى ...

ومن ثم تشاء حكمته أن تنبني على حلقة (التنزيل) السابقة حلقة أخرى هي (توزيع) هذا الكم الهائل النازل من السماء ، وبتقسيم عادل ، إلى ثلاثة أقسام : يمضي أولها لكي يغذي الجداول والأنهار ... وينزل ثانيها إلى أعماق الأرض لكي يخزن في مخازنها الجوفية ... ويجمد الثلث الأخير عند قمم الجبال وسفوحها لكي ما يلبث أن يكون خزيناً دائماً لمياه الأنهار في مواسم الصيهود ... والحر ... والجفاف ... وانخفاض مستويات الماء.

يا الله ... كم أنك (جلّ جلالك) سخي عادل مع عبادك الذين لم يقدّر معظمهم نعمك العظمى عليهم ومضوا يضربون ذات اليمين وذات الشمال ... بينما الصراط العدل الذين منحتهم إياه ، بأديانك المنزلة من السماء واضح بيّن كنور الشمس ... يقودهم عبر أكثر الطرق والممرات استقامة إلى أهدافهم ... ولكن وا أسفاه : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ؟ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيات ٦٠-٦٢).

إن عدد المفردات القرآنية عن الظاهرة التي بين أيدينا يبلغ ١٦٢ مرة ، وترد مفردة (المطر) بدلالاتها اللغوية المختلفة في كتاب الله فيما يقرب من الخمسين مرة : الماء ، الصيّب ، الوابل ، الطل ، المدرار ، البركات ، الغيث ، الفرات ، الفجاج ...

ذلك أن بيت القصيد في الحلقات الثمانية هو (المطر) ، فهي التي طالما وصفها القرآن بأنها تحيي الأرض بعد موتها ، وتسقي الأناسي والأنعام والزرع ، وتخرج الثمرات المختلفة الألوان ... ونبات كل شيء ... وتمنح الرزق للعباد ... وتزين الحياة الدنيا ... وتنبت الحدائق ذات البهجة ... وتبدع الأزواج من شتى الصنوف ، وتفتح على الناس البركات ، وتملأ ساحات العالم بالخضرة الواعدة ، وتنشئ جنات النخيل والأعناب والقضب والحبوب والزيتون والرمان : ﴿ ... فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ... ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٥٧) ، ﴿ وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ... ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦٥) ، ﴿ ... وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٥٣) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٦٣) ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۞ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيتان ١٨-١٩) ، ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦٠) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا ... ﴾

(سورة فاطر ، (الآية ٢٧) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (سورة ق ، (الآيات ٩-١١) ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً ۞ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ﴾ (سورة النبأ ، الآيات ١٤-١٦) ، ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ۞ وَعِنَباً وَقَضْباً ۞ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْباً ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ۞ مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (سورة عبس ، (الآيات ٢٤-٣٢) ، ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٤) ، ﴿ . . . فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٥) ، ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴾ (سورة نوح ، (الآيتان ١٠-١١).

ولكن تبقى المعجزة الكبرى للإمطار ، أنها تجيئ الأرض بعد موتها : ﴿ . . . وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٦٤) ، ﴿ وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦٥) ، ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٤٩) ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللّهُ . . . ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٦٣) ، ﴿ . . . وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، الآية ١١) ، ﴿ . . . وَمَا أَنزَلَ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٥) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (سورة ق ، (الآيات ٩-١١) ، ﴿ . . . وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٢٨).

فإذا كان هذا الإحياء لا يجيئ إلا بعد سلسلة محكمة من الحلقات الفيزيائية التي يعقب بعضها بعضاً ، ويقود بالتالي إلى إنزال المطر الذي يحي الموات بإرادة الله سبحانه وتعالى ، وقوله للظواهر والأشياء : كوني فتكون ... أفلا يكون بعث الموتى يوم القيامة الوجه الآخر لقدرة الله سبحانه وتعالى على الأمر نفسه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ١١) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (سورة ق ، (الآيات ٩-١١).

وفي الاتجاه المعاكس تماماً يضرب الله المثل على زوال الحياة الدنيا بالماء النازل من السماء الذي يختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام : ﴿ . . . حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤٥).

الموت والحياة ... الفناء والانبعاث ... الاخضرار والهشيم ... كلها بيد القدرة الإلهية المبدعة التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء والتي إذا أرادت شيئاً أن تقول له :

كن فيكون ... وها هو المطر ينزل وفق هذا المسلسل المدهش من الحلقات المتماسكة التي ينبني بعضها على بعض ، يعطينا شاهداً من بين مئات الشواهد وألوفها ، على قدرة الله سبحانه وتعالى على الاثنتين معاً : الموت والانبعاث : ﴿ . . . وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۞ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ . . . ؟ ﴾ (سورة لقمان ، (الآيتان ١٠-١١).

والآن ... فان تكنولوجيا العالم كله ، على تقدمها الأسطوري المدهش ، لا يمكن أن تقوم مقام الصنع الإلهي بإنزال المطر بهذا الكم الهائل الذي يغطي مساحات الأرض ... ولقد جرت محاولات في هذا السبيل ولكنها في نهاية الأمر لم تأت بطائل على الاطلاق ... ومن ثم كان الإذعان لأمر الله (سبحانه وتعالى) ، حتى من أشد الناس كفراً ومروقاً : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٦٣) ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ ۞ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الواقعة ، (الآيات ٦٨-٧٠).

ومن نعم الله (سبحانه وتعالى) أن الماء النازل من السماء مبارك وطهور وعذب فرات من أجل أن يؤدي وظيفته الكاملة ليس للشرب فحسب ، بل للاستعمالات اليومية كافة بما فيها الوضوء ، والاستحمام والطبخ وغسل اليدين والملابس والأثاث : ﴿ . . . وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ١١) ، ﴿ . . . وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ۞ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآيتان ٤٨-٤٩) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (سورة ق ، (الآية ٩) ، ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً ﴾ (سورة المرسلات ، (الآية ٢٧).

ومن نعمه كذلك أن ينزل الماء بقدر ... وإلا سيكون وبالاً على الحياة ... ولسوف يغرق الأخضر واليابس فيفقد وظيفته الأساسية في إدامة الحياة وصيرورتها : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٢١) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(سورة الزخرف ، (الآية ١١) ، ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾(سورة الشورى ، (الآية ٢٧) ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ١٨) ، ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . ﴾(سورة الرعد ، (الآية ١٧).

ولطالما ربط القرآن بين إنزال المطر ، هذا الخير العميم للبشرية ولضرعها وزرعها ... ولإدامة الحياة وتنميتها ، وبين سلوك الأقوام والجماعات ... إنه الوعد الإلهي لأولئك الذين يلتزمون الصراط ، ويستجيبون لكلمات الله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٩٦) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾(سورة هود ، (الآية ٥٢) ، ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً ﴾(سورة الجن ، (الآية ١٦).

ولكن عدل الله يمضي لكي يديم الحياة حتى بالنسبة لمن لا يؤمنون ... من أجل منحهم الفرصة كاملة وامتحانهم لعلهم يرجعون : ﴿ . . . وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ۞ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً ﴾(سورة الفرقان ، (الآيتان ٤٨-٤٩) ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ؟ ﴾(سورة السجدة ، (الآية ٢٧) ، ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٦) ، ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً ۞ فَأَنبَتْنَا

فِيهَا حَبّاً ۞ وَعِنَباً وَقَضْباً ۞ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْباً ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ۞ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (سورة عبس ، (الآيات ٢٤-٣٢).

إنها سنن الله العاملة في الكون والطبيعة والحياة ، وهو جلّ جلاله القائل : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٢٠).

ويضرب الله (سبحانه وتعالى) بالمطر النازل من السماء ، الأمثال للناس ، وهي تجيئ بمثابة تعاليم مجسدة في صور حسية منظورة ، لعلها تقودهم إلى الصواب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة، (الآيتان ٢٦٤-٢٦٥) ، ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ١١) ، ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (سورة ق ، (الآيات ٩-١١) ، ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤٥) ،

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ ! ! ﴾ (سورة النور ، (الآية ٣٩) ، ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآيتان ١٩-٢٠) ، ﴿ . . . فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٦٦) ، ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (سورة الرعد ، (الآيتان ١٢-١٣) ، ﴿ . . . وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ (سورة النور ، (الآية ٤٣) ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٢٤) ، ﴿ . . . فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٤٨) ، ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ (سورة الطارق ، (الآيات ١١-١٤) ، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً . . . ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٠).

بعد هذه الدلائل كلها على إبداعية الله في الطبيعة ، ألاّ يتحتم أن ينحني الإنسان لقدرته التي مالها من حدود ؟ ألاّ يتوجب أن يسجد لهذا الملك العظيم الذي أغدق نعمه على الحياة بهذا القدر من الإحكام والسخاء ؟

من أجل ذلك نجد (القيمة) التي تكرر نفسها في نهاية كل آية تتعلق بالموضوع هي ﴿ أفلا يبصرون ؟ ﴾ ﴿ لقوم يعقلون ؟ ﴾ ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ ... فليس إلا العميان الذين طمس على أبصارهم وعقولهم من لا يقدّر هذا كله ، ولذلك يسوقهم كتاب الله إلى خانة الدواب والأنعام : ﴿ . . . أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٧٩) ، ﴿ . . . إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٤٤).

في الحلقة الثامنة من هذا المسلسل المدهش ينقسم الماء النازل من السماء مطراً ، ولحكمة الله ورحمته بعباده إلى ثلاثة أقسام كي لا يذهب هدراً إلى البحر ... يمضي قسم منه ليشكل الأنهار ويغذيها بالماء : ﴿ ... وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ ... ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٦) ، ﴿ ... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً ... ﴾(سورة الرعد ، (الآية ٣) ، ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ﴾(سورة الرعد ، (الآية ١٧) ، ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٥) ، ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ﴾(سورة مريم ، (الآية ٢٤) ، ﴿ ... وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً ... ﴾(سورة النمل ، (الآية ٦١) ، ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾(سورة الزخرف ، (الآية ٥١) ، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾(سورة نوح ، (الآية ١٢).

ويمضي القسم الآخر إلى باطن الأرض وتجاويفها لكي يخزن هناك ، ثم ما يلبث أن يتدفق آباراً ومجاري وعيوناً ، لتلبية حاجات الإنسان ، بوسيلة آلية أو بغير ما وسيلة ... انها ما يسميه الجيولوجيون وعلماء الري : المياه الجوفية التي تعين الأنهار على تأدية وظيفتها الأساسية في إدامة الحياة : ﴿ ... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ... ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٧٤) ، ﴿ ... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء ... ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٧٤) ، ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٦٠) ، (وأنظر سورة الأعراف ، (الآية ١٦٠) ، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٩٠) ، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾(سورة الحج ، (الآية ٤٥) ، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾(سورة المؤمنون ، الآية ٥٠) ، ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾(سورة الشعراء ، (الآيتان ١٣٣-١٣٤) ، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

﴿ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ . . . ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٢١) ، ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة الدخان ، (الآية ٢٦) ، ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة الدخان ، (الآيتان ٢٥-٢٦) ، ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ (سورة النازعات ، (الآية ٣١) ﴿ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (سورة النازعات ، (الآية ٣٣) ، ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ . . . ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٢٣).

حدّثني رئيس قسم الجيولوجيا (طبقات الأرض) في كلية العلوم بجامعة الموصل ، عن آخر كشف لعلماء الجيولوجي : جدار طيني غير مسامي عازل ، وهو الجدار الثالث لمخازن المياه الجوفية ، والذي يمنع تسّرب قطرة واحدة من الماء في التجاويف الأرضية ، ويحمي هذا الخزين المعجز ، لحين الإفادة منه في إدامة الحياة ، حيث قد لا تكفي ، أو تصل مياه الأنهار إلى كل بقاع الأرض ... فتلوت عليه هذه الآيات الأربع التي تؤكد هذه الظاهرة المدهشة : ﴿ . . . فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٢٢) ، ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤١) ، ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ١٨) ، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ؟ ﴾ (سورة الملك ، (الآية ٣٠).

أليس هو الله الذي لا إله إلا هو ، الذي جعل للمخازن الجوفية ثلاثة جدران ، كان آخرها ذلك الذي لا تنفذ منه قطرة واحدة من ماء ؟ فماذا لو لم تتحقق هذه المعجزة ألا يمكن للمياه أن تذهب هدراً ، وتغور في أعماق الأرض بعيدة عن متناول الإنسان ، حتى لو امتلك تكنولوجيا العالم كله ؟!

ومرةً أخرى يجد الإنسان نفسه يردد : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ . . . ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ١١).

وأما القسم الثالث من مياه الأمطار النازلة من السماء فيذهب إلى أعالي الجبال والمناطق الباردة ، حيث درجات الحرارة المنخفضة تسوقه إلى التجمد في كتل هائلة ، تمثل هي الأخرى

خزيناً دائماً يتدفق مجاري وشلالات ، لكي يغذي الأنهار في موسم الحرّ حيث ينخفض مستواها من جهة ، ويتعرض الثلج المتجمد للذوبان من جهة أخرى.

فيا سبحان الله على هذا الاحكام في واحدة فحسب من الظواهر الطبيعية والذي تنتفي معه الصدفة رياضياً وفيزيائياً بأي شكل من الأشكال ، وتتأكد الغائية التي تسوق الظاهرة عبر مراحلها المتعاقبة المبنية بعضها على بعض ، بإرادة فوقية مريدة ، إلى هدفها.

ويبقى الماء في المنظور القرآني هو أساس الحياة ووحدة تكوينها الأولى : نباتاً وحيواناً وإنساناً : ﴿ . . . وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٣٠) ، ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء . . . ﴾(سورة النور ، (الآية ٤٥) ، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ ﴾(سورة السجدة ، (الآية ٨) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾(سورة الفرقان ، (الآية ٥٤).

فأين هذا ، مرةً أخرى ، من تفسير المادية الديالكتيكية الذي يقول بتحوّل المتغيرات الكمية إلى متغيرات نوعية ، دونما مداخلة خارجية ، فيما دفع سوليفان في (حدود العلم) إلى تسميتها بنظرية السخف الطائش ؟

وأين هذا من مقولات العلمانيين الملتوية التي تقول بأن الطبيعة تصنع بذاتها هذا كلّه ؟ إن النظريتين اللتين تصلان ، كما يقول الكساندر غراي وسوليفان ، حد السخف والفجاجة ، لتتهافتان بمجرد مقارنتهما بالرؤية القرآنية المحكمة ، والمنطقية ، والتي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، أليس هي من معطيات الله جل في علاه ... المالك لهذا الكون ، والحاكم بأمره على كل ما يجري أو يتشكل فيه ، بدءً وكينونة ، وصيرورة ، ومصيرا ؟!

مستويات الخطاب الإلهي لرسول الله
(صلى الله عليه وسلم)

وهذه معجزة أخرى من معجزات هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه ... إنها خطاب الله (سبحانه وتعالى) لرسوله المبعوث (صلى الله عليه وسلم) والذي يتدرج ما بين التقييم والمواساة واللوم والعتاب ويمضي باتجاه الأوامر الصارمة ، وتأكيد العبودية المطلقة لرسول الله ، وسحب صلاحيته ، وخضوعه لواقعة الموت ، والمنة والفضل عليه ، وتجريده من القداسة وادّعاء الغيب ، وصولاً إلى تجهيله ، وتصحيح أخطائه ، وتحذيره ، ثم التنديد به ومضاعفة العقوبة !!

إنه بإيجاز شديد الخطاب الموجه من الأعلى إلى الأدنى ، ومن الآمر إلى الجندي ، ومن الله إلى العبد ... أوامر إلهية لإنسان يعمل عند جهة عليا ... تجرّد فريد إزاء جبروت الله وعلمه المطلق ...

إن كل فتح أو نعمة أو أمن نفسي أو نصر أو اجتياز لامتحان صعب ، انما ينسب إلى الله (جل في علاه) وليس لرسوله فيه قلامة ظفر !!

وإنه لواحد من أشد الأدلة الوجدانية اقناعاً ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، على أن هذا النبي الإنسان ، محمد (صلى الله عليه وسلم) انما هو مبعوث من الله سبحانه وتعالى ... وأنه ستار القدرة ، ولا شيء له من الأمر ... وإلا لأخطأ مرة واحدة ... واحدة فقط ... ونسب لنفسه المكاسب التي حققها وحاشاه ... بل إنه طالما تلقى تنديداً ، وخطابا يتميز بالقسوة والقوة والتلويح بالعقاب ، بل بمضاعفة العقوبة في حالة ممارسة أي انحراف عن الأوامر التي تجيئه من فوق ... وحاشاه ...

إن هذا وحده كاف للتأكيد الي لا يقبل مماحكة ولا جدلاً ، على نبوّة الرسول وتلقيه عن السماء قبالة دعاوى الوضعيين وتألههم المغشوش ...

والحق أن هذا الموضوع ينطوي على أهميته البالغة باتجاه آخر ، فبالرغم مما كتب عن أخلاق الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دراسات السيرة مستمداً من مصادر السيرة والتاريخ وكتب الشمائل ... فان معالجة أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) من المنظور القرآني ، لم تعط – بعد – حقها كاملاً من البحوث والدراسات ، رغم أن القرآن الكريم يقدم معطيات غنية وخصبة تساعد على رسم صورة دقيقة وشاملة للموضوع ، فضلاً عن أنها تحمل مصداقيتها المطلقة بسب ارتباطها بالنص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

والموضوع – فضلاً عن هذا كله – يفتح المجال لإجراء مقارنة علمية متأنية بين الصورة التي تقدمها كتب السيرة والشمائل والتاريخ عن شخصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتلك التي يقدمها القرآن الكريم ، والتي تزيدها كتب التفسير ايضاحاً ...

الآيات والمقاطع القرآنية التي تحمل الخطاب الإلهي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في مستوياتها العديدة ، ما بين التقييم والتنديد ، واضحة بيّنة في دلالتها ، لا تحتاج إلى مداخلة

أو تعليق أو إيضاح ... فهي بشحناتها الوجدانية المؤثرة تكفي دليلاً قاطعاً على ان هذا الكتاب منزل من عند الله (سبحانه وتعالى) ، وتقطع الطريق بالدليل القاطع على القائلين والمشككين بأنه من عند رسوله ... فلنتابع هذا الخطاب عبر تقسيمه إلى ثلاثة عشر مستوى دونما أي مداخلة منا قد تكون لا ضرورة لها على الاطلاق ...

1. التقييم

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٤) ، ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٤) ، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٣) ، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٣) ، ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٧) ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ٣١-٣٢) ، ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ٨١-٨٢) ، ﴿ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٣٢) ، ﴿ تِلْكَ حُدُودُ

اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة النساء ، (الآيتان ١٣-١٤) ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً ﴾ (سورة النساء ، (الآيتان ٤١-٤٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٥٩) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ۞ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ۞ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآيات ٦٠-٦٥) ، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ۞ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآيتان ٦٩-٧٠) ، ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ۞ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾ (سورة النساء ، (الآيتان ٨٠-٨١) ، ﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ

فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(سورة النساء ، (الآية ٨٣) ، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٦٣) ، ﴿لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٦٦) ، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(سورة النور ، (الآية ٥٤) ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(سورة النور ، (الآية ٦٢-٦٣) ، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾(سورة النمل ، (الآية ٧٩) ، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً ﴾(سورة الأحزاب ، (الآية ٦) ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً ﴾(سورة الأحزاب ، (الآية ٣٦) ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾(سورة الأحزاب ، (الآيتان ٤٥-٤٦) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ

وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ٥٣) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيتان ٥٦-٥٧) ، ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم ، (الآيات ١-٤) ، ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة القلم ، (الآيتان ٥١-٥٢) ، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة التغابن ، الآية ١٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات ، (الآية ١-٥) ، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ۞ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾ (سورة الفتح ، (الآيات ١-٣) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (سورة الفتح ، (الآيات ٨-١٠) ، ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً ﴾ (سورة الفتح ، (الآية ١٣) ، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (سورة الفتح ، (الآية ١٨) ، ﴿ إِذْ

جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ۞ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ۞ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(سورة الفتح ، (الآيات ٢٦-٢٩) ، ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾(سورة الطور ، (الآية ٢٩) ، ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾(سورة الطور ، (الآيتان ٤٨-٤٩) ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾(سورة النجم ، (الآيات ١-١٨) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾(سورة محمد ، (الآية ٣٣) ، ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾(سورة المنافقون ، (الآية ١) ، ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(سورة

العلق ، (الآيات ١-٥) ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ٣٨-٤٣) ، ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (سورة البلد ، (الآيات ١-٤) ، ﴿وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۞ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۞ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۞ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۞ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (سورة الضحى ، الآيات ١-١١) ، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۞ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۞ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۞ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (سورة الشرح ، (الآيات ١-٨) ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (سورة الكوثر ، (الآيات ١-٣).

2. المواساة

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٧٦) ، ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (سورة النساء ، (الآية ٨٤) ، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ

أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآيتان ٤١-٤٢) ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٦٨) ، ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧) ، ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٠) ، ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ٣٣-٣٤) ، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۞ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۞ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (سورة الحجر ، (الآيات ٩٥-٩٩) ، ﴿ طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ (سورة طه ، (الآيات ١-٣) ، ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۞ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (سورة طه ، (الآيات ١٣٠-١٣٢) ، ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۞ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآيات ٢١٣-٢٢٠) ، ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن

دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ (سورة الزمر ، (الآيتان ٣٦-٣٧) ، ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآيتان ٤٣-٤٤) ، ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٣٥) ، ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ (سورة ق ، (الآيتان ٣٩-٤٠) ، ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سورة ص ، (الآيات ٨٦-٨٨) ، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٥٥) ، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٧٧) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۞ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (سورة فاطر ، (الآيات ٢٤-٢٦) ، ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ (سورة الطور ، الآيات ٤٥-٤٩) ، ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ (سورة النجم ، (الآيتان ٢٩-٣٠) ، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ (سورة القمر ، (الآية ٦) ، ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (سورة المعارج ، (الآيات ٥-٧) ، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ فَارْتَقِبْ

إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ (سورة الدخان ، الآيتان ٥٨-٥٩) ، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ۞ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيتان ٥٤-٥٥).

3. اللوم والعتاب

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآيتان ٩٤-٩٥) ، ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٦) ، ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة هود ، الآية ١٢) ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (سورة هود ، (الآيتان ١١٢-١١٣) ، ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ ۞ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة القلم ، (الآيات ٤٨-٥٠) ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآيتان ١٨-١٩) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة التحريم ، (الآيتان ١-٢) ، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ (سورة عبس ، (الآيات ١-١١) ، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ

لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (سورة القيامة ، (الآيات ١٦-١٩) ، ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٦) ، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٨).

4. الأوامر الصارمة

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآيتان ١٤٩-١٥٠) ، ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٢٠) ، ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٦١) ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٦٤) ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٥٩) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٦٧) ، ﴿ وَإِذَا

رَأَيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٦٨) ، ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧٠) ، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٠) ، ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٢) ، ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة الأنعام، (الآية ١٠٦) ، ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٢٠٥) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٤) ، ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٩) ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۞ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة هود ، (الآيات ١١٢-١١٥) ، ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٩٤) ، ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ۞ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ٧٨-٨٠) ، ﴿ وَاتْلُ مَا

أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ۞ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآيتان ٢٧-٢٨) ، ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۞ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (سورة طه ، (الآيات ١٣٠-١٣٢) ، ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيتان ٩١-٩٢) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٣) ، ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ ۞ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۞ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ﴾ (سورة الزمر ، (الآيات ١١-١٤) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيات ١-٣) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ۞ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيتان ٧-٨) ، ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ . . . ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ٣٧) ، ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ٥٢) ،

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٥) ، ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (سورة القلم ، (الآيات ٨-١٦) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (سورة المدثر ، (الآيات ١-٧) ، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٣٠) ، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٤٣) ، ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٤٥) ، ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٦٦) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة التحريم ، (الآية ٩) ، ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾ (سورة العلق ، (الآية ١٩) ، ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۞ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۞ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۞ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۞ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۞ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ (سورة الأعلى ، (الآيات ١-٩) ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ۞ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ (سورة الإنسان ،

(الآيات ٢٣-٢٦) ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ١٨-١٩) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۞ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (سورة النساء ، (الآيات ١٠٥-١٠٧) ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآيات ١٢٥-١٢٨).

5. العبودية المطلقة

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيات ١٤-١٩) ، ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٥٠) ، ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة

الأنعام ، (الآية ٧١) ، ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٢٠٣) ، ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآيتان ١٥-١٦) ، ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٧) ، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ١) ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآيتان ٨-٩) ، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الملك ، (الآيتان ٢٨-٢٩) ، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (سورة الجن ، (الآيات ٢٠-٢٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۞ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾ (سورة المزمل ، (الآيات ١-١١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (سورة المدثر ، (الآيات ١-٧) ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٧٨) ، ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (سورة محمد ، (الآية ١٩) ، ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة سبأ ، (الآية ٤٧) ، ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سورة سبأ ، (الآية ٥٠) ، ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة الواقعة ، (الآيتان ٧٣-٧٤) ، ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (سورة النصر ، (الآيات ١-٣).

6. سحب الصلاحية

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٧٢) ، ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٢٠) ، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٢٨) ، ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٧٩) ، ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٩٩) ، ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قُل لاَّ

أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۞ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيات ٥٦-٥٨) ، ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٦٦) ، ﴿ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٠٧) ، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ١١٦-١١٧) ، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٨٨) ، ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٩٩) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٨) ، ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٢) ، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ١٧) ، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٦٣) ، ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٨٠) ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٨٢) ، ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٥٤) ، ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ١٠٥) ، ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيتان ٨٠-٨١) ، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٥٦) ، ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ١٩) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٤١) ، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٤٦) ، ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٦) ، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٤٨) ، ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (سورة ق ، (الآية ٤٥) ، ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآيتان ٥٢-٥٣) ، ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٥٠) ، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٧٧) ، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ (سورة فاطر ، الآية ٢٢) ، ﴿ سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (سورة المنافقون ، (الآية ٦) ، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۞ إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۞ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۞ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

(سورة الغاشية ، (الآيات ٢١-٢٦) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآيتان ٨-٩) ، ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٤٠).

7. الخضوع لواقعة الموت

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ١٤٤-١٤٥) ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآيتان ٣٠-٣١) ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيتان ٣٤-٣٥).

8. المنة والفضل

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٥٩) ، ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيتان ٨٦-٨٧).

9. التجريد من القداسة وادّعاء الغيب

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٨٨) ، ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢٠) ، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤٩) ، ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٢) ، ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ٩٠-٩٣) ، ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيتان ٩٧-٩٨) ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٣٨) ، ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ٦٣) ، ﴿ اللّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٧) ، ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللّهِ وَإِنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الملك ، (الآيتان ٢٥-٢٦) ، ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً ۞ ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ۞ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ۞

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ (سورة الجن ، (الآيات ٢٥-٢٨) ، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ۞ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (سورة النازعات ، (الآيات ٤٢-٤٦) ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٦) ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١١٠) ، ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . . .﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ٥٨-٥٩) ، ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٩).

10. التجهيل

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٤٤) ، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨٨) ، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلَادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ١٩٦-١٩٧) ، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٦) ، ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٢٠٥) ، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة هود ، (الآية ٤٩) ، ﴿وَمِمَّنْ

حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ١٠١) ، ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ٣) ، ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ١٠٢) ، ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة القصص ، (الآيات ٤٤-٤٦) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٥٢) ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٤٨) ، ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة ص ، (الآيتان ٦٩-٧٠) ، ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المنافقون ، (الآية ٤) ، ﴿ الْحَاقَّةُ ۞ مَا الْحَاقَّةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ١-٣) ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٨٥) ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۞ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۞ ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيات

١٠٩-١١١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾ (سورة الطلاق ، (الآية ١) ، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١١٣).

11. تصحيح الأخطاء

﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۞ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيتان ٤-٥) ، ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ۞ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ۞ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيات ٣٧-٤٠) ، ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٤٣).

12. التحذير

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٥) ، ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٧) ، ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٦٠) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً ۞ وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ۞ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ۞ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ۞ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ۞ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ۞ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآيات ١٠٥-١١٣) ، ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤٩)، ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٣٥)، ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ،

(الآية ٥٢) ، ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٤) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٣٧) ، ﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ٢١٣) ، ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٢٨) ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُواْ أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ ۞ وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة القصص ، (الآيات ٨٦-٨٨).

13. التنديد ومضاعفة العقوبة

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٦١) ، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآيتان ٦٧-٦٨) ، ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ۞ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ۞ إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ٧٣-٧٥) ، ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ١٣) ، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة الزمر ،

(الآيتان ٦٥-٦٦) ، ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾(سورة الرعد ، (الآية ٣٧) ، ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً ﴾(سورة الأحزاب ، (الآية ٣٠)، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(سورة الحاقة ، (الآيات ٤٤-٤٧).

فأية مصداقية هذه التي يخاطب فيها الله (سبحانه وتعالى) رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) وفق هذه المستويات التي تتدرج ما بين التقييم والتنديد ... فلو كان هذا الكتاب من عند غير الله ، كما يدعي الملاحدة والمشككون ، اكان يمكن أن يخاطب الرسول نفسه بهذا الأسلوب الذي يكاد يجردّه من كل شيء ويضعه على حافة المساءلة والعقاب ؟

انها ، مرة أخرى ، العقول التي طمس عليها ، والقلوب التي علاها الصدأ ، والأرواح التي غرقت في العتمة ، والعيون التي فقدت القدرة على التمييز بين الألوان فأصابها العمى ، والنفوس التي التوت بالحقد الأسود على كل ما هو وضيء مشع في هذه الدنيا ... والأهواء التي تنحرف بالمدلجين في الظلمات عن الصراط ، وتقودهم عبر الطرق الملتوية وهم يتعاملون مع الحقائق الربانية الواضحة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ... والأنانية التي تأسر هؤلاء في دائرة الادعاء والغرور والانتفاخ الكاذب ومط الحقائق الجزئية ، واعتبار فلسفاتهم وعقائدهم ومناهجهم المفتاح الوحيد للكون والعالم والحياة ، من أجل أن يسوقوا وراءهم عدداً أكبر من العبيد والمستذلين والاتباع ...

ها هنا نجد أنفسنا بإزاء أحد الفروق الحاسمة بين ما يقوله ويفعله أرباب المصالح والأهواء والظنون ، وما يتلقّاه ويقوله ويفعله الأنبياء الكرام (عليهم أفضل الصلاة والسلام) ... وهو فارق يكفي وحده لكي نعرف الخسارة الكبرى لقطعان الضالين ، الأذلاء ، المستلبين ، السائرين وراء الأرباب المزيفين ، والمتألهين في الأرض ... ولكي نعرف – في المقابل – الكسب العظيم المشرف لكل المنتمين لشريعة الله سبحانه وتعالى ، الملتزمين تعاليم أنبيائه الصديقين (عليهم السلام).

هناك الكذب والانحراف والتخبط والتضارب والالتواء والضلال والخسران المبين ، وهنا الصدق والاستقامة والوضوح والانسجام والهدى والكرامة ، والصراط الذي يقود إلى الهدف عبر أقصر المسافات وأكثرها وضوحاً واستواءً واعتدالاً ...

ونعرف عند ذاك ما الذي تريد أن تقوله كلمات الله وهي تتحدث عن هؤلاء الأرباب المتقلبين ، من الملاحدة والمشككين ، وتحذر من الانزلاق إلى مصائدهم في الوقت نفسه فهم : ﴿ . . . إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ . . . ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) بينما يتبع المؤمنون الهدى الآتي من عند الله (سبحانه وتعالى): ﴿ . . . وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) ... وهم – أي الأرباب – يقيمون مناهجهم على الأسماء والقيم والرموز الموهومة المجردة من الفاعلية ، والتي لا تملك أيما قدرة أو سلطان : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . . ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) ، بينما يقيم الأنبياء (عليهم السلام) مناهجهم على القيم والضوابط والمعايير والتعاليم القادمة من عند الله الواحد ، المسيطر ، المريد ، العالم ، الخبير ، القوي ، القادر على الفعل والخلق بقوة الكلمة ...

إنه الفارق الكبير بين أخلاقية المتسلطين من قادة الفكر والسياسة وأرباب المذاهب والفلسفات ، والدعوات الوضعية ، وبين أخلاقية الأنبياء ... رسل الله إلى البشرية ... (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

ومرة أخرى ... وثالثة وعاشرة ... فان هذا الفارق وحده يكفي للتحذير ... يكفي لكي يقول للناس : انتبهوا ... احذروا الخدعة ... يكفي لكي يرسم طريقين كل منهما يمضي إلى هدف ... أحدهما ينتهي عند الشيطان ، والآخر يؤول إلى الله (سبحانه وتعالى) ...

وطريق الشيطان يقدّم – في بدء التحليل ونهايته – صورة بشعة حقاً للعلاقات البشرية ، وهي تتميع بشكل مفجع ، وتفتقد أية قيمة حقيقية ثابتة تستند إليها ، وتمنحها الديمومة والاستمرار ... والأنكى من هذا أن تفككاً رهيباً كهذا يصيب وجه الحياة البشرية بالدمامل والبثور، ويقتل وجهها المضيء الجميل ، انما يجد تبريره العقلي في فلسفة ما من الفلسفات البشرية المعوجة القائمة على الميل والظن والهوى ، وما دام أن المفكر الوضعي لا يمكن – بحال – أن يتحرر من الميول والظنون والأهواء ، فانه سيظل يلد فلسفات قاتمة كهذه ، سيئة إلى الحدّ الذي يقف بصراحة ، بل بوقاحة ، أمام تفرد الحياة البشرية ونقائها ، وسعيها الجاد صوب الأحسن والأرقى ، ويرغمها على أن تمارس العلاقات بصيغتها اللاانسانية ، كما يحدث في المجتمعات الحشرية سواء بسواء ...

وهكذا فان الفلسفة البراغماتية (الذرائعية) التي انبجست في أمريكا – على سبيل المثال – ليست شيئاً جديداً على خارطة الفكر الوضعي ، كما أن (الوضعية) و(الفرويدية)

و(الداروينية) و(الماركسية) ، والخلفيات الفكرية المعوجة لنظريات الحداثة النقدية التي تسعى إلى قتل الإله والإنسان معاً ، ليست شيئاً جديداً ...

وهكذا فاذا خان الزوج زوجه وخدع صديق صديقه فان الجواب عند (ابيقور) ، وإذا غدر شعب بشعب ، وذبحت طبقة طبقة أخرى كان الجواب عند (هيغل) و(ماركس) ، وإذا تجاوز إنسان ما حدود المحرمات ففسق بها وجد (فرويد) محامياً قديراً على تبرئة ساحته ... وإذا تحركت المجتمعات بروح القطيع الأعمى وراء قادتها وطواغيتها وجزاريها ، وجدت التبرير في فلسفة (دركايم) ... وإذا ما أسقطت أمريكا قنبلتين ذريتين ذبحت بهما مدينتين يابانيتين وتركت ذراريهما تتلوى من الألم ... وغزت أفغانستان والعراق مخلفةً فيهما ركاماً من اليورانيوم المخضب الذي قتل ولا يزال ملايين الناس ، وجد تفسير ذلك في نظرية (هوبز) التي أخذ بها زعماء أمريكا ... وإذا ما سعى الحداثيون – وسط عنفوان جنونهم العقلي – إلى قتل الإله والإنسان معاً ... عثروا على المفتاح عند نيتشه الذي انتهى به الأمر في مستشفى الأمراض العقلية ... وعند (فوكو) الذي اتهم في بولندة بالشذوذ الجنسي ثم ما لبث أن توفي بمرض الايدز !!

عشرات ... مئات من الآلهة والأرباب المزيفة ... ومن الأصنام المبعثرة على قارعة كل طريق ، كانت – وستظل – تحكم عقل الإنسان ، وتتحكم في وجدانه وروحه في كل زمن ومكان ...

ولن يتحرر الإنسان – بحق – إلا بالدين القادم من عند الله سبحانه وتعالى ، العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، المهيمن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ... الخبير الذي يعلم من خلق وهو بكل خلق عليم ...

وليس ثمة بعد الدين الحق ، إلا ما قاله القرآن الكريم بكلماته المعجزة فاختصر به مأساة الحياة البشرية ومنحها – في الوقت نفسه – الطريق الذي يخرج بها إلى برّ الأمان ، الوضيء ، النظيف ، السعيد : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (سورة النجم ، (الآية ٢٣).

الطاغوت وتوقيت العقاب الإلهي

[1]

ما أكثر عجلة الإنسان ونفاد صبره ...

وما أكثر ما يعمى ويغمض عينيه عن رؤية الحقائق القاطعة والواضحة للعيان ...

وما أكثر ما ينسى سنن الله العاملة في التاريخ ، وقوانينه الصارمة الماضية في الكون ...

وما أكثر ما يريد القطاف سريعاً عاجلاً دونما أي حساب لشبكة العوامل التي تقتضي تأجيله ...

تلك هي طبيعة الإنسان ... وتلك هي خصيصة مركوزة في جبلته ... وطالما حدثنا عنها كتاب الله ، ولفت أنظارنا إليها من أجل أن نتدبر الأمور ، ولا نستعجل النتائج فنقع في الخطأ ... والخطأ كما يقول السياسي العجوز تاليران (أكبر من الجريمة) !! ذلك أن هناك من يسوقهم استعجال الهلاك للظالمين ، إلى الشك في موقفهم الديني من أساسه !! وكأن لسان حالهم يقول : إذا كان الله (سبحانه وتعالى) موجوداً وهو يملك القدرة بكلمة **(كن)** فلماذا هذا التأخير في إنزال العقاب ؟!

﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٣٧) ، ﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ١١) ، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾(سورة ص ، (الآية ١٦) ، ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ . . . ﴾(سورة الأحقاف ، (الآية ٣٥) ، ﴿ . . . مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٥٧) ، ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٥٨) ، ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٥١) ، ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾(سورة الذاريات ، (الآية ١٤) ، ﴿ أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ١) ، ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾(سورة الصافات ، (الآيتان ١٧٥-١٧٦) ، ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾(سورة الذاريات ، (الآية ٥٩) ، ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللّهُ

وَعْدَهُ . . . ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٤٧) ، ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١١) ، ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ (سورة الإنسان ، (الآية ٢٧) ، ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٦).

والحق أن هناك في منظومة القرآن السننية شبكة من الشروط التي يمسك بعضها برقاب بعض ، وينبني بعضها على بعض في مسألة تحديد الأجل أو إنزال العقاب ... وإلا أصبح العقاب – وحاشا لله – مجانياً مدمراً للحياة واستمراريتها وصيرورتها : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٤٥).

فهو – إذن – الامهال وليس الإهمال ، المرسوم في علم الله وفي موعده المحدد الذي إذا جاء فلن يؤخره شيء في هذا العالم ... إنه – أولاً – إهلاك محتوم : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٣) ، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٩٨) ، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٥٨) ، ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ٨) ، ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٥٩).

وهو – ثانياً – محدد بآجاله الثابتة التي لا تتقدم أو تتأخر لحظة واحدة : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٣٤) ، ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ

مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦١) ، ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۞ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآيتان ٤-٥) ، ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٢٩) ، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ۞ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآيتان ٥٨-٥٩) ، ﴿ . . . وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٤).

وهو – ثالثاً – إذا جاء فلن يقف أمامه شيء ، لا القوة ولا العدد ولا التقدّم العمراني : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً . . . ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٦٩) ، ﴿ . . . أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٧٨) ، ﴿ . . . كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٩) ، ﴿ . . . كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٤٤) ، ﴿ . . . كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٢١) ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (سورة محمد ، (الآية ١٣) ، ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ٨) ، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٧٤).

اننا هنا نتحدث عن (قوة الله) التي لا يعجزها شيء في السماوات والأرض ، قبالة قوة الطواغيت التي لا تعني شيئاً على الاطلاق في موازين القوى الكونية ... والتي (تفركها) الإرادة الإلهية كما (تفرك) البعوضة فتخرجها من الوجود.

وبهذا كله يستقر عقل المؤمن ، وقلبه ، إلى المصير الذي سينتهي إليه هؤلاء مهما طال بهم السرى ، فانهم جميعاً في القبضة الإلهية التي لن يفلت أحد منها : ﴿ . . . وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ٨) !!

ثم ان العدل الإلهي يقتضي ، لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى ، أن يمنح الفرص للجميع مؤمنهم وكافرهم ، تقيّهم وفاجرهم ... على السواء ، ما دام قد كتب لهم الحياة ، فليأخذ كل منهم حظه الكامل منها شقياً أم صدّيقاً : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ۞ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ۞ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ١٨-٢١) ، ﴿ . . . وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٤٥) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٢٠) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة هود ، (الآيتان ١٥-١٦) ، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٢٠) ، ﴿ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٠٩) ، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٣٤).

ولقد شاءت حكمته (سبحانه وتعالى) أن يجعل الإمداد للطغيان يحقق هدفين اثنين ما كانا ليتحققا لولا الفرصة المفتوحة لعشاق الضلال ... فأما الهدف الأوّل فيتمثل في إعطاء

مساحة مناسبة للضالين والطواغيت لعلهم يثوبون لرشدهم ويرجعون للحق ، ولعلهم – بعد ذلك – يندفعون في الاتجاه المضاد بأقصى ما يستطيعون للتعويض عن زمن الضلال : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٢١) ولقد لمسنا هذا في مواقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من رجال الملأ من الوثنيين من قريش ومن أهل الطائف ، حيث عرض عليه جبريل (عليه السلام) وقد رأى ما يفعله المكيون برسول الله وأصحابه من كيد وبطش وأذى وتعذيب ، أن يطبق عليهم الأخشبين في لحظات من عمر الزمن ، لكن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبى ودعا الله أن يغفر لقومه لعلهم يرجعون. والأمر نفسه لدى حصاره الطائف حيث رفض أن يصّر على مواصلة القتال وتركهم لكي يجيئوا بأنفسهم ويعلنوا إسلامهم ... والنتيجة في الحالتين أن أهل مكة والطائف هم الذين تأبوا على حركة الردة والتنبؤ التي غطت على جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، وهم الذين تولوا كبر مقاومتها ، وهم الذين برز منهم القادة الفاتحون الكبار الذين أسقطوا إمبراطوريتي كسرى وهرقل وغيروا خرائط العالم.

وما أكثر أولئك الذين يمضون في الضلال ... وفي البطش والأذى ... ولكن إذا منحوا الفرصة للعودة إلى الصراط ، فانه قد يعودون ... وقد تكون في عودتهم نتائج في غاية الخطورة لمصير المبادئ والدعوات.

وأما الهدف الثاني الذي يتحرك في الاتجاه المعاكس فهو أن الإمداد للطغيان يجيئ بمثابة مصيدة ... استدراج ... للضالين والطواغيت لكي يزدادوا معصيةً وإثماً وضلالاً ... فيؤخذوا بذنوبهم ... بالحق والعدل اللذين قامت بهما وعليهما نواميس السماوات والأرض ... وما أكثر ما ترد في كتاب الله مفردات الاستدراج هذه من مثل : (فتنا ، زيّنا ، متعنا ... الخ) ... مؤكدة هذا البعد المقصود من الإمداد للطغيان : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ... ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٥٣) ، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٣) ، ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ (سورة الدخان ، (الآية ١٧) ، ﴿ ... وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ... ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ١٤) ، ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ... ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٣١) ، ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا

يُفْتَنُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٢) ، ﴿ . . . وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً . . . ﴾ (سورة طه ، (الآية ٤٠) ، ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٢٨) ، ﴿ فَقَالُواْ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٨٥) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٣٥) ، ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١١١) ، ﴿ . . . وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ . . . ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٢٠) ، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الصافات ، (الآية ٦٣) ، ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا . . . ﴾ (سورة الممتحنة ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤١) ، ﴿ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٥) ، ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٤٩).

﴿ . . . كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٠٨) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٤) ، ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢١٢) ، ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٤) ، ﴿ . . . كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٢٢) ، ﴿ . . . كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٢) ، ﴿ . . . بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ . . . ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٣٣) ، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ . . . ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٨) ،

﴿ . . . وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ . . . ﴾(سورة غافر ، (الآية ٣٧) ، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾(سورة محمد ، (الآية ١٤) ، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(سورة الكهف ، (الآية ٧)، ﴿ . . . وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴾(سورة الكهف ، (الآية ٢٨)، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ . . . ﴾(سورة الحديد ، (الآية ٢٠) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾(سورة هود ، (الآية ١٥) ، ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا . . . ﴾(سورة القصص ، (الآية ٦٠) ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾(سورة النمل ، (الآيتان ٤-٥).

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾(سورة الزخرف ، (الآية ٢٩)، ﴿ . . . وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾(سورة الفرقان ، (الآية ١٨) ، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ . . . ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٤٤) ، ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴾(سورة القصص ، (الآية ٦١) ، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ؟ ﴾(سورة الشعراء ، (الآية ٢٠٥) ، ﴿ . . . وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٩٨) ، ﴿ . . . وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة هود ، (الآية ٤٨) ، ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٢٤) ، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(سورة الحجر ، (الآية ٣) ، ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(سورة الروم ، (الآية ٣٤) ، ﴿ . . . أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا . . . ﴾(سورة الأحقاف، (الآية ٢٠) ، ﴿ . . . وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية

١٨٥) ، ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٧٠) ، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١١١) ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٣٩).

﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٣٥) ، ﴿... وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ...﴾ (سورة الحديد ، (الآية ١٤) ، ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٥١) ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (سورة الانفطار ، (الآية ٦) ، ﴿... فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٣٣) ، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٩٦) ، ﴿... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨٥) ، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٢٠) ، ﴿... بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٤٠) ، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٣٩).

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ...﴾ (سورة هود ، (الآية ٨) ، ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٠٤) ، ﴿... يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ (سورة إبراهيم ، (الآية ١٠) ، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦١) ، ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١١).

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(سورة الحجر ، (الآية ٣) ، ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(سورة المؤمنون ، (الآيتان ٥٥-٥٦) ، ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١١٠) ، ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٧٨) ، ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾(سورة القلم ، (الآيتان ٤٤-٤٥) ، ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾(سورة مريم ، (الآية ٧٥).

هذا إلى أن أخذ الطغيان بالسرعة التي يريدها ويتمناها (المستعجلون) سوف يسلم المؤمنين للكسل والاتكال ... وسيغيب عامل الجهد والمقاومة والتمحيص ، وتمييز الذهب الأصيل من التراب الرخيص ... ولسوف (يعلّق) العاملون سعيهم في الأرض بانتظار نزول المساعدة العاجلة من السماء ... وقد يمضي الأمر إلى ما هو أبعد من هذا : شلل يصيب الفاعلية الحضارية للأمة التي لا تجد نفسها إزاء التحديات التي تستفزها للاستجابة وتقودها بالتالي إلى بذل الجهد عبر حلقات الفعل الحضاري كافة من أجل التفوّق عليها ... ان تصفية الطواغيت (على السريع) سيلغي كل قوى الشدّ والإعاقة في مسيرة الأمم والجماعات ، وسيفقدها حافز التوتر الذي يصنع الحضارات ... أما على المستوى الفردي ، فلن يبقى في حالة كهذه أي معنى للحساب والجزاء ، ما دام المؤمن مستريحاً لما سيأتي به حكم السماء السريع ... فلا يبذل جهداً ... ولا يبدي مقاومة ... ولا يجتاز تضحية ... ولا يجد قبالته من العوائق والمتاريس ما يتطلب جهداً وتضحية من أجل التفوق عليها واجتيازها ... فما معنى الحساب والجزاء إذن وقد غدت الدنيا ساحة للتواكل والقعود وانتظار المعجزات ؟!

إن النسيج القرآني المحكم كله ... بما في ذلك منظومة الآيات التي سبق ايرادها ، نؤكد هذا ، وتدير المنظور من أكثر من زاوية لكي تقول للناس ان عليكم أنتم أن تبذلوا الجهد في حدوده القصوى ، إذا أردتم أن يكون لكم مكان في هذا العالم ... وإلا فان القاء السلاح ، والاستسلام لمعونة السماء ، ستلغي كل مبرّر لفرصتكم في هذه الحياة الدنيا ... ولسوف

يتساوى عندها الصالحون والطالحون ... العاملون والقاعدون ، قبالة حالة يغيب فيها التحدي والاستفزاز : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ١١) ، ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾(سورة فاطر ، (الآية ٤٥) ، ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(سورة الرعد ، (الآية ٦) ، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾(سورة الكهف ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦١).

ثم اننا نلاحظ ، عبر متابعتنا للشواهد القرآنية آنفة الذكر ، وغيرها كثير ، أن الإمهال والعقاب المترتب عليه قد يكون فردياً وقد يكون جماعياً ، وأنه قد ينزل في الدنيا وقد يؤجل إلى يوم الحساب ... ذلك هو منطوق العدل الإلهي في التعامل مع الظواهر والخبرات والأشياء ... انه يلاحظ الحالتين معاً ، ولا يكتفي بالوقوف عند احداهما. وها هنا نجد كيف أن إمهال الطواغيت عن تلقي ما يستحقونه من عقاب يجيئ بمثابة فرصة لاختبار الأفراد والجماعات معاً في قدرتهم على حشد طاقاتهم لمقاومة الطاغوت ورد الأمور إلى نصابها الحق ، وأن ما يترتب على تقاعد الأفراد والجماعات معاً عن المقاومة والفاعلية والجهاد سيصيب بأذاه الطرفين معاً ... وان العقاب قد ينزل في الدنيا وقد يؤخر إلى يوم الحساب ... والأمر سواء في ميزان العدل الكوني الذي خلقت به وله السماوات والأرض : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٢٥) ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ... ﴾(سورة يونس ، (الآية ٥٤) ، ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾(سورة الزخرف ، (الآية ٣٩) ، ﴿ ... وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(سورة النحل ، (الآية ١١٨) ، ﴿ ... فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٥٩) ، ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(سورة الأنعام : الآية ٤٥) ، ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . . . ﴾(سورة هود ، (الآية ١١٣) ، ﴿ . . . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(سورة الشعراء ، (الآية ٢٢٧) ، ﴿ . . . وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾(سورة الزمر ، (الآية ٥١) ، ﴿ . . . وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً ﴾(سورة الفرقان ، (الآية ١٩) ، ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(سورة الحج ، (الآية ٣٩) ، ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(سورة ياسين ، (الآية ٥٤) ، ﴿ . . . وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(سورة الجاثية ، (الآية ٢٢) ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٨٢) ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾(سورة العنكبوت ، (الآية ٦٨) ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٩٦) ، ﴿ . . . فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۞ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾(سورة طه ، (الآيتان ١٢٣-١٢٤) ، ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ ﴾(سورة الرعد ، (الآية ٣٤) ، ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ . . . ﴾(سورة ابراهيم ، (الآية ٢٧) ، ﴿ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴾(سورة الزمر ، (الآية ٢٦) ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(سورة غافر ، (الآية ٥١) ، ﴿ . . . لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . . ﴾(سورة فصلت ، (الآية ١٦) ، ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآيات ٤٩-٥١) ، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٢١) ، ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٠٠) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيتان ٤-٥) ، ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾ (سورة الجن ، (الآية ١٦) ، ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الطور ، (الآية ٤٧) ، ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١١٢) ، ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٦٥).

وأخيراً ، لنا أن نتساءل عن عمر الدنيا قياساً على عمر الكون ... عن السنوات المحدودة المنصرمة المعطاة للإنسان في هذا العالم والتي تعد بالأيام والأسابيع والأشهر الاثني عشر لكل واحدة من تلك السنوات : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٣٦) مقارنة بالزمن الكوني الذي يعد اليوم الواحد فيه كألف سنة مما نعد : ﴿ . . . وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٤٧) ، ﴿ . . . ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة السجدة ، الآية ٥) ، بل إن اليوم الكوني الواحد ليساوي خمسين ألف سنة من أيامنا الأرضية ،

أو ما يعادل ١٨.٢٥٠.٠٠٠ يوماً أرضياً : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (سورة المعارج ، (الآية ٤) ، ومن أجل ذلك يخاطب الله جل في علاه رسوله الأمين أن يصبر الصبر الجميل على ما يلقاه من عنت وعذاب بانتظار اليوم الذي سيصفى فيه الحساب مع الفجرة والطواغيت ، والذي يراه الإنسان لعجلته ونفاد صبره ، بعيداً ، بينما هو في المنظور الإلهي على بعد خطوات : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (سورة المعارج ، (الآيات ٥-٧).

فما الذي يعنيه الإمداد للطغيان سنة أو سنتين ، عقدٌ أو عقدين ، سوى أنه إضافة لحظات من الزمن لهذا الطاغية أو ذاك ، ما دام أنه مأخوذ في نهاية الأمر بما صنعته يداه ... بل ماذا لو مدّ في أجله إلى آخر لحظة من حياته ذات السبعين أو الثمانين سنة ، وهي التي بمجموعها في المنظور القرآني ، وبالتعبير القرآني : ساعة من نهار ، أو يوماً واحداً ، أو عشرة أيام ، أو حفل تعارف ينفض بعد ساعة أو ساعتين وقد نسيت فيه الأسماء وملامح الوجوه !! ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ... ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤٥) ، ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً ﴾ (سورة طه ، (الآيات ١٠٢-١٠٤).

ما الذي يعنيه إضافة حشد من السنين التافهة إلى عمر هذا الطاغوت أو ذاك ، ما دامت أنها في الحساب الكوني الدقيق لا تعدو أن تكون لحظات تافهة من عمر الزمن ؟! لكننا – مرة أخرى – خلقنا على عجل ومن ثم فاننا نستعجل الأمور ، وتضيق صدورنا ، عندما يمد في عمر الطاغوت ، بل ان بعضنا قد يقوده اليأس والإحباط إلى التجديف والفجور ... وكلنا عايشنا نماذج نزقة كهؤلاء ... لكنهم عندما يرون في نهاية الأمر مصير الطواغيت وقد ساقتهم المصيدة الإلهية إلى نهاياتهم البشعة ، يؤوبون إلى الحق ، ولكن بعد أن يكونوا قد خسروا أنفسهم ...

وطالما حدثنا القرآن عن أن الحياة الدنيا – وأشدّد على كلمة (الدنيا) هذه التي تعني السفلى – انما هو لهو ولعب ، ومتاع ، وغرور ... ورحلة سريعة عابرة يشبهها الرسول المعلم (عليه أفضل الصلاة والسلام) بوقفة للحظات تحت ظل شجرة ، ثم ما يلبث أصحابها أن يرحلوا إلى مصائرهم ... اننا ، والحق يقال ، نحيا حياتنا الدنيا هذه بالطول والعرض ، كأننا نمثل أدوارنا على شاشة الزمن الملساء دونما أي عمق حقيقي لهذه الحياة ، فالعمق الحقيق هو

هناك : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٦٤).

لو كانوا يعلمون ... فما هم إلا ممثلون يؤدون أدواراً محددة رسمت لهم على شاشة الزمن ، لكي ما يلبثوا أن يغادروها إلى غير رجعة ، تاركين الشاشة للممثلين الجدد لكي يؤدوا أدوارهم هم الآخرون ...

وتبقى الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ومتاع وتفاخر بالأموال والأولاد ... وهي كلها إذا أردنا الحق باطل الأباطيل وقبض الريح ... الدنيا كلها بما فيها من متع وملذات وفرص ، ان هي إلا متاع عابر ، فان ، والحياة الحقيقية الباقية ، الدائمة ، هي هناك : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٣٦) ، ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٦١) ، ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٢٠) ، ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ... ﴾ (سورة محمد ، (الآية ٣٦) ، ﴿ ... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨٥) ، ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ... ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧٠) ، ﴿ ... فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٣٨) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۞ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآيتان ٧-٨) ، ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢٤) ، ﴿ ... وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٢٦) ، ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤٦) ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا . . . ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٦٠) ، ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ . . . ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٦٤) ، ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٠) ، ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ؟ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٣٢).

أفلا تعقلون ؟ وذلك هو السؤال الاستنكاري الذي تصفع به كلمات الله وجوه الطواغيت والأرباب ، وقطعان الجماهير الضالة التي لا تملك عقلاً تميز به بين الحق والباطل ... بين حقائق الظواهر والموجودات وبين ديكورها الخارجي الخادع والذي يستهوي الذين لا يملكون أفئدة ولا عقولاً.

ورغم ذلك كلّه ، فقد يدور في أذهان المشككين سؤال طالما رددوه مع الآخرين ، ولاكوه مع أنفسهم ، هل معنى هذا كله قسر الناس على الانتماء إلى مظلة الايمان لتخليص أنفسهم من العقاب ؟

والجواب ... أبداً ... فها هوذا كتاب الله يترك حرية الاختيار بين الكفر والايمان على مداها ... هذه (الثيمة) التي تتردد في القرآن الكريم من بدئه حتى منتهاه : ﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ؟ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٩٩) ، ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٥٦) ، ﴿ . . . فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ . . . ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٩٩) ، ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة التغابن ، (الآية ٢) ، ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾ (سورة الفرقان ،

(الآية ٥٠) ، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (سورة الإنسان ، (الآية ٣) ، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (سورة الغاشية ، (الآية ٢٢) ، ﴿... وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ...﴾ (سورة ق ، (الآية ٤٥) ، ﴿... لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٦٦) ، ﴿... وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٦) ، ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ...﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤٦) ، ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٤٠) ، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٧٧) ، ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ...﴾ (سورة هود ، (الآيتان ١١٨-١١٩).

تلك هي – بإيجاز شديد – قضية الإمداد للطواغيت والفجرة والكفار ، كما يحدثنا عنها كتاب الله بالرؤية النافذة التي تدير المنظور على جوانبه كافة ، فتقدم الجواب المقنع ، والقاطع ، الذي لا يحتمل لجاجة ولا جدلاً ... وذلك هو المنطق القرآني الذي يحيط بالظواهر والأشياء علماً فيقدم بخصوص أي منها جوابه الشافي ...

وها هنا بصدد التعامل مع الطواغيت ... فان آيات الله أقنعتنا بأن نكف عن استعجال الأمور ، والقطاف السريع ... ذلك أن إضافة دقيقة أو دقيقتين من الزمن الكوني لهذا الطاغوت أو ذاك ، تقوم على مبرّراتها – كما رأينا – وهي في نهاية الأمر قد لا تعني شيئاً في موازين الحق والعدل اللتين قامت بهما وعليهما نواميس السماوات والأرض !!

حول النبوءات المستقبلية

الذي يطالع نبوءات الساحر والمنجم الفرنسي المعروف (نوسترا داموس) والتي يتحدث فيها عما سيشهده العالم من وقائع وأحداث ... وعما سيقع مستقبلاً ... يأخذه العجب العجاب من تلك المقاربة المدهشة لما سيجري ...

صحيح أن كل واحدة من تلك المقاربات التي كتبت قبل قرون ، انما كتبت بلغة تنطوي على الكثير من المعميات ، والبعد أحياناً عن نسيج الواقعة ... إلا أنها في خطوطها العريضة ودلالاتها المؤكدة ، تجيئ مطابقة إلى حدّ كبير لما سيشهده العالم من وقائع وكوارث وسياسات وعلاقات دولية ... بما سيمر عليه من زعماء وطواغيت ومتجبرين قادوه إلى الويل والدمار ... والحقوا بشعوبهم ، وربما بالعالم كله الأذى والخراب ...

عجيب أمر هذا الكتاب الذي ألّفه نوسترا داموس ، وقام بترجمته الأخ الأستاذ محمد جميل حمادة ، وهو يحكي – على سبيل المثال – عما سيفعله زعيم كهتلر أو موسوليني أو ستالين ... وعما سيشهده عالمنا العربي والإسلامي من زعامات وحكام أمثال القذافي وعبد الناصر وصدام حسين ، وعن النهايات الدرامية التي انتهوا إليها ...

حتى ليقال أن أجهزة الاستخبارات في الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفياتي قبل انحلاله ... وغيرهما ، وضعوا في حساباتهم ودوائرهم السرّية معطيات هذا الكتاب لكي يحسبوا حساباتهم الدقيقة لما سيشهده العالم من وقائع وردود أفعال وأحداث.

ومعروف أن العديد من زعماء العالم كانوا يضعون في دوائر مخابراتهم شياطين السحرة الكبار والمنجمين المعروفين من أجل أن يرسموا سياساتهم المستقبلية في ضوء معطيات هؤلاء ...

ومعلوم لدينا نحن المسلمين أن أحداث العالم قد صمّمت مسبقاً بعلم الله وارادته منذ لحظة خلق السماوات والأرض وحتى يقوم الحساب : ﴿ ... وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٦١) ، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة هود ، (الآية ٦) ، ﴿ يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٤) ، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ۞ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ۞

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ٤-٧) ، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة سبأ ، (الآيتان ٢-٣) ، ﴿ . . . وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ١١) ، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (سورة ق ، (الآية ٤) ، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ﴾ (سورة النبأ ، (الآية ٢٩) ، ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ١٠٤).

ثم تأتي الآية التي تحسم الأمر كله بكلماتها المعجزة : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٢).

وقد ناقشنا في غير هذا المكان مسألة عدم التعارض في الضمير المسلم بين قدر الله (سبحانه وتعالى) في الخلق ، وبين حرية الإنسان ... بين علم الله المطلق وبين مشيئة الإنسان الحرّة في الاختيار داخل دائرة هذا العلم الشامل ، فلا مبرر لإعادة القول فيها.

ويبدو في ضوء ما سبق أن السحرة والمنجمين يعتمدون محاولات الجن والشياطين لاستراق المعلومات هذه من الملأ الأعلى ... ولهذا وضعت الحواجز في طريقهم (رصدا) ... ومع ذلك فانهم قد يحصلون – أحياناً – ولحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى ، على بعض المعلومات ، فيسخرهم السحرة والمنجمون لإيصالها إلى الناس وايهامهم بقدرتهم على اختراق الغيب والاطلاع على ما سيشهده العالم من وقائع وأحداث ... ولهذا تأتي معلوماتهم هذه – كما هو الحال في كتاب نوستراداموس – وهي تنطوي على خليط من الوقائع المؤكدة والغبش والمعميات والضباب ... وهم في نهاية الأمر يوظفون معلوماتهم هذه لتعبيد الناس المغفلين حيناً ، ولجرّهم

إلى الكفر والفسوق حيناً آخر ، ولتحقيق الكسب حيناً آخر ، ولتبوّء المراكز المتقدمة لدى أصحاب السلطان حيناً رابعاً ، والاستمتاع الشامل المنحرف حيناً خامساً ... بهذا الذي يضللون به الناس ، ولجلب إعجابهم والالتفاف حولهم ، وللوقوف بوجه دعوات الأنبياء (عليهم السلام) وإعلان الحرب عليها ... امتداداً لموقف إبليس الذي اعلن الحرب ابتداء : ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً ۞ لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ۞ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ۞ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ (سورة النساء ، (الآيات ١١٧-١٢١) ، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۞ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۞ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۞ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص ، (الآيات ٧٥-٨٥) ، ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٠٢) ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ١١٢-١١٣) ، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ١٢٨-١٢٩) ، ﴿ قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيتان ٣٨-٣٩) ، ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَء إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۞ قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۞ فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (سورة سبأ ، (الآيات ٤٠-٤٢) ، ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٢٥) ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٢٩).

وهذه الآيات تجيب بوضوح على سؤال قد يعتمل في أذهان الملاحدة والمشككين : لماذا هذا كلّه ما دام بمقدور الله أن يقطع الطريق على أية محاولة للاستراق منذ اللحظة الأولى ؟!

انها حتمية أن يكون هناك في الحياة الدنيا صراع بين الخير والشر ... بين الإنسان وبين الجان والشياطين ... بين إرادة الله (سبحانه وتعالى) وبين رغبات الجان والشياطين ... بين علم الله المطلق وبين سعي هؤلاء لاقتباس ولو شيء بسيط منه لتحقيق أغراضهم التي مرّت بنا قبل قليل.

إن المسألة تنسحب أيضاً على موقف الإنسان في العالم ، والذي وضعت في طريقه شبكة من العراقيل ... وحزم من الأسلاك الشائكة ... ومجموعة هائلة من الإغراءات والاغواءات ، من أجل أن يتمرس على المقاومة وأن يشحذ في نفسه سلاح الردّ ، وأن يخرج منتصراً بعزمه وارادته وقدرته على المجابهة ... وإلا فانه الكسل والقعود والاستسلام الذي لا تستقيم معه حياة فاعلة ولا

تقوم حضارة مبدعة على الاطلاق. ولنستدعي مرة أخرى الآيتين اللتين مر ذكرهما ففيهما حسم لتساؤل المشككين : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيتان ١١٢-١١٣).

ومن أجل ذلك وضع في الملأ الأعلى ما يمكن اعتباره سياج حماية ضد استراق السمع كي لا يمضي الجان والشياطين ، ومن ورائهم حشود الناس الوصوليين أو المغفلين إلى أهدافهم الملتوية ... ومن ثم فاننا نطالع في كتاب الله مقاطع وآيات تحدثنا عن هذا الذي تشهده السماء : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ (سورة الجن ، (الآيات ٦-٩) ، ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (سورة الملك ، (الآية ٥) ، ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۞ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۞ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۞ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (سورة الصافات ، (الآيات ٦-١٠).

وكما هو معلوم فان السحر ، وخداع البصر ، والتنجيم ، والكهانة ، وادّعاء العلم بالغيب ، وما يسمى بتحضير الأرواح ، وتبادل المعلومات بين الإنسان والجان ... الخ ... انما هي طبقات يعلو بعضها بعضاً ... تبدأ بالقضايا البسيطة التي قد تخطئ وقد تصيب ، وتنتهي بالكشف المدهش عن الحقائق القاطعة كالسكين.

وقد أتيح لي شخصياً أن أشهد العديد من هذه الممارسات ، فرأيت العجب العجاب ... وهي جميعاً ، على ضلالتها وانحرافها عن المنهج القويم ، بل واتكائها على المعلومات الكونية والتاريخية المسترقة من الملأ الأعلى ... يمكن أن تقدّم لنا نحن المؤمنين تأكيداً مقترناً بوقائع حسية مختبرية – إذا صح التعبير – عن وجود عالمي الجن والشياطين بين ظهرانينا بحيث لا تترك أي مجال للشك في هذا الوجود الذي يملك ثقله ، وقدرته على الحركة ، واختراقه للخبرات البشرية ، بسبب من تكوينه الناري ، فيما يصفع كل مقولات المشككين بعوالم الجان والشياطين.

عبر جلسة لتحضير الأرواح بالفنجان ، وهي واحدة من أبسط عمليات التحضير الروحي كما يقولون ، حيث ترسم دائرة واسعة على قطعة من الكارتون ، تقسم إلى أحرف ، ويوضع الفنجان في بدايتها ثم يوضع أصبع الوسيط على ظهر الفنجان ، وتوجه الأسئلة من الحضور إلى ما يعتبرونه أرواحاً ، بينما هو في الحقيقة من كفرة الجان وشياطين الإنس ، فإذا بالفنجان يتحرك دون أي جهد مبذول من الوسيط على هذا الحرف أو ذاك لكي ما تلبث مجموع الحروف المقروءة أن تعطينا الجواب على كل سؤال ...

كنت أتابع العملية بكثير من الملل والشك ، فإذا بالأجوبة تنصّب كلها على الوسيط عبر مجموعة من أقذر الشتائم والسباب ... وإذا بالوسيط يصفر وجهه وينهض قائماً وهو يصرخ : أقسمت بالله عليك أيتها الأرواح الشريرة أن تكفي عن هذا العبث !!

وقلت في نفسي : لا يمكن لإنسان مهما كان تافهاً أن يوجه لذاته مثل هذا السيل من السباب وإذن فلابد أن تكون هناك قوى خفية ، ماكرة ، تريد أن تعبث بهذا الإنسان ...

وفي جلسة أخرى ، أكثر تعقيداً ، طلبت من الوسيط أن يسأل (أرواحه) التي يحضرها عن خطط بغداد في العصر العباسي الأوّل ... وكنت يومها طالب ماجستير في معهد الدراسات العليا ببغداد ، وقد كلفت من قبل أحد أساتذتي بكتابة بحث عن (خطط بغداد) ، فإذا بالوسيط يجيبني ، نقلاً عما يقال أن روح الجاحظ بجملة من الأجوبة أذهلتني بدقة معلوماتها وانطباقها على ما توصلت إليه من نتائج عبر تجوالي في خبرة هذا الأديب المعروف.

وثمة جلسة أخرى نقل فيها الوسيط عن (أرواحه) التي استحضرها ، العديد من وجهات نظر الشهيد (سيد قطب) في مفهوم المفاصلة ، فإذا بها تأتي مطابقة تماماً لما قرأته في معطيات هذا المفكر الإسلامي الكبير.

والوسيط رجل لم يتجاوز في دراسته المرحلة المتوسطة ... فكيف أتيح له أن ينقل ما قاله الجاحظ وما ردده (سيد قطب) وهو لم يقرأ في حياته سطراً واحداً مما كتبه هؤلاء !!

وغير هذه الوقائع الكثير الكثير مما شاهدته بعيني أو سمعته بأذني ...

إنها إذن لعبة الأخذ عمن يملك الكثير مما لا نملكه نحن البشر ... بسبب من قدرتهم على الحركة والاطلاع واختراق الحواجز واستراق المعلومات ... لكونهم – مرةً أخرى – أجساماً نارية قديرة على الحركة السريعة والاتيان بما يعجز البشر عن الاتيان به ... انهم الجان والشياطين ... أما ما يدعيه المحضرون والوسطاء من أنها أرواح الموتى فانها – والحق يقال – أكذوبة يتحتم الا تنطلي على أحد ... ذلك أن أرواح الموتى أعز وأكرم من أن يعبث بها المحضرون والوسطاء ...

والآن ، وتأكيداً (لمختبرية) هذه الكشوف التي يمثل الجان والشياطين دور البطولة فيها ... فان ديار الغرب تشهد حركة واسعة يسمونها (الروحية الحديثة) حيث تقام المؤسسات وغرف التحضير وصالات التجارب المتواصلة على أيدي علماء كبار – بعضهم مّمن حصل في مجال تخصصه على جائزة نوبل – لكي تواصل كشوفها المدهشة في هذا الميدان ... ولكي تؤكد بما لا يقبل مجالاً للشك أننا نحن البشر لسنا وحدنا في هذا العالم ، بل ان عوالم أخرى تعيش بين ظهرانينا من الجان والشياطين ، ولكن أجهزتنا الحسية المباشرة لم تهيأ للتعامل المباشر معها ... ولذا يلجأ هؤلاء إلى الطرق الملتوية للتواصل والتخاطب والحصول على المعلومات ... بحيث أن دوائر التحقيق الجنائي في الدول الكبرى ، لجأت هي الأخرى إلى هذا الأسلوب للكشف عن الجرائم والمجرمين ... وحققت بذلك خطوات واسعة في أنشطتها التحقيقية.

ويبقى أن كلمة الفصل في الموضوع كله ، تلك الآية المدهشة التي وردت في كتاب الله والتي تتحدث كيف أن مرور الزمن كفيل بالكشف عن الحقائق المطابقة تماماً للمعطيات القرآنية ، فيما سيقود البشرية الضالة إلى مرافئ الايمان : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(سورة فصلت ، (الآية ٥٣).

وسواء جاءت هذه الرؤية عن طريق مناهج البحث الأصيلة ، أم تلك الملتوية ، فالأمر سواء ... وهو التأكيد الذي لا يقبل نقضاً ولا جدلاً على مصداقية ما ورد في كتاب الله من تلك المساحات الكبيرة التي محضّت للجان والشياطين ... والتي لا يزال الكثير من السذج والمغفلين يرفضون وجودها باسم الروح العلمية ، وهي منهم براء : ﴿ . . . إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾(سورة طه ، (الآية ٦٩).

شيء عن اليهود في كتاب الله

يقّدم القرآن لكريم معطياته عن " اليهود " وفق محاور أو سياقات عديدة ، لن يتسع المجال لاستعراضها ، لكنها جميعاً تصب في حقيقة أن اليهودية عانت – بمرور الزمن – من تحريفات خطيرة ، بعدت بها عن أصولها الصحيحة ، وأهم هذه المحاور هي :

أولاً : المحور العقيدي الذي ينصب على التأكيد على وحدة الأديان السماوية ، من حيث المصدر ، والوظيفة والهدف ، وعلى التحريفات الخطيرة التي عانتها الديانة اليهودية ، فبعدت بها عن مسارها الصحيح ، ومن ثم كان تأكيد القرآن على ضرورة الاحتكام إلى المعطيات الأساسية لليهودية تلك التي تقودهم – بالضرورة – إلى قبول الدين الجديد الذي جاء " مصدقاً لها " ومؤكداً عليها : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآيات ٤٠-٤٢) ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٠١) ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (سورة البقرة ، (الآيتان ٨٩-٩٠) ، ﴿ . . . قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٩٣) ، (وأنظر سورة البقرة ، آل عمران ، المائدة ، طه ، الأنبياء ، القصص ، الحشر ، للاطلاع على المساحات الواسعة التي عرضها القرآن الكريم عن هذا المحور).

ثانياً : المحور التاريخي الذي يتحدث عن عدد من الوقائع التاريخية التي مرّ بها اليهود ، وبرؤية شمولية متوازنة تسلط إضاءتها على الأسود والأبيض ... السلب والايجاب في مسيرة اليهود عبر التاريخ ... لكن المحصلة النهائية التي تؤول إليها هذه المعطيات التاريخية ، هي أن اليهود بانحرافهم عن الصراط المستقيم عبر مسيرتهم التاريخية ، وبتراكم مفردات هذا الانحراف انتهوا إلى موقع " المغضوب عليهم " الذي تمخض عنه كما هو معروف ، نبذهم من العالم ،

وتشريدهم في الأرض : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٦٧) ، ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ۞ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيات ٤-٧).

ثالثاً : المحور الأخلاقي – النفسي الذي يسلط ضوءه ناقداً محللاً التركيب النفسي الملتوي لليهودي وسلوكه الأخلاقي الذي يرتطم وبديهيات القيم الإنسانية المتعارف عليها.

ويقف القرآن الكريم طويلاً عند هذه المسألة ، كما وقف طويلاً عند المحورين السابقين ... ساعياً إلى تشريح خصائصهم النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، وتحليل الأساليب والطرائق الملتوية ، المنحرفة ، الضالة ، التي كانوا يعتمدونها مع قياداتهم وأنبيائهم ، أو مع الأمم والجماعات والشعوب الأخرى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٧٥) ، ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨١) ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ٩٩-١٠٠) ، ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ٦٩-٧٠) ، ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(سورة آل عمران ، (الآية ٧٢) ، ﴿ . . . وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ . . . ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٤١).

لقد أراد كتاب الله ، منذ لحظات العصر المدني الأولى ، حيث بدء الاحتكاك ، أو يشن عليهم حملة (إعلامية) يفضحهم فيها ، ويضع أساليبهم وطرائقهم وأخلاقياتهم وتكوينهم النفسي في دائرة الضوء لكي يكون المؤمنون على بينة من الأمر ويعرفون كيف يتحركون بحذر إزاء خصومهم.

وبمجرد أن نتذكر ما فعلته بنو إسرائيل منذ عهد موسى (عليه السلام) وحتى عهد زعيم الإرهاب الصهيوني مناحيم بيغن ومن بعده أرييل شارون ، مروراً بكافة الفتن والفجائع والانشقاقات والانقلابات والحروب الطاحنة ، وبمجرد أن نتذكر ردود فعل الأمم والشعوب إزاء المكر والحقد اليهوديين ، وإحساس الأمم والشعوب قلّما يخطئ ، بمجرد أن نتذكر هذا وذاك فاننا سنعرف لماذا خص القرآن هذه الفئة الضالة ، والمغضوب عليها ، بتلك المساحات الواسعة من سوره وآياته البينات ...

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٦٤).

الحياة التي يريدها كتاب الله !!

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيات ٧-٩) ...

في هذه الآيات الثلاث ثمة تأسيس لجوهر التنظيم الإسلامي للحياة البشرية : إنه الميزان ... وضع كل شيء في حالة توازن مع ذاته ، ومع الأشياء والكائنات الأخرى ... حيث تجيئ الآية التالية : ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآية ١٠) ، بعد التأكيد مراراً على " الميزان " كأنها تريد أن تقول بأن الله (سبحانه وتعالى) إذ وضع الأرض للأنام أراد لها أن تحيا تحت مظلة الميزان ، فتكون الحياة سعيدة ، جديرة بأن تعاش !! ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة المطففين ، (الآيات ١-٦) ، ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ... ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٣٥) ، ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ... ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٨) ، ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ١٩) ، ﴿ ... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ... ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿ ... فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ... ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٨٥) ، ﴿ ... وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٨٤) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٨٥) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ... ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٧) ، ﴿ ... وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ... ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٥) ، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٤٧) ، ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ١٨١).

أما عن القسط الذي هو رديف الميزان فهذه بعض شواهده : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات ، (الآية ٩) ، ﴿ . . . ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٨٢) ، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ . . . ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤٢) ، ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨) ، ﴿ . . . وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٢١) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ . . . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤٢) ، ﴿ . . . وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٢٩) ، ﴿ . . . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤) ، ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ٨٥) ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٤٧) ...

ومع مفردتي الميزان والقسط ، ثمة مفردات أخرى تتردد في جنبات القرآن ... انهما الحق والعدل من أجل تأكيد دعوة القرآن إلى إقامة حياة وضيئة ، عادلة ، تقوم على الحق والعدل ، وهما أكبر قيمتين في بناء الكون والعالم ، فلا يطيش بها الميزان ، كما طاش ولا يزال بعقائد وأديان ومذاهب ونظريات ونظم وفلسفات ، ما لبثت أن تساقطت لأنها لم تقم على التأسيس الكوني المتمثل بالميزان والقسطاس والحق والعدل ...

فلنتابع بعض شواهد هاتين المفردتين في كتاب الله ، واللتين وردت أولاهما وهي الحق فيما يزيد على المائتين والثلاثين مرة ، ووردت ثانيتهما وهي العدل بتصريفاتها المختلفة فيما تقرب من الثلاثين مرة : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١١٩) ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١٧٦) ، ﴿ . . . وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢١٣) ، ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٣) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٠٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٧٠) ، ﴿ . . . وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٤٨) ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة المائدة : الآية ٧٧) ، ﴿ وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة المائدة : الآية ٨٤) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٧٣) ، ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٤٣) ، ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١٨١) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة التوبة ، (الآية ٣٣) ، ﴿ . . . مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٢) ، ﴿ . . . أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٥) ، ﴿ . . . إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٦) ، ﴿ وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٨٢) ، ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة الرعد ، (الآية ١٤) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١٩) ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ

فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١٨) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ . . . ﴾ (سورة الصف ، (الآية ٩).

أما عن العدل فهذه بعض شواهده : ﴿ . . . وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٥) ، ﴿ . . . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ . . . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿ . . . وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٥٨) ، ﴿ . . . هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ؟ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٧٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٩٠) ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٥).

وإلى جانب (الميزان) و(القسط) و(الحق) و(العدل) هنالك تأكيد قرآني متواصل على (الصراط) وهو الطريق المستقيم الذي يصل إلى هدفه دون أي قدر من الاعوجاج ... بدءً من سورة الفاتحة التي تتضمن دعوة المؤمنين في العالم بأن يلتزموا الصراط المستقيم، فلا تنحرف بهم الأهواء ذات اليمين وذات الشمال ... وعلى مدى كتاب الله كله ... يتدفق الخطاب القرآني كالسيل مؤكداً على الصراط ... وهذه بعض شواهده : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (سورة الفاتحة ، (الآيتان ٦-٧) من أجل أن يمضي المؤمنون بهذا الدين إلى أهدافهم متجنبين سلوك اليهود الملتوي الذي استدعى غضب الله (سبحانه وتعالى) ، وضلال النصارى بالشرك المكشوف ... هذا الدعاء الحار الذي يتردد على كل لسان في اليوم الواحد عشرات المرات ... ﴿ . . . قُلْ لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٢) ، ﴿ . . . وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢١٣) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

مُّسْتَقِيمٌ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٠١) ، ﴿ . . . مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٢٦) ، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٦١) ، ﴿ . . . لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١) ، ﴿ . . . فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴾(سورة طه ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٧٤) ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة الملك ، (الآية ٢٢) ، ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٦) ، ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٥٣).

وفي مقابل هذا إدانة قرآنية متواصلة للاعوجاج الذي هو نقيض الميزان والقسط والحق والعدل والتزام الصراط : ﴿ . . . لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٩٩) ، ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾(سورة الزمر ، (الآية ٢٨)، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٤٥) ، ﴿ . . . وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٨٦) ، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾(سورة هود ، (الآية ١٩) ، ﴿ . . . وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ٣).

فأي دين أو عقيدة في العالم تنطوي تعاليمها على هذا القدر من الحسم والجزم والوضوح في إقامة حياة يسودها الحق والعدل ، وتلتزم القسط والميزان ... وتمضي إلى أهدافها على الصراط الذي يحميها من الانحراف ذات الشمال وذات اليمين ، والخضوع لإغواء الطواغيت والمشركين والأرباب الذين يسوقونها عبر الطرق المعوجة المنبثقة عن رغبتهم الجارفة في تعبيد الناس لأنفسهم من دون الله ؟!

إن هذا الدين بتأكيده المتواصل ، وطرقه المستمرّ على قيم الحق والعدل والقسط والميزان والصراط لهو الدين الذي يحرر الإنسان من شتى صنوف القهر والاستعباد والابتزاز والاستلاب ... ويرفع قامته عالياً لكي لا يخضع إلا لله (سبحانه وتعالى) ... ولكي يحيا حياة طيبة آمنة سعيدة متوازنة ، تحرسها قيم الحق والعدل والميزان والقسط ... وتمضي إلى أهدافها على الصراط الذي يرفض أي جنوح أو اعوجاج ...

والقرآن الكريم وهو يتحدث عن هذه القيم ، ويؤكد عليها ، يربط – على طريقته المدهشة – بين الأرض والسماء ... بين اليومي والأبدي ... بين الموقوت والدائم ... بين أسباب النزول وبين اطلاق الحكم لكي يمضي مخترقاً حواجز الزمن والمكان ... بين الميزان الذي توزن به الأشياء اليومية ، وبين ذلك الذي قامت عليه السماوات والأرض : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة المطففين ، (الآيات ١–٦) ، ﴿ . . . وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٥) ، ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ١٩).

ألا تعكس هذه الآيات ... رؤية الإسلام الكونية الشاملة التي لا تغفل – وحاشا لله – عن أدق خصوصيات الناس ولكنها ما تلبث أن تنقلهم إلى الفضاءات الواسعة للعالم والكون ، فتجعل من الميزان خطاباً بيانياً يبدأ بوزن الحاجيات اليومية ثم يمضي مصعداً باتجاه إقامة العدل بين الناس ، وبناء العالم بما يجعله صالحاً لاستمرارية الحياة ... بل بيوم القيامة العظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين لكي يتلقوا جزاءهم العادل عن كل صغيرة في موازين الحاجات اليومية ... وكبيرة في تجاوز التعاليم الدينية الكبرى التي تؤكد على التزام الحق والعدل والقسط بمفاهيمها الشاملة.

كل المذاهب والنظريات والمبادئ والأديان المحرفة الأخرى التي طاش بها الميزان ، ما لبثت أن تساقطت الواحدة تلو الأخرى لأنها لم تقم على الحق والعدل ... ولأنها أغفلت التعامل بالقسط والميزان ... وضعت في آذانها شمعاً لكي لا تصغي لخطاب الله الذي يدعوها إلى التزام الصراط ، ومضت عبر الطرق المعوجة ، فضّيعت نفسها وكل المنتمين إليها ، ولم تحصد في نهاية الأمر إلا الدمار والخراب ...

والذي يمعن النظر في كتاب الله ، من زاوية معينة ، قد تتمركز بعبارة " وما هي الحياة التي يدعو إليها كتاب الله في هذا العالم " يجد نفسه قبالة البعد الإنساني الذي يستهدف إقامة حياة طيبة ، متوازنة ، آمنة ، سعيدة ، حرة ، لا ظلم فيها ولا فساد ولا انحراف ... ومن خلال ذلك يستهدف تحقيق إنسانية الإنسان بأعلى وتائرها وأكثرها مقاربة لتكوينه وطموحاته كإنسان ...

وعلى سبيل المثال فان في الآيات (١٤٤-١٥٣) من سورة الأنعام تأكيداً على أن قاعدة هذا الدين هي (الحلال) ، وأن (التحريم) الاعتباطي الذي يضيق الخناق على مطالب الإنسان الحيوية أمرٌ ممقوت ومرفوض. وفي الآيات (٢٦-٣١) من سورة النساء دعوة قرآنية لحياة يسودها التوازن ، والحق ، والتخفيف ، وإدانة كل صيغ الميل والعدوان والظلم وأكل أموال الناس بالباطل واقتراف الكبائر التي تمسخ الحياة البشرية وتقودها إلى البوار : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٢٧). وفي (الآية ٩٧) من سورة النحل تأكيد على الحياة (الطيبة) التي يدعو إليها هذا الدين بالتزام الايمان والعمل الصالح : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. وفي (الآيات ٦٢-٦٤) من سورة يونس أن المؤمنين يتلقون البشرى بكل ما تنطوي عليه من دلالات ، في الدنيا قبل الآخرة ، وأن ذلك هو الفوز العظيم ، وأنهم يعيشون حياة آمنة مطمئنة لا خوف فيها ولا حزن : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. هذا إلى أن الله (سبحانه وتعالى) يمنحهم الثبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة (سورة إبراهيم ، الآية ٢٧). وفي (الآية ٥١) من سورة غافر وعد إلهي بنصر رسله واتباعهم المؤمنين في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ... وولاية الله (سبحانه وتعالى) لعباده المؤمنين تكلؤهم في الدنيا والآخرة : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ... ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٣١) ... ووعد آخر للذين يقيمون حكم الله في الأرض ، بأنهم سيأكلون من فوقهم ومن تحت أرجلهم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ

﴿ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٦٦) ، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١١٢).

وثمة حشود المقاطع والآيات القرآنية التي تفتح الطريق لإشباع الغرائز ، وتضبط التعامل معها ، بحيث لا تسمح بالإفراط أو التفريط ... وآيات أخرى تحذّر من السرقة ، والغش ، وتتوعد القتلة بغير الحق بأشد أنواع العقاب في الدنيا والآخرة ... وآيات أخرى تحمي ظهر الإنسان في غيابه عن الآخرين وتنذر من يفعل ذلك بالويل والثبور فيما لا نكاد نجده على الاطلاق في عقائد الوضاعين والكهنة والمشرعين بغير ما أنزل الله ...

وثمة الدعوة القرآنية المتكررة للالتزام بالعهود والايمان والمواثيق ، والتنديد بمن يخرقها ... وبإقامة العلاقات الأسرية على المودة والمحبة والرحمة بين الزوج وزوجه ، وبين الآباء والأبناء ، وبين هؤلاء وآباءهم ... وبصلة الرحم ووضعها في الدرجة التالية للتوحيد الذي هو قاعدة هذا الدين.

وفي (الآيتين ٨٧-٨٨ من سورة المائدة) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ يطرح القرآن معادلة ذات بعد إنساني تحريري حيث يقرن تحريم الطيبات بالظلم ، ثم يدعو إلى الإباحة ولكن تحت مظلة التقوى والايمان ... وهي أكثر المعادلات إحكاماً لحياة إنسانية يتحرر فيها الإنسان من شد الضرورات ، وبأكل الطيبات ، ويتقي الله سبحانه وتعالى.

وفي (الآيات ٥-١٨) من سورة النحل صورة رائعة للحياة التي يريدها كتاب الله ، حيث ترد هذه المنظومة من نعم الله للبشرية ، متمثلة بتوفير الحاجات الأساسية للإنسان ، وبالخدمات ، وبالجماليات ، وبتسخير الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم ، وفي جعل فيزياء البحار تحمل الفلك وتقدم الغذاء وأدوات الزينة للناس ، وفي إلقاء الجبال الرواسي بالأرض كي لا تميد بالناس ... وبالنعم التي لا يحصيها عدّ من أجل جعل الحياة في هذه الدنيا جديرة بأن تعاش ، شرط أن يتوجه الناس بالشكر والعرفان والامتنان للخلاق الذي أنعم عليهم بهذا كلّه ... ولن تتم الإفادة

القصوى من هذه النعم إلا بأن تلتحم الأمة الإسلامية ، وعلماؤها ، بفيزياء العالم وجغرافيته ، للكشف عن سنن الله ونعمه في العالم ، وتسخيرها لخدمة الإنسان ... وهي – إذا أردنا الحق – نقطة الانطلاق في بناء الحضارات : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۞ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وفي (الآيات ٨٧–٩٣ من سورة المائدة) دعوة مؤكدة أخرى إلى أكل الحلال الطيب ، وإطعام المساكين وكسوتهم، وتحرير الارقاء ، واجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام لأنها رجس من عمل الشيطان الذي يسعى من خلالها إلى الإيقاع بين المسلمين ، وإثارة العداوة والبغضاء ، والصدّ عن ذكر الله ... وأما (الآيات ١٣٦ ، ١٣٨–١٣٩ ، ١٤٢–١٥٣ من سورة الأنعام) فتنطوي على حملة شاملة ، وسخرية مرة ، باتباع الأديان المحرفة لتحريم ما أحل الله ، حيث ترد هذه الآية التي تحسم الموضوع فيما لا يقبل لجاجة ولا إنكاراً : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٤٥).

بل إن القرآن يمضي خطوات أخرى في تصوير الحياة الإسلامية الآمنة ، المتوازنة ، السعيدة ، المطمئنة ، بتأكيده على التزيّن ... وإضافة البعد الجمالي لبنية هذه الحياة من أجل أن تشع بالروعة والجمال : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيتان ٣١-٣٢) ، حيث ها هنا أيضاً تلتقي الرؤية القرآنية الثنائية التي تدير المنظور على جوانب الحالة كافة فنجد أنفسنا قبالة (الجمال) و(الضرورة) ... التزّين وإشباع الحاجات الأساسية.

حيثما قلبنا أبصارنا في كتاب الله وجدنا الخطاب القرآني يحمل دعوة واضحة مؤكدة لبناء حياة إسلامية تلبي حاجات الإنسان الضرورية ، وتحرّره ، وتفتح الطريق أمامه واسعاً عريضاً لكي يحيا حياة متوازنة ، آمنة ، متوحدة ، وسعيدة ... ولكن أين العقول التي تفقه ... والقلوب التي تكسر ما علاها من صدأ ، لكي تتلقى هذا الخطاب المشع وضاءة وطهراً ؟!

ثم ماذا عن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ؟ إنهم بشهادة التاريخ ... وقبلها ، بتأسيسات كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) واجتهاد فقهائه الكبار ... تلقوا حريتهم الدينية والمدنية كاملة ، وعاشوا مع رفاقهم المسلمين ، وباعترافهم هم ، أجمل حياة، وهم يمارسون طقوسهم الدينية بحرية ، ويشاركون في بناء وصيرورة الحياة الاجتماعية والثقافية والإدارية والاقتصادية والعمرانية في وتائرها العليا ، حيث برز منهم كبار الكتاب والمترجمين والأطباء والمهندسين والوزراء والإداريين ، دون أن يمسهم أحد بسوء أو يقف قبالة مطامحهم عائق واحد ...

وبدلاً من إيراد الشواهد والتفاصيل التي يعج بها تاريخنا الحضاري ، والتي سبق وأن عرضنا لها في أكثر من بحث وكتاب ، لنكتفي بهذا الموقف القرآني المدهش في حماية حقوق غير المسلمين والتنديد الصارم بكل من تسوّل له نفسه المساس بها من المسلمين !! والذي تتضاءل دونه سائر القمم الأخرى في مجال التعامل العادل كالصراط مع الإنسان أياً كان موقعه في الزمن أو المكان أو الطبقة أو العرق أو المكانة أو – حتى – الدين ! ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ۞ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۞ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآيات ١٠٥-١١٣).

وعن هذه الآيات يقول الشهيد سيد قطب : " انها تحكي قصة لا تعرف لها الأرض نظيراً ولا تعرف لها البشرية شبيهاً. وتشهد وحدها بأن هذا القرآن وهذا الدين لابدّ أن يكون من عند الله. لأن البشر – مهما ارتفع تصورهم ومهما صفت أرواحهم ، ومهما استقامت طبائعهم – لا يمكن أن يرتقوا – بأنفسهم – إلى هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات ، إلاّ بوحي من الله ... إنه في الوقت الذي كان اليهود في المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة التي تحويها جعبتهم اللئيمة ، على الإسلام والمسلمين ... في الوقت الذي كانوا فيه ينشرون الأكاذيب ، ويؤلبون المشركين ، ويشجعون المنافقين ، ويرسمون لهم الطريق ، ويطلقون الاشاعات ، ويضللون العقول ، ويطعنون في القيادة النبوية ، ويشككون في الوحي والرسالة ، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل ، في الوقت الذي يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج = والإسلام ناشئ في المدينة ، ورواسب الجاهلية ما يزال لها آثارها في النفوس ، ووشائج القربى والمصلحة بين بعض المسلمين وبعض المشركين والمنافقين واليهود أنفسهم ، تمثل خطر حقيقياً على تماسك الصف المسلم وتناسقه. في هذا الوقت الحرج الخطر ... كانت هذه الآيات كلها تتنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى الجماعة المسلمة لتنصف رجلاً يهودياً اتهم ظلماً بسرقة ، ولتدين الذين تآمروا على اتهامه ، وهم بيت من الأنصار في المدينة ، والأنصار يومئذ هم عدة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجنده ، في مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله ، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة !

" إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريئ ، تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام – وان كانت تبرئة بريئ أمراً هائلاً تقبل الوزن في ميزان الله – انما كانت أكبر من ذلك هي إقامة الميزان الذي لا يميل مع الهوى ، ولا مع العصبية ، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أياً كانت الملابسات

والأحوال ، وكانت المسألة هي تطهير هذا المجتمع الجديد وعلاج عناصر الضعف البشري فيه مع علاج رواسب الجاهلية والعصبية في كل صورها حتى في صورة العقيدة ، إذا تعلق الأمر بإقامة العدل بين الناس ، وإقامة هذا المجتمع الجديد ، الفريد في تاريخ البشرية ، على القاعدة الطيبة النظيفة الصلبة التي لا تدنسها شوائب الهوى والمصلحة والعصبية ، والتي لا تتدحرج مع الأهواء والميول والشهوات ...

"ولقد كان هناك أكثر من سبب للإغضاء عن الحادث ، أو عدم التشديد فيه والتنديد به وكشفه هكذا لجميع الأبصار ، بل فضحه بين الناس ، على هذا النحو العنيف المكشوف ، كان هناك أكثر من سبب لو كانت الاعتبارات الأرضية هي التي تتحكم وتحكم ، ولو كانت موازين البشر ومقاييسهم هي التي يرجع إليها هذا المنهج ! كان هناك سبب واضح عريض ، ان هذا المتهم (يهودي) من (يهود) يهود التي لا تدع سهماً مسموماً تملكه إلا أطلقته في حرب الإسلام وأهله ، والتي يذوق منها المسلمون الأمرين ، والتي لا تعرف حقاً ولا عدلاً ولا نصفة ، ولا تقيم اعتباراً لقيمة واحدة من قيم الأخلاق في التعامل مع المسلمين على الاطلاق !

" وكان هناك سبب آخر ، وهو أن الأمر في الأنصار الذين آووا ونصروا والذين قد يوجد هذا الحادث بين بعض بيوتهم ما يوجد من الضغائن ، بينما أن اتجاه الاتهام إلى يهودي يبعد شبح الشقاق ! وكان هناك سبب ثالث هو عدم إعطاء اليهود سهماً جديداً يوجهونه إلى الأنصار ، وهو أن بعضهم يسرق بعضاً ثم يتهمون اليهود ! ولا يدعون هذه الفرصة تفلت للتشديد عليها.

" ولكن الأمر كان أكبر من هذا كله ... ان يقام ميزان العدل في الجماعة المسلمة لتحكم بين الناس مجرداً من جميع الاعتبارات الأرضية ، والمصالح القريبة الظاهرة ، والملابسات التي يراها الناس شيئاً كبيراً لا يقدرون على تجاهله.

" ومن ثم لم يكن هناك مجال للباقة ! ولا للكياسة ! ولا للسياسة ! ولا للجهارة. في إخفاء ما يحرج وتغطية ما يسوء ، ولم يكن هناك لمصلحة الجماعة المسلمة الظاهرية ! ومراعاة الظروف الوقتية المحيطة بها ! هنا كان الأمر جداً خالصاً لا يتحمل الدهان ولا التمويه ! وكان هذا الجد هو أمر هذا المنهج الرباني وأصوله ، وأمر هذه الأمة التي تعد لتنهض بهذا المنهج وتنشره ، وأمر العدل بين الناس في هذا المستوى الذي لا يرتفع إليه الناس إلا بوحي من الله !

" وينظر الإنسان من هذه القّمة السامقة على السفوح الهابطة ، في جميع الأمم على مدار الزمان ، فيراها هناك في السفوح ، ويرى بين تلك القّمة السامقة والسفوح الهابطة ، صخوراً مترديةً هنا وهناك ، من الدهاء والمراء والسياسة والكياسة والبراعة والمهارة ومصلحة الدولة

ومصلحة الوطن ومصلحة الجماعة ، إلى آخر الأسماء والعنوانات ، فإذا دقق الإنسان فيها النظر رأى من تحتها الدود " (في ظلال القرآن ٥/٢١٤-٢١٩ ، باختصار عن ط٣).

أليس هو الميزان الذي بنيت عليه السماوات والأرض بالحق والعدل ؟ أليس هو القسط بين الناس كافة ، بغض النظر عن أديانهم وانتماءاتهم ؟ أليس هو الصراط الذي لا عوج فيه ولا أمتا ؟

ثمة لقطة من فيلم (عمر المختار) الذي أخرجه مصطفى العقاد (رحمه الله) أريد أن أختم بها مقالي هذا لأنها تعبّر عن الكثير مما يمكن أن يقال ، ومما بدأنا به الحديث حول ارتباط الميزان بقضية العدل في العالم ، وليس بمجرد التطفيف في حاجات الناس اليومية ... إنه – دائماً – الارتباط الصميم بين الخاص والعام ، بين الموقوت والدائم ، وبين الأرضي والكوني ... فلنرَ ...

عمر المختار ، قائد حركة المقاومة الليبية للغزو الإيطالي الفاشستي الذي لا يرحم ، يقف قبالة مجموعة من صبيان الكتاتيب ، يعلمهم التلاوة ... حتى إذا وصل الآيات التي تقول : ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيات ٧-٩) ، جاءه مستشاره وساعده الأيمن لكي يهمس في أذنه أن الايطاليين الفاشست استغلوا فرصة غياب الرجال عن إحدى القرى الليبية فانقضوا عليها وقتلوا كل من فيها من الشيوخ والنساء والأطفال ...

توقف عمر المختار لحظات ... وثم نهض قائماً وهو يردد : ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ ... ثم ما لبث أن أصدر أوامره إلى المجاهدين الذين انطلقوا كالسهم إلى الكتيبة الإيطالية نفسها التي ذبحت القرية المسالمة ، فأبادوها عن آخرها ...

فذلك هو (القسط) وذلك هو (الميزان) !!

رحلة مع الصوت في كتاب الله

[1]

هذه هي الرحلة الرابعة مع كتاب الله ... كانت الرحلة الأولى مع عالم الميزان والثانية مع دنيا النبات (وقد نشرنا ضمن كتابي : مع القرآن في عالمه الرحيب) وأما الثالثة فكانت مع اللون (وقد نشرت ضمن كتابي : حول ستراتيجية الأدب الإسلامي) وأما هذه الرابعة فمع الصوت في كتاب الله ...

الصوت ؟!

نعم ... ولقد أغراني الموضوع منذ عهد بعيد ، ولكني كنت كلما فكرت في الإقدام عليه انتابني التردد بسبب قناعتي الخاطئة أنه ليس ثمة مفردات كافية للصوت في كتاب الله تعالج في بحث مستقل.

ويوماً خطر ببالي أن أجرد مفردات الصوت ودلالاته في كتاب الله من بدئه حتى منتهاه ... ففوجئت بدفق مدهش من المفردات المرتبطة بالصوت والتي تشكل سيالاً مترعاً بالخصوبة والعطاء ...

يا الله ... كم أن هذا الكتاب المعجز ، كما وصفه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أنزل عليه (لا تنقضي عجائبه) وهذه هي إحدى عجائب القرآن ... هذا الكم الكبير من مفردات الصوت في سوره ومقاطعه وآياته البينات.

فبدأت الجمع ... وإذا بي أجدني قبالة خمسة محاور رئيسية ينطوي كل منها على حشد من الآيات ...

في المحور الأوّل عرض للصوت في جانبه الإيجابي يقابله محورتان يعرض للصوت في جوانبه السلبية. أما المحور الثالث فينطوي على إشارات تتعلق بخلق الكون والطبيعة ، وأما المحور الرابع فيعنى بالمعجزات وصبغ العقاب التي انصبت على الأقوام المارقة ... حتى إذا انتهينا إلى المحور الخامس ، وهو أكثرها اتساعاً ، فاننا سنجده يتحدث عن يوم القيامة وعن العقاب والثواب !!

فلتبدأ رحلتنا المباركة مع (الصوت) في كتاب الله ...

[2]

النطق الذي به تتميز الأصوات ... هو إحدى معجزات الله في الخلق والذي ينبني على شبكة من الأجهزة تعمل كل منها بالتنسيق مع بعضها : فهناك اللسان والشفتان ، والحلقوم ، واللهاث ، والتراقي والقصبة الهوائية ، والأنف والأسنان ، ومسارب الهواء دخولاً وخروجاً ، وهي الأمور التي يعنى بها (علم الأصوات) و(مختبراته) ... ونحن نعرف جيداً أننا بدون الأداء اللغوي الواضح البيّن الذي تتواصل به الأمم والشعوب والجماعات ، فلن نتقدم خطوة واحدة باتجاه الفعل الحضاري ، والعمران ، والتواصل الاجتماعي. ومن أجل هذا يجيئ قسم الله سبحانه وتعالى منطوياً على معجزة النطق : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآية ٢٣).

وترتبط بالنطق ظاهرة أخرى لا تقل إعجازاً هي اختلاف اللغات بين أمة وأمة وبين جماعة وأخرى بهدف التنويع الذي قامت عليه بنية السماوات والأرض والعالم والحياة ... فتحت مفهوم الوحدة والتنوع ، والذي يطبع الحضارات البشرية بطابعه الواضح ، ويدفعها إلى التنافس والتبادل والعطاء يجيئ تنوع الألسنة واللغات ، وهو بحدّ ذاته إحدى آيات خلق الله التي يعرفها جيداً علماء الاجتماع والاثنولوجي والتاريخ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٢٢).

ولقد أخذها إبراهيم (عليه السلام) على قومه الوثنيين الذين حطم أصنامهم ، حجة بأن آلهتهم المدعاة لا تستطيع نطقاً ولا بياناً فأسكتهم بحجته تلك : ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيات ٦٢-٦٥).

وفصاحة اللسان استكمال للحديث عن وظيفة الصوت ، ولهذا دعا موسى (عليه السلام) ربه أن يعينه بأخيه هارون ذي البيان الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٣٤).

بل إن الخطاب النبوي لا يمكن أن يؤدي وظيفته الكاملة إلا بإيصاله ، بقوة اللغة ، إلى المخاطبين ، ولهذا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة القصص ، الآية ٥١) وهذا يضع على عاتق الجماعات المؤمنة في العالم ، وآخرها المسلمون ، مهمة مواصلة الطريق ، وايصال القول إلى سمع العالم كله ، وعقله ، ووجدانه من أجل التزامه بالصراط ، وتجاوزه الطرق المعوجة التي قادته إلى الضلال والبوار ... والآن ... ونحن في زمن ما يسمى بالتقدم الأسطوري في وسائل الإعلام ، وبخاصة القنوات الفضائية ، والصحافة اليومية ، فان علينا أن نشد العزم لرفع خطابنا وايصال صوتنا بلغات العالم كلّه ، وأن نكف عن خطاب بعضنا بعضاً ، وننتقل إلى الآخر الذي يتحرق شوقاً لمعرفة ما يريده هذا الدين ، الذي هو في بدء التحلل ونهايته ، مركب الإنقاذ الوحيد للبشرية المعذبة الضالة ...

والآذان : أي رفع الصوت بدعوة الناس لأداء عباداتهم ، يرتبط هو الآخر بالصوت ... وفضلاً عن الآذان الذي يدعو المؤمنين للصلاة خمس مرات في اليوم ، فان هناك آذاناً آخر : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (سورة الحج ، الآية ٢٧) ... وها هوذا الآذان في الناس بالحج ، يعتمد اليوم وسائط الإعلام لكي ما يلبث أن يصل إلى كل أذن تتلهف لسماع الصوت ، وتنطلق بآليات المواصلات السريعة لتلبية النداء.

ومع الآذان ، هناك جملة من المعطيات الصوتية ذات البعد الإيجابي ، من مثل الحوار : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (سورة المجادلة ، (الآية ١) ...

و(النجوى) وهي الحوار الهادئ بين طرفين : ﴿ ... وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (سورة المجادلة ، (الآية ٩) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة المجادلة ، (الآيتان ١٢-١٣) بهذه المساحة الواسعة من السماحة التي تجد البدائل المناسبة دائماً للمأزومين فتخرجهم من المآزق !!

و(غض الصوت) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة الحجرات ، (الآية ٣).

و(الجهر به) : إذ دائماً ما يدير القرآن كاميرته على الحالة الواحدة من وجهها لكي يعطي الصورة جانبها السليم ، وصيغتها الموزونة ، ولهذا نادى نوح (عليه السلام) : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ۞ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ﴾ (سورة نوح ، (الآيتان ٨-٩) ، ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ١١٠) ، ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١١٠) ، ﴿ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ . . . ﴾ (سورة الرعد ، (الآيتان ١٠-١١).

و(النداء) الذي طالما يجيئه الجواب !! ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٣) ، ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ۞ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ (سورة القلم ، (الآيتان ٤٨-٤٩) ، ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٣٩) ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرَارِ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٩٣) ، ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٤٦) ، ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيتان ٨٧-٨٨) ، ﴿ وَزَكَرِيَّا

إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ . . . ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيتان ٨٩-٩٠).

و(الذكر) و(الدعاء) حيث يقسم الله (سبحانه وتعالى) بالملائكة التي تقف صفاً عند ربها ، وتتراص في الصف ، وتزجر السحاب ، وتجيئ بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفّاً ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ﴾ (سورة الصافات ، (الآيات ١-٣). وكقوله تعالى : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ۞ عُذْراً أَوْ نُذْراً ﴾ (سورة المرسلات ، (الآيتان ٥-٦) ، ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٩٣).

ثم يجيئ (الرمز) أي التخاطب بالإشارة ، والذي يستغنى به عن الكلام ، لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٤١) ، ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً ۞ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾ (سورة مريم ، (الآيتان ١٠-١١) ، ﴿ . . . فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٢٦).

[3]

أما العروض القرآنية للصوت في أبعاده السلبية ، فكثيرة هي الأخرى ، ولنبدأ بأشدها استهواء للناس على مدار الزمن والمكان ، واغواء لهم، وصداً عن الإذعان لكلمة الحق والتزام الصراط المستقيم ... وانسياقاً وراء الجهل والاستكبار الفارغ ... انها (لهو الحديث) : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة لقمان ، (الآيتان ٦-٧). قال ابن كثير في تفسيره " لما ذكر سبحانه وتعالى حال العداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن

الانتفاع بسماع كلام الله (سبحانه وتعالى) وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات التطريب ... قال ابن مسعود (لهو الحديث) هو الغناء ، والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات. وقال الحسن البصري نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير. وقيل أراد بقوله ﴿ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ اشتراء المغنيات من الجواري ... قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن. وأكل أثمانهن حرام. وفيهن أسّر له الله عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ ، قال الضحاك : ﴿ لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ يعني الشرك. واختار ابن جرير أنه كل كلام يصدّ عن آيات الله واتباع سبيله : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب ، إذا تليت عليه الآيات القرآنية ، ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته " (مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨١) المجلد الثالث ، ص ٦٢-٦٣).

والجدل بين فقهاء المسلمين لا يزال قائماً بصدد الموقف من الغناء ، فمنهم من يحرمه تحريماً مطلقاً ومنهم من يقيّد سماعه بالحالات التي يرتبط بها. فإذا ارتبط بالميوعة ، والاختلاط ، والإثارة الجنسية ، والتهتك والوقوع في المحرمات ، واعتمد كلمات الفحش والبذاءة ، وأغرى بمصائد الشيطان فهو الحرام ... وان تحرّر من هذا كله ودعا إلى الحياة الوضيئة الطاهرة ، وحفّز الهمم ، وبشر بالقيم العليا ، كما تفعل الأناشيد الإسلامية ، مثلاً ، فهو الحلال ...

وعلى أية حال فان ربط كلمة الحديث في كتاب الله باللهو تحمل دلالتها الواضحة على ما يقود إلى الضلال ولهذا يشن القرآن حملته الصارمة على هذه الفعالية المضلة التي تقوم على الجهل بحقائق الأشياء والتي يصرّ مقترفوها على الاستمرار فيها ، وعلى وضع الشمع الأحمر في آذانهم كيلا ينصتوا لكلمة الحق ، وبالتالي يجيئ توعدهم بالعذاب الأليم ...

ترتبط بذلك ممارستان ينهى عنهما القرآن لأنهما تقودان إلى ما لا يرتضيه المسلم الجاد لزوجه واخوانه وبناته ... بل لنساء المؤمنين جميعاً ... وهما (الخضوع بالقول) و (ضرب

الأرجل) للإعلان عما يخفى من زينة النساء : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(سورة الأحزاب ، (الآية ٣٢) ، ﴿ . . . وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(سورة النور ، (الآية ٣١).

في الآية الأولى يأمر الله (سبحانه وتعالى) نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك ، بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فانهن لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾ ويعني بذلك ترقيق الكلام إزاء خاطبن الرجال ، ولهذا قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿ . . . فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ . . . ﴾أي دغل. ﴿ . . . وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ أي قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير. ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي لا تخاطبه المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

أما في الآية الثانية ، فقد كانت المرأة في الجاهلية إذا مشت في الطريق وفي رجلها خلخال صامت ، لا يعلم صوتها ، ضربت برجلها الأرض ، فيسمع الرجال طنينه ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك لما تثيره من فتنة ﴿ . . . وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه.

ورفع الصوت لدى خطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) والجهر له بالقول فيما يتجاوز حدوده المعقولة مما نهى كتاب الله ، خاصةً وأنه يخاطب قوماً حديثي عهد بالبداوة ، وهم بأمس الحاجة من يشكمهم عن الانفلات في التعامل مع الآخرين ، فكيف مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(سورة الحجرات ، (الآية ٢) ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(سورة الحجرات ، (الآيتان ٤-٥) ، ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ

بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً . . . ﴾(سورة النور ، (الآية ٦٣). ويبلغ من التنفير من رفع الصوت وتجاوز الحدّ المعقول أن يشبهه كتاب الله بصوت الحمير ، وهو – كما يعرف الجميع – أبشع الأصوات وأكثرها نشازاً على الاطلاق : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾(سورة لقمان ، (الآية ١٩).

يقابل ذاك غض الصوت عند خطاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما يليق بمكانته ، وفيما يعكس أدب الذي يتحدثون إليه ، فيما سينالون عليه المغفرة والأجر العظيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(سورة الحجرات ، (الآية ٣).

و(النجوى) التي كان يهود المدينة يمارسونها كجزء من الحرب النفسية ضد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه ودعوته ، مرفوضة هي الأخرى في كتاب الله ... " وقد كان بين النبي (صلى الله عليه وسلم) وبين اليهود موادعة ، وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن ، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم ، فنهاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) عن النجوى ، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ . . . ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ٨) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ . . . وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ . . . ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ٨) أي يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم ﴿ . . . وَالْعُدْوَانِ . . . ﴾ وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول ومخالفته ، يصرون عليها ويتواصون بها ... وقوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ . . . وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ . . . ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ٨) أي يفعلون هذا ويقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره ، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك الله أن يعاجلنا بالعقوبة في الدنيا ، فقال الله (سبحانه وتعالى) : ﴿ . . . حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ . . . ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ٨) أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة : ﴿ . . . يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ٨) ...

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة المجادلة ، (الآية ١٠) أي انما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً : ﴿ . . . مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ يعني انما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه : ﴿ . . . لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا . . . ﴾ أي ليسوءهم وليس ذلك ﴿ . . . وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . . . ﴾ ومن أحسّ ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شيء بإذن الله ... (مختصر تفسير ابن كثير ٣/٤٦٢-٤٦٣).

ويستمر كتاب الله في إدانة الحديث الخافت ، أي الهمس ، إذا كان في أمر سلبي ، وذلك عندما قصيّ علينا واقعة أصحاب الجنتين الذين انطلقوا لكي يحصدوا ما زرعوه ، وجرى بينهم حوار هامس استهدف منع المساكين من الحصول على حصتهم من ثمار الجنتين : ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۞ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ (سورة القلم ، (الآيتان ٢٣-٢٤).

وثمة حشد آخر من المفردات القرآنية تتعلق بالجانب السيء من الصوت ... منها (الخوار) : ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴾ (سورة طه ، (الآيات ٨٧-٨٩).

والمكافأة ، أو احتباس الأحرف في الحلق : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآيتان ٥١-٥٢) ، ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ١٣).

والوقر الذي هو أشبه بالشمع الأحمر الذي يوضع على الأسماع فيصمّها ، ويعزل أصحابها عن سماع كلمة الحق ، ويقودهم إلى الضلال : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٧) ، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ (سورة

فصلت ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٤٤).

وشبيه بهذا ، الختم على الأسماء الذي يصدها عن سماع كلمة الحق ويتركها للحيرة والضلال : ﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٧) ، ﴿ أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ . . . ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٢٣).

وسدّ منافذ السمع بوضع الأصابع في الآذان كي لا تصغي لدعوات الهدى التي تسمعها لأن تخرجها من الضلال : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ (سورة نوح ، (الآية ٧).

وثمة موانع الحق غير الحسية ، والتي تنبثق من داخل النفس البشرية بصيغة وسوسة خافتة يمارسها الشيطان لإغواء بني آدم : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٢٠) ، ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۞ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (سورة طه ، (الآيتان ١٢٠-١٢١) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٨٣).

ويتذكر المرء ها هنا حشود الفجار على مدى العالم كلّه : في السينما والمسرح والقنوات الفضائية والصحف والمجلات والمسابح والحمامات التي تسعى جاهدةً لتعرية الناس والكشف عن سواءتهم ، فيما حوّل العالم في العقود الأخيرة إلا ما خور كبير ، ضاعت فيه إنسانية الإنسان ، وكشر الحيوان الجائع في داخله عن أنيابه ، وأخذ البعض ينزو على البعض بعيداً عن أي ضابط أخلاقي ، أو ذوق إنساني ، هنا أصبح زنا المحارم أمراً مشاعاً ... والزواج المثلي يعقد في باحات الكنائس ويصوت على إقراره في البرلمانات وتعقد من أجله المؤتمرات الدولية الكبرى ... بل ان عجلة الكشف عن السوءات مضت إلى اغتصاب الطفولة ... وتعدّت ذلك إلى كبار القسس والكرادلة في مؤسسة الفاتيكان التي تتزعم المسيحية المتطهرة في العالم !! حيث صرنا

نسمع عن الممارسات الجنسية الفاحشة بين كبار القسس أنفسهم ... ولا يدري المرء إلى أين ستنتهي هذه الموجة العارمة التي حذّر منها كتاب الله (سبحانه وتعالى) ...

وهناك التحذير القرآني من جملة أخرى من الممارسات الخاطئة المرتبطة بالصوت : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١٩٧) ... والحق فان التقوى هي صمام الأمان الذي يمنع السنة الناس من الانطلاق بما لا يرضاه الله : ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٤٨) فهذا هو الاستثناء أما القاعدة فهي رفض الجهر بالسوء من القول.

واللغو في الايمان قد يصدر عن غير نية حاسمة فلا يحاسب عليه وتلك هو سماحة هذا الدين ويسره وتخفيفه عن الناس : ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢٢٥) ، ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ ... ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٨٩).

وان العرب الوثنيون عندما يطوفون بالبيت يصفرّون بأفواههم ويصفقون بأيديهم، وهم عراة ، ويصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاته ، ويستهزئوا بالمؤمنين ، ويصدوهم عن سبيل الله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٣٥) وهو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي.

وأخيراً تجيئ حملة القرآن المتطاولة على الكافرين الذين اختاروا الضلال على التزام الهدى ، والطرق المعوجة على الصراط ، والصمم على سماع نداء الحق : ﴿وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ... ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٧١) ، ﴿ ... ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ... ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٧١) ، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبصَارَهُمْ ﴾(سورة محمد ، (الآية ٢٣) ، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ

﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١٨) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٣٩) ، ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٢٢) ، ﴿ . . . أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤٢) ، ﴿ . . . وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٤٥) ، ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾(سورة النمل ، الآية ٨٠) ، ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(سورة الزخرف ، (الآية ٤٠) ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾(سورة الفرقان ، (الآية ٧٣) ، ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ . . . ﴾(سورة هود ، (الآية ٢٤).

[4]

ثمة إشارات قرآنية تتعلق بخلق الكون والطبيعة وترتبط بالصوت ...

في بدء الخلق الكوني كانت السماوات والأرض ملتصق بعضها ببعض ، فجاء الأمر الإلهي بفتقهما أي بفصل السماوات عن الأرض : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٣٠) ... ولا ريب أن الفتق الذي هو أشبه بتخزين الكتلة الواحدة المتراصة ، يخرج صوتاً مركزاً رهيباً بمستوى الواقعة التي يتم التعامل معها ... وثمة إشارة مدهشة في هذه الآية التي تتوجه بالخطاب إلى الكفار وليس إلى المؤمنين. ذلك أن الكفار هم الذين سيقدّر لهم أن يكتشفوا بدايات الخلق فيما أطلقوا عليه مبدأ (الانفجار العظيم الـ Big Bang) والذي يكاد يجمع عليه معظم الكوزمولوجيين عبر العقود الأخيرة من الزمن.

وهنالك إشارتان معجزتان ترتبطان بالصوت ، في بنية الكون ، تتمثل أولاهما بالقسم الإلهي في السورة التي تحمل اسم (الطارق) : ﴿ وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۞ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾(سورة الطارق ، (الآيات ١-٣). فأما مفسرونا القدماء ، حيث لم يكن علم الكوزمولوجي قد شب في الطوق ، ولم تكن المسابير الفضائية قد بلغت الساعة والذي بلغته في

العصر الحديث ، فقد فسروا هذه الآيات بما أتيح لهم من معرفة محدودة ، فلم يتوصلوا إلى أمر قاطع ، ولكن الذي حدث في عام (٢٠٠٧م) تحديداً أن المسابير الفضائية اكتشفت في الأعماق البعيدة للكون ، نجوماً في مسرحه وهي تطرق كل ما يمر بها من أجسام وتثقبها ، ويجيئ هذا الكشف المدهش لكي يضيف معجزة أخرى إلى التفسير العلمي لكتاب الله.

والأمر نفسه ينطبق على الكشف العلمي في العام نفسه لنجوم تسبح في مسرح الكون الكبير ، بصمت دون أن تحدث جلبة ولا ضوضاء ، وتكنس في طريقها كل ما يمرّ بها من أجرام ... ونحن نقرأ هاتين الآيتين : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ (سورة التكوير ، (الآيتان ١٥-١٦) فيأخذنا العجب لهذا التطابق المدهش بين هاتين الآيتين ، بدلالة مفرداتهما الواضحة المحددة ، وبين الكشف العلمي الأخير هذا ...

وثمة القسم بالعاصفات في سورة المرسلات : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً ۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً ۞ عُذْراً أَوْ نُذْراً ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ (سورة المرسلات ، (الآيات ١-٧) والعاصفات عصفاً هي الرياح إذا هبّت بتصويت !!

[5]

في المحور الرابع نلتقي بجملة من المعجزات الإلهية التي انصبت على الأقوام المارقة ، بعد دعوتهم المتطاولة إلى الايمان ، وإلى نبذ أديانهم الملتوية التي لا يستقيم معها منطق ... والتحوّل إلى الحياة الوضيئة ، الطاهرة ، المتوحدة ، التي جاء الأنبياء لكي يقودوهم إليها ، ولكنهم أبوا إلا الإصرار على كفرهم وظلمهم وسلوكهم المرذول ... ولطالما أنذرهم الأنبياء بأنهم ان استمروا على موقفهم هذا فسوف يجدون أنفسهم فجأة قبالة العذاب الكبير الذي لا يبقي ولا يذر ... ولكنهم لم يسمعوا أو يلتقوا للنذير ...

وإحدى صيغ العذاب الذي وهي به الكفرة الفجرة ... هو الصيحة : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٤٠) ، ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴾(سورة الحجر ، (الآيات ٨٠-٨٤) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾(سورة القمر ، (الآية ٣١) ، ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۞ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة المؤمنون ، (الآيات ٣٩-٤١) ، ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّثَمُودَ ﴾(سورة هود ، (الآيتان ٦٧-٦٨)

وهم ثمود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة على تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا سواء بسواء ، ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم ، وتهدّدوا نبي الله صالحاً ومن آمن معه ، وتوعدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات " (مختصر ابن كثير ٣٧/٣) ... والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي البارد تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا هلكى كغثاء السيل وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه " (مختصر ابن كثير ٥٦٥/٢) " فبادوا عن آخرهم ، لم تبق منهم باقية ، وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات ... والمحتظر هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيه الريح " (مختصر ابن كثير ٤١١/٣). وقد يسميها كتاب الله (الطاغية) : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾(سورة الحاقة ، (الآية ٥) وهي الصيحة.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾(سورة الحجر ، (الآيات ٧٣-٧٦). والصيحة هي " ما جاء قوم لوط من الصوت القاصف عند شروق الشمس وهو طلوعها. وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وارسال حجارة السجيل عليهم " (مختصر ابن كثير ٣١٦/٢). وإنها لبسبيل مقيم – فالذين يجتازون اليوم الصحراء الفاصلة بين العراق والأردن ، ويقتربون من حافات الضفة الشرقية يرون بأم أعينهم الحجارة السوداء منتشرة هناك على مدى البصر ، ولسوف تظل كذلك إلى ما شاء الله ، ذكرى لعقاب أولئك الذين كانوا يتعاطون الخبائث ويأتون الرجال من دون النساء ، فنسفوا بذلك واحدة من أبشع صيغ العلاقة الجنسية في حياة المجتمعات.

﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (سورة هود ، (الآيتان ٩٤-٩٥) : " لما يئس نبي الله شعيب من استجابة قومه له قال :﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٩٣) أي طريقتكم ، وهذا تهديد شديد ﴿ ... إِنِّي عَامِلٌ ... ﴾ على طريقتي ﴿ ... سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ... ﴾ أي مني ومنكم ﴿ ... وَارْتَقِبُواْ ... ﴾ أي انتظروا ﴿ ... إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (سورة هود ، (الآية ٩٤) أي هامدين لا حراك بهم. وذكر ها هنا أنهم انتهم صيحة ، وفي الأعراف رجفة ، وفي الشعراء (عذاب يوم الظلة) وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وانما ذكر في كل سياق ما يناسبه ، وقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٩٥) أي يعيشوا في دارهم قبل ذلك ﴿ ... أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار وشبيهاً بهم في الكفر وكانوا عرباً مثلهم " (مختصر ابن كثير ٢/٢٣١).

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۞ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيتان ٢٨-٢٩) ... فبعد حوار (حبيب النجار) الداعية النصراني الموحّد مع هؤلاء الكفرة الذين لم يستجيبوا لنداء الرسل الثلاثة إليهم ، قاموا بتعذيبه وقتله ، فكانت مكافأة الله له إدخاله الجنة ، وعقاب المدينة الفاجرة بالصيحة التي كنستهم من الوجود ... " قال المفسرون بعث الله سبحانه وتعالى عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام ، فأخذ بعضادتيْ باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فأداهم خامدون عن آخرهم ، لم يتبق بهم روح تتردد في جسد ، وقد تقدم عن كثير من السلف ان هذه القرية هي أنطاكية " (مختصر ابن كثير ٣/١٦٠).

ومع الصيحة ، هنالك الصواعق بكل ما تحمله من صوت مرعب مخيف ، وما تتمخض عنه من التدمير والإهلاك. ولعل الصيحة هي الصاعقة ، كما توحي الآيات التي تتحدث عن

الموضوع : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ١٣) ، ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ١٧) " أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة ، وزلاً وهواناً ، وعذاباً ونكالاً ﴿ . . . بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي من التكذيب والجحود " (مختصر ابن كثير ٢٥٩/٣).

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ۞ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيات ٤٣-٤٥).

وقد تأتي الصواعق عقاباً للكفار ، على اطلاقهم ، دون تحديد : ﴿ . . . وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ١٣).

أو عقاباً على التطاول على جلال الله ، وتجاوز حدود التأديب في التعامل معه سبحانه وتعالى ، كما حدث مع بني إسرائيل الذين طالما أساءوا تأدبهم مع الله جل في علاه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٥٥). بل انها أخذت حتى نبي الله وكليمه موسى (عليه السلام) عندما تجاوز حده وطالب بأن ينظر إلى الله !! ونحن نعرف أن مساً كهربائياً خفيفاً قد يصعق الإنسان ويقضي عليه ، فكيف بمقابلة الله جل في علاه ذي القوة المطلقة والجبروت العظيم الذي يصف نفسه بقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٦٧) ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٤٣).

وقد تأتي ، الصواعق ، في سياق الأمثال التي يضربها كتاب الله لتقريب المفاهيم إلى العقول بالتخييل الحسيّ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ ۞ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ۞ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة البقرة ، (الآيات ١٦-٢٠).

وقصف الريح ، والريح الصرصر ... والريح العقيم ... بما تنطوي عليه من أصوات مرعبة ، ترد في كتاب الله مراراً ، لتصوير ما أصاب المكذبين من عقاب رهيب ... والمفردات القرآنية ها هنا تعبّر عن الويل الذي حاق بأولئك المكذبين : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ١٦) ، ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۞ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيتان ٤١-٤٢) ، ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ؟ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ٦-٨) ، ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٦٩).

وفي المقابل فان القرآن يصوّر عقاب الأمم والجماعات الفاجرة بصورة الصمت المطبق في استسلامهم لأقدار الله : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١٥) ، " أي ما زالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم دأبهم وعادتهم حتى حصدناهم حصداً ، وخمدت حركاتهم وأصواتهم خموداً " (مختصر ابن كثير ٥٠٣/٢) ".

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٩٨) ، " أي هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم صوتاً ؟ " (مختصر ابن كثير ٤٦٨/٢).

وثمة الجانب الإيجابي في التعامل القرآني مع الصوت ، وفي سياق المعجزات التي تخرق السنن الطبيعية لدعوة الكفرة والفجار إلى الصراط ... كواقعة أصحاب الكهف الذين ضرب الله على آذانهم كي يفصلهم عن العالم من حولهم ويجعلهم يغطون في نوم عميق القرون الطوال : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾(سورة الكهف ، (الآيتان ١١-١٢).

وكنعمة الله على داود وسليمان (عليهما السلام) بجملة من الميزات التي لم تعط لأحد من العالمين : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾(سورة سبأ ، (الآية ١٠) ، ﴿ ... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٧٩) : " يخبر الله (سبحانه وتعالى) عما أنعم به على عبده داود (عليه الصلاة والسلام) مما أتاه من الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذي العدد والعدة ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبّح به تسبح معه الجبال الراسيات ، الشم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات ، والغاديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمع صوت أي موسى الأشعري (رضي الله عنه) يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال (صلى الله عليه وسلم) : (لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود). ومعنى قوله تعالى : ﴿ أَوِّبِي ﴾ أي سبحّي ، والتأويب في اللغة الترجيع. فأمرت الجبال والطر أن ترجع معه بأصواتها " (مختصر ابن كثير ١٢٢/٣).

﴿ ... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٧٩) " وذلك لطيب صوته بتلاوة الزبور ، وكان إذا ترنّم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه، وترد عليه الجبال تأويباً " (مختصر ابن كثير ٥١٦/٢-٥١٧).

أما سليمان (عليه السلام) فقد علّم منطق الطير ، وواقعته مع الهدهد معروفة : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾(سورة النمل ، (الآية ١٦) " وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضاً على اختلاف أصنافها " (مختصر ابن كثير ٦٦٨/٢) ، ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن

قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيتان ١٨-١٩). أي حتى إذا مر سليمان بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ، ففهم سليمان (عليه السلام) منها فتبسم ضاحكاً ودعا ربه أن يلهمه شكر نعمته التي من بها عليه من تعليمه منطق الطير والحيوان. (مختصر ابن كثير ٦٦٨/٢).

بل إن إحدى المعجزات التي ترتبط بالصوت هي أن يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ . . . ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ١٣) ، " كقوله ﴿ . . . وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ . . . ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٤٤) ... وكان (صلى الله عليه وسلم) إذا سمع الرعد قال : (سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) ... ان هذا الوعيد شديد لأهل الأرض. وقال : (إذا سمعتم الرعد فأذكروا الله فانه لا يصيب ذاكراً) ... " (مختصر ابن كثير ٢٧٤/٢).

وهناك صراخ الفجرة الكفرة وهم يجابهون الويل الإلهي الذي يتنزل عليهم عقاباً لإصرارهم على الكفر والضلال ... حيث لا يجدي الصراخ بعد إن صدر الأمر الإلهي بالعذاب ، وفات الأوان : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۞ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۞ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۞ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيات ٦٤-٦٧) : " أي لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء أجأرتم أو سكتم لا محيد ولا مناص ولا وزر ، لزم الأمر ووجب العذاب. وقد كنتم إذا دعيتم ، بيتم وإذا طلبتم امتنعتم " (مختصر ابن كثير ٥٦٩/٢).

[6]

أما في مرحلة الانقلاب الكوني الذي تتغير فيه معادلات السماوات والأرض ، ومما يعقبها من بعث ، وحساب ، وجنة أو نار ... فان للصوت مساحة ملحوظة فيها ... وإن جرس الكلمات ذاتها ليصك الأسماع وهي تتحدث عن يوم الهول هذا : الصاخة ، الزلزلة ، القارعة ، الطامة ، الراجفة ، الرادفة ، المور ، النسف ، الرج ، البّس ، الدك ، الغاشية ، الدمدمة ، النقر في الناقور

... النفخ في الصور ... والصيحة !! فلنتابع هذه الكلمات واحدة واحدة لتأكيد ما تنطوي عليه من عنف صوتي.

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (سورة عبس ، (الآيات ٣٣-٣٧).

والصاخة تعني يوم القيامة ، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع ، أي تبالغ أسماعها حتى تكاد قصها. (مختصر ابن كثير ٦٠٢/٣).

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ (سورة الزلزلة ، (الآيات ١-٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (سورة الحج ، (الآيتان ١-٢).

وزلزلة الأرض ، وإخراج أثقالها ، تنطوي بالضرورة على رعبها الصوتي الذي يجعل الناس وكأنهم يعانون من السكر الشديد !!

﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً ۞ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾ (سورة الطور ، (الآيتان ٩-١٠) " أي تتحرك تحريكاً وتدور دوراً ، واستدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض ﴿ ... وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً ﴾ أي تذهب فتصير هباءً منبثاً وتنسف نسفاً " (مختصر ابن كثير ٣٨٩/٣) ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۞ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً ﴾ (سورة طه ، (الآيات ١٠٥-١٠٧) " أي يذهبها عن أماكنها ويمحقها ، ويسيرها تسييراً فيذرها قاعاً صفصفاً أي بساطاً واحداً ... لا ترى فيها وادياً ولا رابية ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً ... ﴿ ... وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ... ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٠٨) أي سكنت ﴿ ... فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾: الصوت الخفي ، والمشيء في سكون وخضوع " (مختصر ابن كثير ٤٩٣/٢-٤٩٤).

﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾(سورة الحاقة ، (الآيتان ١٤-١٥) " أي فمدّت مدّ الأديم ، وتبدلت الأرض غير الأرض. ﴿ ... فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي قامت القيامة "(مختصر ابن كثير ٥٤٣/٣).

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ... ﴾(سورة الفجر ، (الآيات ٢١-٢٣) " يخبر الله (سبحانه وتعالى) عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال (سبحانه وتعالى): ﴿ كَلَّا ... ﴾ أي حقاً ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ... ﴾ أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لربهم ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ... ﴾ يعني لفصل القضاء بين خلقه ... والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ... ﴾أي يؤتى بجهنم" (مختصر ابن كثير ٦٣٨/٣).

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾(سورة الواقعة ، (الآيات ٤-٦) " أي حركت تحريكاً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ... أي زلزلت زلزالاً ، ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه ... ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ أي فتت تفتيتاً ... ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، أو كيابس الشجر تذروه الرياح " (مختصر ابن كثير ٤٢٨/٣).

﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾(سورة القارعة ، (الآيات ١-٥) : والقارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. وقد قال (سبحانه وتعالى) معظماً أمرها ومهولاً لشأنها : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ثم فسر ذلك بقوله ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث. ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق " (مختصر ابن كثير ٦٧٠/٣).

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۞ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾(سورة النازعات ، (الآيات ٣٤-٣٦) يقول (سبحانه وتعالى): ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ وهو يوم القيامة ، سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع ﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ﴾أي يتذكر ابن آدم عمل خيره وشره ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ أي ظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً. (مختصر ابن كثير ٥٩٨/٣).

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾(سورة الغاشية ، (الآيات ١-٣) والغاشية من أسماء يوم القيامة لأنها تغشى الناس وتعمهم ... (مختصر ابن كثير ٦٣٢/٣).

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾(سورة النازعات ، (الآيات ٦-٨) " هما النفختان الأولى والثانية. أما الأولى ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴾ فكقوله جلت عظمته (يوم ترجف الأرض والجبال) وأما الثانية وهي الرادفة كقوله ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾(سورة الحاقة ، (الآية ١٤) (مختصر ابن كثير ٥٩٥/٣).

﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾(سورة النازعات ، (الآيات ١٢-١٤) " أي فانما هو أمر من الله (سبحانه وتعالى) ... فإذا الناس قيام ينظرون ... وهو أنه يأمر الله (سبحانه وتعالى) إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين الرب عز وجل ينظرون. ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ صيحة واحدة وأشد ما يكون الرب عز وجل غضباً على خلقه يوم يبعثهم : زجرة من الغضب " (مختصر ابن كثير ٥٩٦/٣).

والصيحة التي أتت على الأقوام الفاجرة في الدنيا فأبادتهم من الوجود ، تجيئ مرة أخرى في سياق الانقلاب الكوني والنفخ في الصور ، لكي يقفهم أمام الله ﷻ لتلقي الجزاء : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيتان ٤٩-٥٠) ، ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ

﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيتان ٥٣-٥٤) " يخبر الله (سبحانه وتعالى) عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ . . . ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٤٨) ... فما ينتظرون إلا صيحة واحدة ، وهذه والله أعلم، نفخة الفزع في الصور والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم. فبينما هم كذلك إذ أمر الله (عز وجل) إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدّها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلاّ أصغى ؟؟؟ ورفع ؟؟؟ وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ، ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً . . . ﴾ أي على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك ﴿ . . . وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ... ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ، ثم بعد ذلك (نفخة البعث) " مختصر ابن كثير ١٦٥/٣).

والدمدمة : ﴿ . . . فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾ (سورة الشمس ، (الآية ١٤) : (أي غضب عليهم فدمّر عليهم ، وجعل العقوبة نازلة عليهم من السماء " (مختصر ابن كثير ٦٤٥/٣).

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ (سورة المدثر ، (الآيات ٨-١٠) " الناقور : الصور وهو كهيئة القرن ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ أي شديد ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ أي غير سهل عليهم " (مختصر ابن كثير ٥٦٨/٣).

وللصور في كتاب الله مساحة واسعة ، فهو يرد في العديد من الآيات التي تنطوي جميعاً على دلالتها الصوتية الهائلة وهي تتعامل مع الانقلاب الكوني المدهش الكبير : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ١٣-١٥) " يقول الله (سبحانه وتعالى) مخبراً عن أهوال يوم القيامة ، وأوّل ذلك (نفخة الفزع) ثم يعقبها (نفخة الصعق) حين يصعق من في السماوات والأرض إلاّ من شاء الله ، ثم بعدها (نفخة القيام لرب العالمين) وقد أكدها ها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ، ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، فهي إذن النفخة الأخيرة ، والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ها هنا : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ أي فمدّت مدّ الأديم ، وتبدلت الأرض غير الأرض : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾أي قامت القيامة " (مختصر ابن كثير ٥٤٣/٣).

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(سورة الزمر ، (الآية ٦٨) " يقول تبارك وتعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة ، فقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ . . . ﴾ هذه النفخة هي الثانية وهي (نفخة الصعق) وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ، كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم الذي كان أوّلاً ، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ، ﴿ . . . لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ . . . ﴾(سورة غافر ، (الآية ١٦) ، ويقول ثلاث مرات ، ثم يجيب بنفسه فيقول : ﴿ . . . لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ أنا الذي كنت وحدي ، وقد قهرت كل شيء ، وحكمت بالفناء على كل شيء. ثم يجيئ أول من يجيئ إسرافيل ، ويأمره بأن ينفخ في الصور أخرى ، وهي النفخة الثالثة (نفخة البعث). قال الله (عز وجل) : ﴿ . . . ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٦٨) أي أحياء بعدما كانوا عظاماً ورفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة " (مختصر ابن كثير ٢٢٩/٣).

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾(سورة النمل ، (الآية ٨٧) " يخبر الله (سبحانه وتعالى) عن هول يوم نفخة الفزع في الصور ... ثم بعد ذلك (نفخة الصعق) وهو الموت ، ثم بعد ذلك (نفخة القيام لرب العالمين) وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ، ولهذا قال (سبحانه وتعالى) : ﴿ . . . وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ أي صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره ... " (مختصر ابن كثير ٦٨٤/٢).

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٥١) " هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة (البعث والنشور) للقيام من الأجداث والقبور ، ولهذا قال (سبحانه وتعالى) : ﴿ ... فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ والنسلان هو المشي السريع " (مختصر ابن كثير ١٦٥/٣).

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ (سورة النبأ ، (الآيتان ١٧-١٨) ، ﴿ ... وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧٣) " عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته متى يؤمر فينفخ ... وقال أعرابي : يا رسول الله ما الصور ؟ قال : قرن ينفخ فيه " (مختصر ابن كثير ٥٩٠/١).

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۞ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ (سورة الكهف ، (الآيتان ٩٩-١٠٠) ، ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٠٢) ، ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ١٠١).

وثمة منظومتان من المقاطع والآيات تنطويان على بعدهما الصوتي ، تتحدث أولاهما عما سيلاقيه الفجرة ، الكفرة والطواغيت من عذاب وهم يتمرغون في نار جهنم ورمادها ... وتحكي الأخرى عما سيلاقيه الأبرار جزاء جهدهم المكافح في الحياة الدنيا من أمن وسلام ونعيم ...

في المنظومة الأولى يحدثنا كتاب الله عن يوم التناد : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (سورة غافر ، (الآيتان ٣٢-٣٣). ويوم التناد هو يوم القيامة وسمي بذلك لما جاء في حديث الصور أن الأرض إذا زلزلت وانشقت ... وماجت ارتجت ، فنظر الناس إلى ذلك فذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضاً ... وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ... ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٤٤) ومناداة أهل النار أهل الجنة : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٥٠) ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف " (مختصر ابن كثير ٢٤٣/٣).

ويجيئ الكفرة يوم الحساب ظانين أن بمقدورهم إخفاء جانب من مواقفهم السيئة عن رقابة الله سبحانه وتعالى ، فإذا بهم يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام كتاب سيرتهم الذاتية الذي لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٢٩) " أو يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص ، كقوله (ﷻ) : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤٩) وقوله (عز وجل) : ﴿ . . . إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٢٩) أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم ... فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً " (مختصر ابن كثير ٣١٢/٣-٣١٣).

ليس هذا فحسب ، بل يختم في ذلك اليوم على أفواههم لترك الجوارح تحكي ما اقترفوه صغيراً كان أم كبيراً : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٦٥) ، ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآيتان ٢٠-٢٢).

حتى إذا وضعوا في نار جهنم مزرقي العيون من الهول ، راحوا يتخافتون بينهم ان لبثتم إلا عشرا : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ۞ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ۞ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً ﴾ (سورة طه ، (الآيات

١٠٢-١٠٤) : " أي لقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لأن الدنيا كلها ، وإن تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وساعاتها كأنها يوم واحد ، وكان غرضهم درء قيام الحجة عليه لقصر المدة ولهذا قال الله (سبحانه وتعالى) : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٥٥) ... وقال (سبحانه وتعالى) : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيتان ١١٢-١١٣) ولو كنتم تعلمون لآثرتم الباقي على الفاني ولكن تصرفتم فأسأتم التصرّف" (مختصر ابن كثير ٤٩٣/٢).

هنالك ذلك الحوار المؤثر بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ورجال لأعراف ، وهو يعرض بالأداء القرآني المعجز حال الطرفين : ﴿ . . . وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيات ٤٣-٤٥).

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيتان ٤٦-٤٧) ، ﴿ . . . يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ . . . ﴾ أي يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيات ٤٨-٥١) " ... ينادي الرجل أباه أو أخاه فيقول له : قد احترقت فأفض علي من الماء ، فيقال

لهم أجيبوهم ، فيقولون ﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يعني طعام الجنة وشرابها " (مختصر ابن كثير ٢٣/٢).

وهم يتقدمون إلى جهنم فإذا هم واجدون ؟ التغيّظ ، والشهيق ، والزفير ، والفوران ... وكلها أصوات مهولة ، مرعبة ، تأخذ بالحلاقيم والخناق ، وتصّم الأسماع : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١٠٠) ، ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ١٢) " والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوج أنفاسهم ... عن ابن مسعود : إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره !! " (مختصر ابن كثير ٥٢٣/٢) " وإذا رأتهم – أي جهنم – من مكان بعيد ، يعني في مقام الحشر ، من مسيرة مائة عام ، ﴿ . . . سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾ أي حنقاً عليهم ، كما قال (سبحانه وتعالى) : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . . . ﴾ (سورة الملك ، (الآيتان ٧–٨) أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله " (مختصر ابن كثير ٦٢٦/٢). ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ۝ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآيتان ١٣–١٤) " مثل الرج في الرمح أي من ضيقه. وسئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن قول الله (عز وجل) : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ ﴾ قال : (والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط) وقوله ﴿ . . . مُقَرَّنِينَ ﴾ يعني مكتفين ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً ﴾ أي بالويل والحسرة والخيبة ... والثبور هو الهلاك والويل والخسار والدمار " (مختصر ابن كثير ٦٢٦/٢).

أما المؤمنون الذين التزموا الصراط في الحياة الدنيا فينادون : ﴿ . . . أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٤٣) ، ﴿ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٧٥) " أي الجنة سميت بذلك لارتفاعها ﴿ . . . بِمَا صَبَرُوا . . . ﴾ أي على القيام بالأفعال الجليلة : ﴿ . . . وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً ﴾

أي يبتدرون فيها بالتحية والإكرام ، ويلقون التوقير والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾(سورة الرعد ، (الآية ٢٤) ... " (مختصر ابن كثير ٦٤٢/٢).

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾(سورة مريم ، (الآية ٦٢) أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا. وقوله ﴿ ... إِلَّا سَلَاماً ... ﴾ استثناء منقطع ، كقوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ۞ إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾(سورة الواقعة ، (الآيتان ٢٥-٢٦) ... " (مختصر ابن كثير ٤٥٩/٢).

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ١٠٢) " أي لا يعكر سعادتهم وصفوهم حتى سماع حريق الأجساد في جهنم " (مختصر ابن كثير ٥٢٣/٢) ، ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾(سورة الحج ، (الآية ٢٤) : " فهدوا إلى المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب ﴿ ... وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً ﴾(سورة الفرقان ، (الآية ٧٥) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يوبخون به ويقرعون به يقال لهم : ﴿ ... وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾(سورة الحج ، (الآية ٢٢). وقوله ﴿ ... وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ أي إلى المكان الذي يحمدون عليه ربهم على ما أحسن إليهم ، وأنعم به وأسداه إليهم " (مختصر ابن كثير ٥٣٧/٢).

وشتان بين حالتي الجنة وجهنم ... بين السلام والحرب ... بين الطيب من القول وبين شهيق النار وزفيرها وتميزها وتغيظها ... بين السعادة الأبدية والشقاء المقيم ...

ألا يكفي هذا كله لإيصال الصوت الإلهي إلى عقل الإنسان وسمعه وبصره ووجدانه لعله يكف – ولو قليلا – عن أنشاب أظفاره ومخالبه وأسنانه في تراب الأرض ، وعفونتها ، وقذارتها ... ويرتفع – ولو قليلا – إلى سماوات الأمن ، والرضا ، والتوحد ، والسعادة ، والفرح ، والسلام ؟!

من هم العلميون ؟!

تتردد في كتاب الله أنساق من المفردات القرآنية التي تكد على ضرورة اعتمادها في البحث والنقاش والدعوة والتعامل مع الظواهر والموجودات والخبرات والأشياء ... من مثال : العلم ، الفكر ، العقل ، البرهان ، الحق ، الهدى ، العدل ، الحكمة ، الميزان ، الصراط ، الموعظة ، الحجة الحسنة ، الجدل بالتي هي أحسن ، اليقين ، اعتماد الحواس من سمع وبصر في تأكيد الخبرة أو نفيها ، القسط ، السلطان ، الجد ، الاستقامة ...

وأنساق مضادة يشن عليها القرآن حملته الجازمة لكي يستأصلها من ميادين البحث والنقاش ، والدعوة والتعامل مع الظواهر والموجودات والخبرات والأشياء من مثال : الظن ، الهوى ، الزعم ، الإفك ، الكذب ، الافتراء ، الأساطير ، الأسماء ، الاعوجاج ، الهزل ، الضلال ، السحر ، الكهانة ...

تتردد هذه الانساق في كتاب الله من بدئه حتى منتهاه ، فيما يؤكد منهجية القرآن العلمية – إذا صح التعبير – للوصول إلى النتائج الدقيقة في مجالات البحث والدعوة والمناظرة ... وفيما يضع كل المذاهب الوضعية – مهما ادعت من أخذها بالمنهج العلمي – على حافات اليقين ، ويقودها إلى الانحراف والضلال.

فمن هم العلميون إذن في هذا العالم ؟

بحث موجز كهذا لا يتسع لإيراد الشواهد كافة حول الموضوع ، فلابدّ إذن من الاختصار في استدعاء نماذج منها وإحاطة القارئ إلى العدد الذي أورده كتاب الله عن كل منها ...

المفردات المنهجية

العلم (بتصريفاته المختلفة) : ٨٢٠ مرة.

البرهان : ٨.

الفكر (بتصريفاته المختلفة) : ١٨.

الفقه (بتصريفاته المختلفة) : ٢٠.

العقل (بتصريفاته المختلفة) : ٤٩.

الهدى (بتصريفاته المختلفة) : ٣١٠.

الحكمة : ٢٠.

الموعظة (بتصريفاتها المختلفة) : ٢٥.

الحجة : ١٨.

الجدل : ٢٧.

اليقين : ٢٧.

الحواس (السمع والبصر بتصريفاتهما المختلفة) : ٣٣٨.

الحق : ٢٣٠.

العدل : ٣٠.

الميزان : ٢٣.

القسط : ٢٥.

الصراط : ٤٥.

السلطان : ٣٦.

الاستقامة : ١٠.

المبين (بتصريفاته المختلفة) : ١٣٠.

البينات : ١٢٦.

المفردات اللا منهجية

الظن (بتصريفاته المختلفة) : ٥٥ مرة.

الهوى : ٣٨.

الزعم : ١٧.

الكذب : ٢٩١.

الافتراء : ٦٢.

الأساطير : ٩.

الأسماء : ٩.

الاعوجاج : ٨.

الهزل : ١.

الضلال : ١٩٦.

السحر : ٦١.

الكهانة : ٢.

الأقاويل : ١.

الافك : ٣٠.

الهزؤ : ٣٤.

الخرص : ٥.

الكيد : ٣٥.

المكر : ٤٣.

الباطل : ٣٦.

الأماني : ١.

إن القرآن عبر هذه الانساق المتضادة من دلالة الكلمات يقدّم منظوراً معاكساً تماماً للمنظور الوضعي العلماني الذي يعتبر الدين ظناً والعلم البشري هو اليقين. ها هنا في كتاب الله تنعكس الآية في سيل متواصل من الكلمات والتعابير والآيات والمقاطع التي تؤكد ، من زوايا عديدة ، أن اليقين المطلق هو ذلك القادم من السماء ... من الله (سبحانه وتعالى) الذي يعلم من خلق والذي هو – جل في علاه – بكل شيء خبير. وأن ما عداه لا يعدو في معظم الأحيان أن يكون ظنوناً وتحزبات ومصالح وأهواءً لا تقوم على برهان قاطع ، ولا تنبني على علم شامل محيط.

إن القرآن بتأكيده على العلم الذي يرد بتصريفاته المختلفة ، كما رأينا ، في أكثر من ثمانمائة آية ... فما الذي يدل عليه هذا إن لم يدل على أن هذه الأمة التي أريد لها أن تمسك بزمام الأمور في العالم ، وأن تكون شاهدة على البشرية في مسيرها ومصيرها ، لن يتحقق لها ذلك إلا باعتماد العلم واتخاذه سبيلاً إلى تنفيذ هذه الآية الكريمة ذات الدلالة القاطعة : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤٣) ...

فمن هم العلميون إذن في هذا العالم : نحن أم هم ؟! أولئك الذين تساقطت نظرياتهم ومبادؤهم ودعاواهم ، وراح بعضها يضرب بعضاً ويزيحه من الطريق ، لكي ما يلبث أن يتلقى هو الآخر الضربة من خصم جديد سيطاح به هو الآخر ، يقيناً ، طال الوقت أم قصر ... لماذا ؟ لأن كل هذه الدعاوى والمذهبيات لا تعدوان أن تكون ظنوناً وأهواءً وتحزبات ومصالح وميولاً ، بسعيه بها المشرعون والمنظرون قطعان الناس الضالة التي تبحث عن طريق الخلاص دون جدوى.

إن ثلاثية القرآن في بناء العالم ، والقائمة على (تسخير) هذا العالم لأنه قد (استخلفت) عليه لكي ابنيه وتعمره وفق القاعدة القرآنية : ﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ

فِيهَا . . . ﴾(سورة هود ، (الآية ٦١) لن تتحقق إلاّ باعتماد العلم وسيلة لاكتشاف وتوظيف هذه الطاقات المسخرة لغرض تمكين الأمة المستخلفة من أخذ موقعها المتقدم في العالم الذي استخلفت عليه لكي تمضي به إلى الأمام بكل ما تعنيه مفردة التحضّر من معانٍ ... وإلا فان هذه القيادة ستؤول لليد التي تعرف كيف تمسك بمقدرات العالم ، حتى وإن كانت يداً فاجرة كافرة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وتسعى لأن تكون هي الأعلى من خلال إفسادها في الأرض : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٢٠).

إن القضاء الذي يتحدث عنه القرآن الكريم بخصوص العلم واسع عريض ، وهو بمفرداته كافة يؤول إلى محوره الأساس في أن فكرة الأمة العلمية في هذا العلام بكل ما تعنيه الكلمة من معنىً ويوم أن أخذنا بهذا المبدأ صرنا سادة العالم لعدة قرون ، ولم نسمح لأيدي الخصوم الفجرة أن تمتد إلينا ، ولكننا بمجرد أن فككنا الارتباط بالخطاب القرآني ، وارتخت أيدينا ، وتكاسلت عقولنا ، رجعنا إلى الوراء ، وسمحنا للخصم الكافر أن يمد أيديه إلينا فسيتنزف ثرواتنا ، ويستعبدنا ، ويسومنا سوء العذاب ... حيث لا تزال الأمة تعاني من ويلاته حتى اللحظات الراهنة ، وإلى أن يشاء الله وتتوب هذه الأمة إلى ما أراده كتاب الله منها وهو أن تتخذ العلم منها جالها في الحياة.

ولقد تحدثت عن هذه المسألة بما فيه الكفاية في مؤلفاتي التالية : تهافت العلمانية ، التفسير الإسلامي للتاريخ ، حول أصول تشكيل العقل المسلم ، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم ، مدخل إلى الحضارة الإسلامية ، محاضرات في التاريخ والحضارة الإسلامية ، فلا مبرر لإعادة القول فيها ...

والآن ... ماذا بخصوص المفردات القرآنية التي تساهم في بناء المنهج العلمي المحكم الذي أريد لهذه الأمة أن تتحقق به ، وأن تمضي على هديه في مسيرها ومصيرها على السواء ؟!

إن القرآن الكريم يقدّم ثلاثية في غاية الأهمية بهذا الخصوص ... ثلاثية يقوم ضلعها الأول على (البرهان) وضلعها الثاني على (الحجة) وضلعها الثالث على الجدل ... فبهذه الفاعليات الثلاث يحق الحق ويبطل الباطل ، ويتم الوصول إلى النتائج (العلمية) (وأؤكد على الكلمة) الصحيحة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. ولنقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٧٤) ، ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ . . . ﴾(سورة يوسف ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَمَن يَدْعُ

مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ . . . ﴾(سورة المؤمنون ، (الآية ١١٧) ، ﴿ . . . تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١١١) ، ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . . . ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٢٤) ، ﴿ . . . أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(سورة النمل ، (الآية ٦٤) ، ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . . . ﴾(سورة القصص ، (الآية ٧٥) ، ﴿ . . . فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ . . . ﴾(سورة القصص ، (الآية ٣٢).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢٥٨) ، ﴿ هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٦٦) ، ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٦١) ، ﴿ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٨٠).

﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا . . . ﴾(سورة هود ، (الآية ٣٢) ، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ١١١) ، ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا . . . ﴾(سورة المجادلة ، (الآية ١) ، ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . . ﴾(سورة العنكبوت ، (الآية ٤٦) ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾(سورة الحج ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٢٥).

ويمضي القرآن في بناء المنهج العلمي الذي يدعو المؤمنين إلى اتباعه في تعاملهم مع الظواهر والخلائق والأشياء ، فيؤكد في عشرات المواضع على اعتماد (السلطان) ، أي الدليل العلمي القاطع في أية دعوة يقدمونها للآخر أو يتلقونها منه : ﴿ . . . أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٧١) ، ﴿ . . . إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٦٨) ، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . . ﴾(سورة يوسف ، (الآية ٤٠) ، ﴿ . . . تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١٠) ، ﴿ . . . لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ . . . ﴾(سورة الكهف ، (الآية ١٥)، ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(سورة المؤمنون ، (الآية ٤٥) ، ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ۞ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(سورة الصافات ، (الآيتان ١٥٦-١٥٧) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ . . . ﴾(سورة غافر ، (الآية ٥٦) ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ . . . ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) ، ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً . . . ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٥١) ، ﴿ . . . وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً ﴾(سورة النساء ، (الآية ٩١) ، ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً . . . ﴾(سورة الحج ، (الآية ٧١).

ويدعو القرآن إلى اعتماد (الحكمة) و(الموعظة الحسنة) وهما أسلوبان يبتغيان الوصول إلى (الحق) دونما أي قدر من السلوك الملتوي الذي يستفز الطرف الآخر ويدفعه إلى التشبث بموقفه الخاطئ ، وهي دعوة تنطوي على رؤية علمية حساسة في تعاملها مع الظواهر والموجودات والأشياء : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٢٥) ، ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ . . . ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ . . . ﴾(سورة لقمان ، (الآية ١٢) ، ﴿ وَشَدَدْنَا

مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾(سورة ص ، (الآية ٢٠) ، ﴿ . . . يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . . . ﴾(سورة الجمعة ، (الآية ٢) ، ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢٦٩).

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴾(سورة الشعراء ، (الآية ١٣٦) ، ﴿ . . . إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(سورة هود ، (الآية ٤٦) ، ﴿ . . . إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(سورة النساء ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(سورة لقمان ، (الآية ١٣) ، ﴿ . . . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾(سورة النساء ، (الآية ٦٣) ، ﴿ . . . ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . ﴾(سورة الطلاق ، (الآية ٢) ، ﴿ . . . وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(سورة النساء ، (الآية ٦٦) ، ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٣٨) ، ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٢٥).

ويمضي القرآن خطوات أخرى في رسم المنهج العلمي الذي يدعو إليه ، فيؤكد على مفاهيم (الاستقامة) و(اليقين) التي تقوم على (البيّنة) والدليل القاطع ... وهي إذا أردنا الحق تقف قبالة كل النظم والمذاهب الوضعية (الملتوية) والقائمة على (الشك) و(الاختبار) وتجارب (الخطأ والصواب) ولا تستند إلى الدليل الحاسم ، ولهذا ذهبت كلها مغادرة مسرح التاريخ تاركةً الساحة للعابثين بها من الطواغيت والأرباب الذين يسعون إلى تعبيد الناس لأنفسهم عن طريق إغوائهم بمبادئهم ودعاواهم ... وإلى فأي مذهب وضعي عبر التاريخ البشري كلّه ، قدّر له الدوام ؟

ها نحن في القرن الفائت نشهد تساقط جل النظم والمذاهب الوضعية : الماركسية ، اللينية ، الستالينية ، الاشتراكيات الطوباوية ، فلسفات تفسير التاريخ ، الوجودية التي أعلن مؤسسها نفسه (جان بول سارتر) أمام عشيقته (سيمون دي بوفوار) تبرؤه منها ومن دستورها كتابه المعروف (الوجود والعدم) وأنه يؤمن بالله الذي تجلت حكمته في إبداعية الكون والخليقة

والإنسان ... القوميات الشوفينية النازية والفاشية ... وها هي ذي الرأسمالية تصل إلى الطرق المسدودة وتبحث جاهدة عن البديل ...

يمضي القرآن في تأكيده على (الاستقامة) و(اليقين) و(البيّنة) التي تتيح لخطابه أن يمضي إلى يوم القيامة قديراً على الانبعاث مرة ومرتين وثلاثين مرة ... ما دام يستند إلى الثوابت وليس إلى المتغيرات والنسبيات المبنية على الظنون والمصالح والأهواء ... ﴿ ... فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٧) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٣٠) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ١٣) ، ﴿ وَأَلَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً ﴾ (سورة الجن ، (الآية ١٦) ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ (سورة التكوير ، (الآيتان ٢٧-٢٨) ، ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ١١٢) ، ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ... ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٥) ، ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٨٩) ، ﴿ ... أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٦).

﴿ ... وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٥٠) ، ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٦٠) ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٢٤) ، ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٢٠) ، ﴿ ... فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٢٢) ، ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ (سورة الواقعة ، (الآية ٩٥) ، ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾

(سورة التكاثر ، (الآيات ٥-٧) ، ﴿ . . . مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٥٧) ، ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (سورة الدخان ، (الآية ٧) ، ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآية ٢٠) ، ﴿ . . . إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٣٢).

﴿ . . . قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١١٨) ، ﴿ . . . قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١١٨) ، ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٦٤) ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٨٧) ، ﴿ . . . انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٧٥) ، ﴿ . . . وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٢١) ، ﴿ . . . يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٧٦) ، ﴿ . . . وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٣٠) ، ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٥٦) ، ﴿ . . . وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ (سورة إبراهيم، (الآية ٤٥) ، ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . . . ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٥٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا . . . ﴾ (سورة الحجرات ، (الآية ٦) ، ﴿ . . . لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١٥) ، ﴿ . . . فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٧) ، ﴿ . . . لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٤٢) ، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ٦٣) ، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ

كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ (سورة محمد ، (الآية ١٤) ، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٩٩) ، ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٠٥) ، ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ (سورة الحج ، (الآية ١٦) ، ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ . . . ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٤٩) ، ﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ . . . ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٨٣) ، ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة النور ، (الآية ٤٦) ، ﴿ . . . قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ١٥) ، ﴿ الرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ١) ، ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٧٩) ، ﴿ . . . إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٩) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٧٤) ، ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴾ (سورة الصافات ، (الآية ١١٧).

ولكن القرآن لا يقف عند هذا الحدّ في رسم ثوابت المنهج العلمي الذي يدعو إليه في التعامل مع الظواهر والخبرات والأشياء ، وانما يمضي مصعّداً إلى الآفاق البعيدة التي تنطوي على الكون والعالم ، والتي خلقت من أجلها السماوات والأرض ... يمضي مؤكداً قيمتين كبيرتين لا تستقيم بدونهما الحياة ، ولا تمضي السنن الإلهية في العالم والكون إلى أهدافها المرتجاة : الحق والعدل ...

نقارن هذا بكل المذاهب الوضعية التي انحرف بها الميزان عن الحق ، وطاشت بها كفته عن العدل ... فما لبثت أن وجدت نفسها تدخل سراديب الباطل والانحراف والضلال ، فتمارس تمييزاً قاسياً بين فرد وفرد ، وبين طبقة وطبقة ، وبين لون ولون ، وبين أمة وأمة ، وتصطرع من سنن الله وقوانينه العاملة في التاريخ ، فتجد نفسها في نهاية الأمر عاجزة عن تحقيق عشر معشار ما دعت إليه ، وما تلبث أن تخرج من التاريخ خاسئة مندحرة ... مخلية الساحة لدعاوى أخرى تتشكل في مواجهة قيم الحق والعدل ... فيما يقودها إلى السقوط هي الأخرى.

فما الذي يقوله القرآن ، ويؤكده ، بخصوص هاتين القيمتين اللتين تسرّبتا في شرايين التعاليم الدينية وصاغتا معطياتها ، بقدر مدهش من التوحد بحيث يغدو المعادل الموضوعي لكل دين أصيل قادم من السماء ، هو الدعوة إلى الحق والعدل ، وبناء الحياة البشرية وفق منطقها الي لا يحابي ولا يداجي : ﴿ . . . فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٢) ، ﴿ وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٨٢) ، ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١١٩) ، ﴿ . . . وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢١٣) ، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٠٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٧٠) ، ﴿ . . . وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٤٨) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٧٣) ، ﴿ . . . لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٤٣) ، ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١٨١) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ . . . ﴾(سورة التوبة ، (الآية ٣٣) ، ﴿ . . . مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٥) ، ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٥) ، ﴿ . . . إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٦) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ . . . ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١٩) ، ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ . . . ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ١٠٥) ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ . . . ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ١٨) ، ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ . . . ﴾(سورة المؤمنون ، (الآية ٧١) ، ﴿ وَيَرَى

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ . . . ﴾ (سورة سبأ ، (الآية ٦) ، ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٤٢) ، ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ . . . ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٣) ، ﴿ . . . وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (سورة النجم ، (الآية ٢٨).

﴿ . . . وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٥) ، ﴿ . . . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ . . . وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٨) ، ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٨١) ، ﴿ . . . وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿ . . . وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٧٦) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٩٠) ، ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة الحجرات ، (الآية ٩) ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٥).

ومع قيمتي الحق والعدل ، دعوة صريحة إلى إقامة (الميزان) والتحقق (بالقسط) بدء من مطالبنا اليومية العابرة ... وانتهاء ببنية العالم والكون اللين اقيما على القسط والميزان. هاتان المفردتان اللتان تنطويان على بعد منهجي في التعامل مع الظواهر والموجودات والخبرات والأشياء ... فتزيدان القيم المنهجية في كتاب الله أصالة وغنى وعطاءً ... وتقودان إلى أقصى درجات الموضوعية في التعامل مع البحوث والأفكار ...

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ ﴾ (سورة المطففين ، (الآيات ١-٦) ، ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيات ٧-٩) ، ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . . . ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٣٥) ، ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيتان ٨-٩) ، ﴿ . . . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿ . . . فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٨٥) ، ﴿ . . . وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ٨٤) ، ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ٨٥) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ . . . ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ١٧) ، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . . ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٥) ، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٤٧) ، ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيتان ١٠٢-١٠٣) ، ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (سورة القارعة ، (الآيات ٦-٩).

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة الممتحنة ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤٢) ،

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ . . . ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٨) ، ﴿ . . . وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٢١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ . . . وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٥٢) ، ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٢٩) ، ﴿ . . . لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٤) ، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٤٧).

إن هذه المنهجية القرآنية تصب في نهاية الأمر في دعوة البشرية إلى التزام (الصراط) وأن تقطع شوط حياتها الدنيا وهي على (هدى) من الطريق الذي تسلكه ... فإذا ما تحقق لها ذلك ، وهو ما سعت الأديان السماوية كافة إلى التحقق به ، فانه استحيا الحياة الآمنة ، السعيدة المطمئنة ، المتوحدة ، التي يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ... وتتجاوز حياة الضنك والضيق والتشتت والازدواج والشقاء والنكد والاكتئاب ، وصولاً إلى الهروب إلى الخمر والمغيبات ... بل إلى ما هو أدهى من ذلك وأمر : الانتحار الذي يحكم على حياة الإنسان بالإعدام ... فها هي ذي آخر الإحصائيات المعلنة تشير إلى أن عشرة بالمائة من الأمريكيين يعانون من الاكتئاب ويلجأ بعضهم إلى الانتحار وإلى أن اليابان خصصت من ميزانيتها لعام (٢٠١١م) ثلاثين مليار دولار لملاحقة حالات الاكتئاب والانتحار في ديارها !!

إن (الصراط) و(الهدى) اللذان تؤول إليهما المعطيات المنهجية آنفة الذكر ينعكسان بالضرورة على كل صيغ تعامل الإنسان مع الخبرات والموجودات والظواهر والأشياء ، لأنه في هذه الحالة سيتحرك به ضوء مصباحين كبيرين يقودانه في نهاية الأمر إلى النتائج الصحيحة ويبعدانه عن كل المطبات والالتواءات ، والاعوجاج الذي قاد المذهبيات الوضعية التي لم تستهد بهذين المصباحين ، إلى البوار ...

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٥٣) ، ﴿ . . . وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢١٣) ، ﴿ . . . وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٠١) ، ﴿ . . . مَن يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٣٩) ، ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٦١) ، ﴿ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ . . . ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٨٦) ، ﴿ . . . لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١) ، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴾(سورة المؤمنون ، (الآيتان ٧٣-٧٤) ، ﴿ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٦١) ، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(سورة الملك ، (الآية ٢٢).

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٠) ، ﴿ . . . فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ . . . ﴾(سورة النحل ، (الآية ٣٦) ، ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾(سورة طه ، (الآية ٧٩) ، ﴿ . . . وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٤٣) ، ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا . . . ﴾(سورة إبراهيم ، (الآية ١٢) ، ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ . . . ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ١١٥) ، ﴿ . . . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾(سورة الزمر ، (الآية ١٨) ، ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٨) ، ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(سورة غافر ، (الآية ٣٨) ، ﴿ . . . أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٤٣) ، ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(سورة الزخرف ،

(الآية ٤٠) ، ﴿ ... وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا ... ﴾(سورة الشورى ، (الآية ٥٢) ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴾(سورة العنكبوت ، (الآية ٦٩) ، ﴿ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١٧٨) ، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ... ﴾(سورة السجدة ، (الآية ٢٤) ، ﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ... ﴾(سورة المائدة ، (الآية ١٦) ، ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٥) ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٩) ، ﴿ ... نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ... ﴾(سورة النور ، (الآية ٣٥) ، ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾(سورة سبأ ، (الآية ٦) ، ﴿ ... وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ... ﴾(سورة سبأ ، (الآية ٥٠) ، ﴿ ... أَوَلَوْ كَانَ آبَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ١٧٠) ، ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٨٢).

هذا – بإيجاز شديد – عن دعوة القرآن المؤكدة إلى أن تكون الأمة التي تلتزم المنهج الصارم في تعاملها مع الظواهر والخبرات والأشياء ، أي أن تكون – بالتعبير المعاصر – الأمة العلمية ... وأشدّد على الكلمة ردّاً على أولئك الادعياء الذين يدعون العلمية ، والمنهجية ، وما هم منهما بشيء ...

ولكن القرآن الكريم – كعادته دائماً – لا يقف عند الجانب الأحادي من الصورة التي يعرضها للناس ، ولكنه يدير كاميرته على الوجه الآخر من أجل أن يقدمها للناس بالوضوح المطلوب ... فها هو ذا كتاب الله ، يشن حملته المتواصلة ، من بدأه حتى منتهاه ... على كل الأساليب المضادة ، والطرق المعوجة ، والمناهج الخاطئة ... والأنشطة اللاعلمية التي ، تسربت كخلايا السرطان ، في جسد المجتمعات البشرية الضالة وقادتها إلى البوار ...

ولقد مرّت بنا إحصائية هذا الجانب الآخر من الظاهرة في كتاب الله ، حيث ترد هذه الهجمات القرآنية على الممارسات اللامنهجية واللاعلمية في عشرات المواقع ... هجمات على :

الظنون والأهواء والمزاعم والأكاذيب والافتراء والأساطير والاعوجاج والهزل والضلال " السحر " والكهانة والأقاويل والافك والهزء والخرص والكيد والمكر والباطل والأماني التي لا رصيد لها من عقل أو علم أو منهج.

فلنتابع – ها هنا أيضاً – بعضاً من شواهد هذه الهجمات التي تنضفر في نهاية الأمر عند كلمة (لا) لكل ممارسة تخرج عن الأسلوب العلمي ، والمنهج الصارم في التعامل مع الخبرات الموجودات والظواهر والأشياء ... والتي تضع الأمة المسلمة ، وقد وضعتها فعلاً عبر عصور تألقها في سقف العالم وقمة الإبداع الحضاري الذي قدّم للعالم كله الكثير الكثير من الكشوف والمعطيات ...

<u>الظن :</u> ﴿ . . . وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(سورة فصلت ، (الآية ٢٢) ، ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (سورة فصلت ، (الآية ٢٣) ، ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً ﴾(سورة الفتح ، (الآية ١٢) ، ﴿ . . . مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ . . . ﴾(سورة الحشر ، (الآية ٢) ، ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً ﴾(سورة الجن ، (الآية ٧) ، ﴿ . . . وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾(سورة القصص ، (الآية ٣٩) ، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(سورة القصص ، (الآية ٣٨) ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾(سورة الجاثية ، (الآية ٣٢) ، ﴿ . . . إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ٦٦) ، ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ . . . ﴾(سورة الحج ، (الآية ١٥) ، ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٧٨) ، ﴿ . . . يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ . . . ﴾(سورة آل عمران ،

(الآية ١٥٤)، ﴿ . . . وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(سورة الجاثية : الآية ٢٤) ، ﴿ . . . مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٥٧) ، ﴿ . . . إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ١٤٨) ، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٦) ، ﴿ . . . ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾(سورة ص ، (الآية ٢٧) ، ﴿ . . . الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ . . . ﴾(سورة الفتح ، (الآية ٦) ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ . . . ﴾(سورة الحجرات ، (الآية ١٢) ، ﴿ . . . إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ . . . ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) ، ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٨) ، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٦)، ﴿ . . . وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾(سورة الأحزاب، (الآية ١٠).

<u>الهوى :</u> ﴿ . . . أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٨٧) ، ﴿ . . . كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٧٠) ، ﴿ . . . إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ . . . ﴾(سورة النجم ، (الآية ٢٣) ، ﴿ . . . كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ . . . ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٧١) ، ﴿ . . . فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ . . . ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٣٥) ، ﴿ . . . فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾ (سورة ص ، (الآية ٢٦) ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾(سورة النجم ، الآيتان ٣-٤) ، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾(سورة النازعات ، (الآيتان ٤٠-٤١) ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ

كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٧٦) ، ﴿ . . . وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٢٨) ، ﴿ فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٦) ، ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٤٣) ، ﴿ . . . وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ . . . ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٥٠) ، ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ . . . ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٢٣) ، ﴿ . . . وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٢٠) ، ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٤٩) ، ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ . . . ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٧١) ، ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٢٩) ، ﴿ . . . وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٩) ، ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ (سورة القمر ، (الآية ٣).

<u>الزعم :</u> ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ . . . ﴾ (سورة التغابن ، (الآية ٧) ، ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً . . . ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٩٢)، ﴿ . . . وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٤) ، ﴿ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٥٦) ، ﴿ . . . بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٤٨) ، ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ . . . ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٥٢) ، ﴿ . . . إِن زَعَمْتُمْ

أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ . . . ﴾ (سورة الجمعة ، (الآية ٦) ، ﴿ . . . أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢٢) ، ﴿ . . . تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٤) ، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٧٤) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٦٠) ، ﴿ . . . فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لِشُرَكَآئِنَا . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٣٦) ، ﴿ وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاء بِزَعْمِهِمْ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٣٨).

<u>الكذب :</u> ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ . . . ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٣٢) ، ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (سورة النجم ، (الآية ١١) ، ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ . . . ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٦٠) ، ﴿ . . . وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٠) ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢١) ، ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٥٦) ، ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ . . . ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٢٥) ، ﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴾ (سورة النازعات ، (الآيتان ٢٠-٢١) ، ﴿ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ . . . ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٥٩) ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً . . . ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٨٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٣٩) ، ﴿ . . . وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٥٠) ، ﴿ . . . وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٩٦) ،

﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٩) ، ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٣٦) ، ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ (سورة القمر ، (الآية ٣) ، ﴿ . . . كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً . . . ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٤٤) ، ﴿ . . . وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٢٠) ، ﴿ . . . فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢٧) ، ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ (سورة المطففين ، (الآية ١٢) ، ﴿ . . . فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٣٣) ، ﴿ . . . وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٧٥) ، ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١١٦) ، ﴿ . . . فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١٥) ، ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٩٠) ، ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٤٣) ، ﴿ . . . فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٣٦).

<u>الافتراء :</u> ﴿ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٩٤) ، ﴿ . . . وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٤٨) ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢١) ، ﴿ . . . وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٦١) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٣) ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (سورة هود ، (الآية ٣٥) ، ﴿ . . . وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا

عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ . . . ﴾ (سورة طه ، (الآية ٦١) ، ﴿ . . . تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٥٦) ، ﴿ . . . وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٢٤) ، ﴿ . . . وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ١٠٣) ، ﴿ . . . وَلَوْ شَاء اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٣٧) ، ﴿ . . . وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٠) ، ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٦٩) ، ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ . . . ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١٠٥)، ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٧) ، ﴿ . . . وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاء عَلَى اللَّهِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٤٠) ، ﴿ . . . وَقَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى . . . ﴾ (سورة سبأ ، (الآية ٤٣) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٥٢).

<u>الأساطير :</u> ﴿ . . . يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٢٥) ، ﴿ . . . قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٣١) ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآية ٥) ، ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٦٨) ، ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة القلم ، (الآية ١٥).

<u>الأسماء :</u> ﴿ . . . أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم . . . ﴾ (سورة الأعراف، (الآية ٧١) ، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا

مِن سُلْطَانٍ . . . ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ٤٠) ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (سورة النجم ، (الآية ٢٣).

العوج : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآية ٢٨) ، ﴿ . . . لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٩٩) ، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٤٥) ، ﴿ . . . وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٨٦) ، ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً . . . ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٩) ، ﴿ . . . وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾ (سورة إبراهيم ، (الآية ٣) ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ١).

الهزل : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ (سورة الطارق ، (الآيتان ١٣-١٤).

الضلال : ﴿ . . . وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٠٨) ، ﴿ . . . وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١١٦) ، ﴿ . . . لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٤) ، ﴿ . . . فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ١٠٨)، ﴿ . . . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١٢٥) ، ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (سورة الكهف ، (الآيتان ١٠٣-١٠٤) ، ﴿ . . . وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٩٢) ، ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (سورة الصافات ، (الآية ٧١) ، ﴿ . . . قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة الأنعام ،

الآية ٥٦) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٦٧) ، ﴿ . . . وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٧٧) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٤٤) ، ﴿ . . . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ١٢٣) ، ﴿ . . . أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٨٨) ، ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ٩٩) ، ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ۞ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآيتان ٦٧-٦٨) ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللّهِ . . . ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٦) ، ﴿ . . . وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٦٠) ، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٦) ، ﴿ . . . وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ . . . ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١١٩) ، ﴿ . . . أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٧٩) ، ﴿ . . . وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللّهِ . . . ﴾ (سورة القصص ، (الآية ٥٠) ، ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٢) ، ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ٤٠) ، ﴿ . . . وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة الجمعة ، (الآية ٢) ، ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٥٣).

السحر : ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ . . . ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١١٦) ، ﴿ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآيتان ٨٨-٨٩) ، ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٠٢) ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآيتان ٧٦-٧٧) ، ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٨١) ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ . . . ﴾ (سورة طه ، (الآية ٧٣) ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ١٣) ، ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۞ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ (سورة القمر ، (الآيتان ٢-٣) ، ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٦٦) ، ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٦٩) ، ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآية٥٢) ، ﴿ . . . وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (سورة الفرقان ، (الآيتان ٨-٩).

<u>الكهانة :</u> ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (سورة الطور ، (الآية ٢٩) ، ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ٤٠-٤٣).

الأقاويل : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيات ٤٤-٤٧).

الإفك : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآيتان ١١٧-١١٨) ، ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيتان ٨-٩) ، ﴿ ... ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٩٥) ، ﴿ ... قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٣٤) ، ﴿ ... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة فاطر ، (الآية ٣) ، ﴿ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٦٣) ، ﴿ ... انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٧٥) ، ﴿ ... يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٣) ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ٦١)، ﴿ ... يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٥٥) ، ﴿ ... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة المنافقون ، الآية ٤) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ (سورة النور ، (الآيتان ١١-١٢) ، ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ... ﴾ (سورة العنكبوت ، (الآية ١٧) ، ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ (سورة الصافات ، (الآية ٨٦) ، ﴿ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (سورة الصافات ، (الآيتان ١٥١-١٥٢) ، ﴿ ... بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٢٨) ،

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآيات ٢٢١-٢٢٣) ، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة الجاثية ، (الآيتان ٧-٨) ، ﴿ وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ (سورة الحاقة ، (الآيتان ٩-١٠).

الهزء : ﴿ . . . قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٦٥) ، ﴿ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٥) ، ﴿ . . . فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٠) ، ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ١١) ، ﴿ . . . وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٣٤) ، ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ٦) ، ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٣٠) ، ﴿ . . . قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٦٤) ، ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٣٢) ، ﴿ . . . أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ . . . ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٤٠) ، ﴿ . . . قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٤) ، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (سورة الحجر ، (الآية ٩٥) ، ﴿ . . . قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٦٧) ، ﴿ . . . وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٣١) ، ﴿ . . . لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ

أَوْلِيَاء . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٥٧) ، ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً . . . ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٥٨) ، ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً . . . ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٣٦) ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٦) ، ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا . . . ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٣٥).

<u>الخرص :</u> ﴿ . . . قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٤٨) ، ﴿ . . . مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ٢٠) ، ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيتان ١٠-١١).

<u>الكيد :</u> ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ۞ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ﴾ (سورة الطارق ، (الآيتان ١٥-١٦) ، ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً . . . ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٩٥) ، ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ (سورة المرسلات ، (الآية ٣٩) ، ﴿ . . . فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ٧٦) ، ﴿ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ١٨) ، ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ٥٢) ، ﴿ . . . إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (سورة طه ، (الآية ٦٩) ، ﴿ . . . وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٢٥) ، ﴿ . . . وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴾ (سورة غافر ، (الآية ٣٧) ، ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٧٠) ، ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾

(سورة الطور ، (الآية ٤٢) ، ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً . . .﴾ (سورة طه ، (الآية ٦٤) ، ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ٢٨) ، ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (سورة طه ، (الآية ٦٠)، ﴿. . . ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (سورة الحج ، (الآية ١٥) ، ﴿. . . وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً . . .﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ١٢٠) ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة الطور ، (الآية ٤٦) ، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (سورة الفيل ، (الآية ٢) ، ﴿. . . وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ . . .﴾ (سورة يوسف ، (الآيتان ٣٣-٣٤).

<u>المكر :</u> ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ . . .﴾ (سورة النحل ، (الآية ٢٦) ، ﴿. . . إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا . . .﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٢٣) ، ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ . . .﴾ (سورة النحل ، الآية ٤٥) ، ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا . . .﴾ (سورة غافر ، (الآية ٤٥)، ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ (سورة نوح ، (الآية ٢٢) ، ﴿. . . إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٢١) ، ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ . . .﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٣٠) ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا . . .﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٢٣) ، ﴿. . . وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٢٣) ، ﴿. . . سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ١٢٤) ، ﴿. . . وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (سورة يوسف ، (الآية ١٠٢) ،

﴿ . . . وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(سورة النحل ، (الآية ١٢٧) ، ﴿ . . . وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . . . ﴾(سورة فاطر ، (الآية ١٠) ، ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٢١) ، ﴿ . . . بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ . . . ﴾(سورة سبأ ، (الآية ٣٣) ، ﴿ . . . وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾(سورة فاطر ، (الآية ١٠) ، ﴿ . . . وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ . . . ﴾(سورة فاطر ، (الآية ٤٣) ، ﴿ . . . بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ . . . ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٣٣) ، ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(سورة النمل ، (الآية ٥١).

<u>الباطل :</u> ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١١٨) ، ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٨) ، ﴿ . . . مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٨١) ، ﴿ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٤٢) ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٧١) ، ﴿ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١٣٩) ، ﴿ . . . وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة هود ، (الآية ١٦) ، ﴿ . . . كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ . . . ﴾(سورة الرعد ، (الآية ١٧) ، ﴿ . . . أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾(سورة النحل ، (الآية ٧٢) ، ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٨١) ، ﴿ . . . وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ . . . ﴾(سورة الكهف ، (الآية ٥٦) ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ

. . . ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ١٨) ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ . . . ﴾(سورة الحج ، (الآية ٦٢)، ﴿ . . . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(سورة العنكبوت ، (الآية ٥٢)، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ . . . ﴾(سورة لقمان ، (الآية ٣٠) ، ﴿ قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(سورة سبأ ، (الآية ٤٩) ، ﴿ . . . وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ . . . ﴾(سورة غافر ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(سورة فصلت ، (الآيتان ٤١-٤٢) ، ﴿ . . . وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ . . . ﴾(سورة الشورى ، (الآية ٢٤) ، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾(سورة ص ، (الآية ٢٧) ، ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(سورة العنكبوت ، (الآية ٤٨) ، ﴿ . . . فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾(سورة غافر ، (الآية ٧٨).

<u>الأماني :</u> ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۞ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(سورة البقرة ، (الآيتان ٧٨-٧٩).

فها نحن إن إزاء سيّال متدفق من الكلمات والآيات والمقاطع القرآنية ذات الدلالة الصارمة في ضرورة اعتماد القيم والأساليب المنهجية في التعامل مع الظواهر والخبرات والموجودات ، يقابله سيال آخر في رفض وإدانة كل صيغ اللامنهجية في هذا التعامل ... فكان كتاب الله سبحانه وتعالى يضع هذه الأمة في قلب المسألة العلمية ، جاعلاً منها الأمة التي تستهدي بالعلم وطرائقه في بناء الحياة الإسلامية التي يريدها هذا الدين ، قبالة كل الطرائق الوضعية الضالة المبنية على الظنون والمصالح والتحزبات والأهواء ، والتي ساقت المجتمعات البشرية عقداً بعد عقد ، وقرناً بعد قرن ، إلى التعاسة والضياع ، ثم ما لبثت أن خرجت من التاريخ لأنها تشكلت في حالة اصطراع مع قوانين الحركة التاريخية فآل بها الأمر إلى التحطم والسقوط.

مرةً ثانية ، وثالثة ، وعاشرة ... من هم العلميون في هذا العالم ... نحن ... أم مدّعو العلمانية الذين طالما اتهموا المنتمين للمشروع الإسلامي بأنهم يتحركون على النقيض من مطالب العلم والمنهج : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الجاثية ، (الآيات ٢٣-٢٦) ، ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ٣٢) ، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٤).

وثمة فارق كبير لا تطاله كل المقاييس بين علم الله وأهواء العبيد ... بين اليقين والحق في مناهج الأنبياء والظنون والتخمينات والميول والمصالح والأهواء في مناهج العبيد ... بين الرؤية الشمولية والنظرة النسبية القاصرة ... بين الحجة القوية والحجة المهزوزة ... بين الجد والهزل ... وبين الاستقامة والاعوجاج ...

وخلاصة الأمر في ضوء المعطيات السالفة أن الدين الحق هو العلم ، والأمة التي تلتحم بمطالبه هي الأمة العلمية ... وأن ما دون ذلك هو الهراء والإغواء الشيطاني والظلم الي ستدمغ به الجموع الضالة يوم الحساب : ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيات ١٤٢-١٤٤).

حول ثنائية الخطاب القرآني

[1]

المعطى القرآني في القضية الواحدة ليس حالة متفردة ، وانما هو أكثر من حالة ، والتفسير الدقيق هو الذي يتابع الحالات جميعاً ويضعها جنباً إلى جنب ثم يحلل ويقدم استنتاجاته ... هو الذي يلاحق (الكاميرا) القرآنية وهي تتجوّل هنا وهناك لكي تقدم لنا صوراً شتى (للحالة) أو الوضع الواحد.

مثلاً نقرأ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ١٠٣) فنجد أن هناك آيات ومقاطع أخرى عن أن نجاة المؤمنين في الدنيا ليست قدراً نهائياً ، بل ربما العكس ، ونجد آيات عديدة تتحدث عن الموت والشهادة وإحدى الحسنيين ، وآيات تذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن الحصاد ليس شرطاً أن يجيئ في الدنيا ... وهكذا ... مثلاً : الزلازل قد تضرب الأشرار فيكون لها معنى غيره وهي تضرب الأبرار ...

لا يفهم القرآن الكريم كما لو أنه يسلط ضوءه على الوقائع والأشياء من زاوية واحدة ، ولكن بأن نلاحظ كيف أنه يتابع الحالة في أوجهها المتعددة ، والوجه في حالاته العديدة ... إنه مرة أخرى – وإذا صحّ التعبير – يدير الكاميرا لكي يلتقط الصورة في تحولاتها وأوضاعها المختلفة ، التي قد تبدو للوهلة الأولى متناقضة ، وحاشا لله ، ولكن بأعمال الرؤية الشمولية يتبيّن تناسقها وتكاملها.

مثلاً : الآية التي تقول : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢٨٥) والتي تقول : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(سورة النساء ، (الآية ١٥٢) تقابلها الآية التي تقول : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ . . . ﴾(سورة البقرة ، (الآية ٢٥٣). وللتوصل إلى الحكم الأخير يجب أن نلاحظ مستويات ثلاثة :

(١)بالنسبة لله (سبحانه وتعالى) لا تفريق بين الرسل ولكن ذلك لا يمنع.

(٢)من تفضيل بعضهم على بعض. أما بالنسبة للإنسان.

(٣)فان عليه ألاّ يفرّق وإلا وقع في خطيئة اليهود والنصارى ، بينما المسلم يساوي بين الجميع.

إن العديد من الآيات والمقاطع القرآنية تتعامل مع مستويين وتتوجه إليهما بالخطاب في نفس الوقت ، دون أن يتمخض عن ذلك أي تناقض أو تداخل أو التباس وحاشا لكتاب الله ...

الخاص والعام.

الآني والدائم.

المرحلي والأبدي.

التكتيكي والاستراتيجي.

النسبي والمطلق.

الطبيعي والميتافيزيقي.

الفاني والخالد.

التاريخي واللا تاريخي.

الجغرافي والكوني.

البيئي والعالمي.

الجزئي والكلي.

إن المفتاح قد يكمن في متابعة (أسباب النزول – التي تحدّد الظرف المرحلي : الزمني أو المكاني أو التاريخي ... الخ الذي اقتضى تنزل التعاليم والتعقيبات القرآنية ، ولكن هذه التعاليم أو الأحكام ما تلبث أن تتجاوز المرحلية المرتبطة بسبب النزول إلى المطلق الذي يسري على كل زمن ومكان.

والمفتاح قد يكمن – كذلك – في الآية التي تقول : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٦٠). فهو يقدّم مطلق القوة الضرورية لكل زمان ومكان – على اطلاقهما – وفق القدرات التسليحية والصناعية، على (رباط الخيل) الخاص بعصور معينة.

والشاهد – كذلك – قد يتمثل في الآيات العلمية التي تتضمن معنى مرحلياً أو عاماً واضحاً يناسب مدارك العصر الذي نزل فيه القرآن ، وتتضمن – في الوقت نفسه – كشفاً سيتولى الزمن بحكم فاتون تراكم الخبرة ، إعلان مصداقيته.

والشاهد قد يمثل حرفياً بالآيتين الكريمتين اللتين تعلنان ، بشكل ضمني ، عن وجود الخط الثنائي هذا في القرآن الكريم على المستوى الزمني – التاريخي : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(سورة فصلت ، (الآية ٥٣) ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ . . . ﴾(سورة يونس ، (الآية ٣٩).

وقد يتمثل الشاهد بصيغ ومفردات عديدة أخرى ، بعضها ينصب على العالم الحسّي المنظور وبعضها الآخر يمضي باتجاه الروح والغيب ... بعضها يحكي عن الماضي وبعضها يطل على المستقبل القريب والبعيد ... بعضها يخاطب الجماعة الإسلامية الأولى بعضها كل جماعة مسلمة في كل زمن ومكان.

وقد يتمثل الشاهد في تعامل القرآن مع الأرباب فبعضها وقتي (كالتماثيل والأصنام) وبعضها دائم كالفراعنة والطواغيت ... بعضها جامد وبعضها حيوي متحرك ...

هذا التقابل الذي قد تتوزعه الآيات – وهذه مسألة معروفة – ولكن قد تتضمنه في وقت واحد ، الآية الواحدة ، أو المقطع القرآني الواحد ، وهذا هو وجه الإعجاز الذي يشير إلى المصدر الإلهي للعلم القرآني ، ذلك العلم الذي يلّم بكل صغيرة وكبيرة ، الذي تلتقي في نسيجه في اللحظة الواحدة ، ثنائيات شتى قد تبدو مستحيلة بالإحالة إلى البيئة أو المرحلة التي تنزل فيها القرآن ، وما تنطوي عليه من مستويات حضارية أو وعيية ... ولكن المعضلة سرعان ما تتلاشى إذا تذكرنا أن الله سبحانه وتعالى ، العالم بكل شيء والذي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ٥) والذي : ﴿ . . . قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾(سورة الطلاق ، (الآية ١٢) هو الذي يتوجه بالخطاب عبر رسالة ما أريد لها أن تكون دين عصر أو أمة وانما دين كل زمن وكل أمة على مدار الأماكن والأزمان.

ويجب أن نلاحظ أن هذه الثنائية لا علاقة لها البتة من قريب أو بعيد ، بمحاولات الصوفية والباطنية والفرقية التي اعتمدت التأويل في أنشطتها التفسيرية ، واستخدمت الرموز والدلالات التي تسند توجهاتها ، وأرغمت الآيات على أن تقول ، أحياناً ، غير ما أرادت أن

تقوله ، وأدّعت بأن لكتاب الله ظاهراً وباطناً ، وأن أولهما للعامة والدهماء وثانيهما للنخبة من أولي العلم واليقين !!

فتلك مسألة أخرى لا نريد أن نستنزف الطاقة في متابعتها ومناقشتها وتبيان عناصر الخطأ والتضليل في معطياتها. ويجب التأكيد – كذلك – على أن هذا المقال ليس محاولة في التفسير ، لا من قريب ولا من بعيد ، وحاش لله ... وانما هو مجرد ملاحظة قد يفندها ذوو العلم والتخصص وقد يؤكدونها. وهي في كل الأحوال محاولة لفتح نافذة أخرى في التعامل مع كتاب الله ، وفي متابعة أوجه إعجازه التي لا تنقضي على كثرة الردّ !!

والذي يميل بالمرء إلى الاقتناع بوجود ثنائية الخطاب في كتاب الله جملة أمور :

(١) أنها لا تشمل سوى إشارات محددة ولا تمضي لكي تغطي المعطى القرآني كلّه ...

(٢) أن هناك شواهد واضحة تماماً في تضمنها البعدين معاً ، كما رأينا وسنرى.

(٣) أن القرآن نفسه يعلن في أكثر من موضع عن أن مدارك العصر الذي تنزل فيه ، على الأقل بالنسبة لفئات مترددة شاكة ، لم تكن كافية لإدراكه ، وأنه سيأتي الزمن الي ستتكشف فيه أبعاد جديدة قد ترغمهم على قبول الحقيقة القرآنية والتسليم بها.

(٤) أن محاولات معاصرة كثيرة في سياق التفسير العلمي للقرآن وعلى رأسها محاولة موريس بوكاي في كتابه القيم (التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء المعارف الحديثة) تجيئ مصداقاً لهذا كلّه ...

[2]

إننا – إذن – بصدد نمطين أو نسقين من الآيات والمقاطع القرآنية التي تتعامل مع الزمن والمكان ... نمط أو نسق يعتمد المعايير اليومية الآنية ، وآخر يكسر الحواجز باتجاه كل زمن ومكان ، وبالمعايير التي تتجاوز النسبي الموقوت إلى الفضاء المفتوح على مداه.

والشواهد القرآنية كثيرة ، ومنبثة في كتاب الله من بدئه حتى منتهاه ، ولذا سأقتصر في هذا البحث الموجز على عدد منها فحسب ، وأترك للقراء الذين يملكون الذائقة الحساسة التي تعرف كيف تتعامل مع كلمات الله المدهشة ، أن يكتشفوا بأنفسهم المزيد ...

في الآية الخاصة التي تخاطب المسلمين ، أو تأمرهم بعبارة أدق بإعداد القوة في مجابهة خصوم الأمة ، نلحظ مستويين للخطاب أحدهما عام يعنى بمطلق القوة سواء كانت خنجراً أم سيفاً أم رمحاً ... أم رصاصة أم قنبلة أم صاروخاً ... أم عابراً للقارات ... القوة على اطلاقها بغض النظر عن الزمن الذي تتشكل فيه ، وثانيهما خاص يعنى بالقوة الأساسية لعصر التنزيل ، وربما للعصور التي تليه : سلاح الفرسان الذي ظل يعمل عمله حتى الحرب العالمية

الثانية : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٦٠).

فلو أن الأمة الإسلامية في عصورها الأخيرة ، انتبهت إلى هذا الخطاب ولاحقت ، بل سبقت القوى الغربية في ابتكار السلاح الأكثر قدرة على الضرب ، لما كان هذا الذي كان من تفوقّهم علينا ... وازدياد هذا التفوّق بمعدلات المتواليات الهندسية ، وإمساكهم بنا – بقوة السلاح – من رقابنا ، وإرهابنا ، وتحكمهم في مصائرنا ...

والمدهش أن كتاب الله يقطع ألسنة القائلين بدعوة القرآن إلى الإرهاب ، مما تلوكه ألسنة الخصوم وإعلامهم صباح مساء ... في الآية التالية تماماً لآية الإعداد : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٦١) ... فالقاعدة الإسلامية هي الجنوح للسلم ، ولكن وبسبب من نزعة الإسلام الواقعية فانه يأخذ بكل مسألة أو ظاهرة بأطرافها كافة ... ولابدّ في هه الحالة من إعداد القوة على إطلاقها لمجابهة الخصوم الذين يكيدون لهذا الدين.

إن القرآن يقودنا دائماً عبر رحلة تخرج بنا من التاريخي إلى الحضاري ... من الزمني الموقوت إلى الفضاء المفتوح على سائر الفعاليات الحضارية التي تمكن الأمة من حماية نفسها ومجابهة خصومها ، بكل ما يتمخض عنه العقل البشري من قدرات على الكشف والابتكار ... وتلك هي الظاهرة التي جعلت الغربيين الفجرة يتفوقون علينا بها ... وقد أراد كتاب الله لنا أن نسبهم ونقطع عليهم الطريق ... ولكن !!

[3]

في الآيات الخاصة (بالميزان) نلحظ الخطاب الثنائي نفسه ... الموازين التي نخزن بها حاجياتنا اليومية وتلك التي قامت عليها سنن الكون والحياة والوجود على اطلاقها ...

دعوة مؤكدة لأن نزن ما يباع ويشترى من مأكل وطعام بما لا يلحق غبناً بالبائعين والمشترين على السواء ... يقابلها تأكيد على الموازين الكبرى التي أريد للكون أن تنضبط حركته بها فلا يميل ولا يجور ... إنه العدل الإلهي المركوز في بقية الكون ، والذي أريد للبشرية أن تلتزم به ، وأن تحكم بالقسط ، فلا يطغى بها الميزان ...

ما أجمل الحياة وأسعدها ، عندما يتحقق هذا الوفاق المرتجى في الحالتين : موازين الأشياء والموازين الكونية ... حيث لا غش ... ولا ابتزاز ... ولا سرقة ... ولا تدليس ... ولا ظلم ... ولا طغيان ... هذا ما سعت الأديان السماوية إلى تنفيذه في العالم ... وجاء خاتمها الإسلام لكي يضع بصماته النهائية عليه ... ولكن ماذا تقول للكفرة والعلمانيين الذي يسعون إلى فك الارتباط بين الدين وبين قدرته على إدارة الحياة بقوة السياسة وآليات الدولة ؟

إنها ، إذا أردنا اختصار المحاولة بأقل الكلمات ، خيانة للإنسان والبشرية ، ومحاولة لابتزازهما والانحراف بهما عن منطق العدل ، ومطالب الميزان !!

في الخطاب الأول يتعامل القرآن الكريم مع عالم الأشياء وفي الثاني مع القيم الكبرى ... والأمر سواء ، ما دام أن الهدف في الحالتين هو تحقيق العدل في هذه الحياة ... وحماية الإنسان من كل صنوف الغدر والابتزاز سواء في أموره اليومية المعيشية ، أو في نشاطه السياسي والاجتماعي العام. ولنقرأ :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة المطففين ، (الآيات ١-٦).

ورغم هذا المقطع يعنى بشؤون الناس اليومية في البيع والشراء ، وضرورة الوزن لهم بالحق والعدل ... إلاّ أنه ما يلبث أن ينقل البائعين ، بل يتهددهم بأنهم مبعوثون وخيانتهم ليوم الحساب العظيم الذي سيقوم فيه الناس لرب العالمين ... جلّ في علاه ...

إنها نقلة مؤثرة من اليومي إلى الأبدي ... ومن الراهن إلى المطلق ... ومن الجزئي إلى الكلي ... ومن التاريخ إلى الزمن المفتوح ... كل ذلك من أجل أن ينبه الناس إلى قيمة العدل في موازينهم وتجاوز كل ما من شأنه أن يمسّها بسوء ...

ولكن القرآن لا يقف عند هذا الحدّ ، بل يمضي مصعّداً من أجل تأكيد " الميزان " الذي خلقت به وله السماوات والأرض : ﴿ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآيات ٧-٩) ... الميزان في مستوياته العليا : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاستراتيجية من أجل جعل الحياة البشرية ، التي افترسها اللصوص الكبار باسم رفض تدخل الدين في السياسة – جديرةً حقاً بأن تعاش !!

[4]

في الآيات والمقاطع القرآنية الخاصة بالزمن نلحظ ثنائية الخطاب القرآني نفسه ما بين الزمن الأرضي التافه ، المنصرم ، المحدود ... وبين الزمن الكوني المنفتح على مداه ... ما بين الثواني والدقائق والساعات والأيام والأسابيع والشهور والسنين المأسورة بالثلاثمائة والستين يوماً وبين الزمن الكوزمولوجي الذي يقاس بالسنين الضوئية ذات المديات التي تعجز العقل عن ملاحقتها وتصوّرها !!

في الأولى نقرأ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ . . . ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٣٦) فنجعل أنفسنا إزاء معيار زمني قصير ، محدود ، أراده الله سبحانه وتعالى كذلك ، لكي يتلاءم مع حياتنا الأرضية القصيرة المحدودة ... إنه معيار مناسب لحجمنا تماماً في هذه الحياة الدنيا ... لهمومنا ومطامحنا ولهاثنا المحموم وراء مغريات الحياة ...

وحدته الزمنية هي السنة المكونة من اثني عشر شهراً ، والتي تمضي إلى غاياتها المنصرمة بعد ستين أو سبعين دورة زمنية ... ومع ذلك يتكالب الطواغيت والفراعنة والمتألهون في الأرض من أجل الإمساك بهذه السنوات كي لا تتفلت من بين أيديهم ... فماذا لو مدّ في الاعمار إلى ألف سنة أو ألفين ... ماذا كانوا سيفعلون ؟ تلك هي حكمة الله سبحانه ومشيئته العليا ... أن يحجّم الاعمار وفق هذه النسبة التافهة المحدودة كي لا تتحول الحياة البشرية إلى غابة موحشة يفترس فيها القوي الضعيف ... وينزو السفلة حتى على البهائم والأطفال !!

سريعة منصرمة ، حتى لتبدو للناظرين إليها يوم الحساب يوماً أو بعض يوم ، أو ساعة من زمن أو حفل تعارف ما يلبث المنفضون عنه أن ينسوا حتى أسماء وملامح الوجوه التي تعرفوا عليها : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ . . . ﴾ (سورة يونس ، (الآية ٤٥) ، ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٥٢) ، ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ١١٣) ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ . . . ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٥٥) ، ﴿ . . . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ . . . ﴾ (سورة الأحقاف ، (الآية ٣٥) ، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (سورة

النازعات ، (الآية ٤٦) ، ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً ۞ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً﴾ (سورة طه ، (الآيتان ١٠٣-١٠٤).

في الثانية نقرأ : ﴿ . . . ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٥) ، ﴿ . . . وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٤٧).

بل إن اليوم الواحد ليغدو في العرض القرآني ١٨.٢٥٠.٠٠٠ يوماً أرضياً : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۞ وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (سورة المعارج ، (الآيات ١-٧).

والقرآن يحدثنا في أكثر من موضع عن الأيام الكونية التي تمّ خلالها خلق السماوات والأرض ... إنها أيام قلائل لا تتجاوز السنة ... ولكن أية أيام هذه التي تم فيها بناء السماوات وتهيئة الأرض لاستقبال الإنسان الذي كلف بالخلافة في هذا العالم ... انها بالتأكيد أيام كونية لا تقاس مطلقاً بأيامنا الأرضية السريعة ، العابرة : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا . . .﴾ (سورة فصلت ، (الآيات ٩-١٢) ، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . .﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ٥٤) ، يونس ، (الآية ٣) ، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . .﴾ (سورة هود ، (الآية ٧) ، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . .﴾ (سورة السجدة ، (الآية ٤) ، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . . ﴾(سورة ق ، (الآية ٣٨) ، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ . . . ﴾(سورة الحديد ، (الآية ٤).

ويجيئ علماء الفيزياء والكوزمولوجي الكبار في القرن العشرين ، وعلى رأسهم آينشتاين لكي يؤكد في نظرية النسبية حقيقة الفارق الهائل بين الزمن الأرضي والزمن الكوني ، ومع تأكيد هذا الفارق ، كشف لحقائق أخرى لا تقل أهمية تجيئ مطابقة تماماً لما سبق وأن أورده كتاب الله ، من مثل حقيقة الانفجار الكوني العظيم (Big Bang) الذي يعكس مصداقية الآية : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الأنبياء ، (الآية ٣٠) ومن مثل حقيقة التمدّد الكوني ، والكون المتسع ، والمنحنيات الكونية التي تعكس مصداقية الآية : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾(سورة الذاريات ، (الآية ٤٧).

[5]

والقرآن الكريم يقدم موقفه من النصارى بوجهيه معاً ... وذلك هو العدل الإلهي في التعامل مع (الآخر) ... ألاّ يكتفي بالتقاط الصورة من جانب واحد ، وانما هو يدير (الكاميرا) على الوجه الآخر لكي يعطي تقييمه الموضوعي العادل ... وليس كما يتصوّر السذّج والخبثاء من أن القرآن يناقض نفسه ... وحاشاه ... فهو ممحض للحق مع الخصوم والاتباع معاً ...

إنه يقول تقييماً لرهبان النصارى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾(سورة المائدة ، (الآيتان ٨٢-٨٣).

لكن هذه الصورة المضيئة عن الرهبان الذين آذنوا للحق لا يمنع من تقديم الصورة المعتمة عن أولئك الرهبان الذين يكنزون الذهب والفضة ، ويأكلون أموال الناس بالباطل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآيتان ٣٤-٣٥).

وفي مقطع آخر ينزل كتاب الله غضبه القاصم على النصارى الذين قالوا بأن المسيح ابن الله (وحاشاه) والذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح بن مريم أرباباً من دون الله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآيات ٣٠-٣٢).

ثم يعود كتاب الله (سبحانه وتعالى) لكي يقدّم تصوّره العادل للرهبانية النصرانية في جانبيها المضيء والمظلم على السواء : ﴿ ... وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٢٧).

الموقف الوسطي العادل يكرر نفسه مع اليهود ، أولئك الذين آذوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وألحقوا بدعوته المتاعب والمنغصات ، وحشدوا لضرب دولته الإسلامية الحشود والأعداء ... بل قبل هذا وذاك وقفوا المواقف الخبيثة المسمومة ، نفسها ، تجاه أنبيائهم ... ودينهم ... وعقيدتهم ... فقتلوا وحرّفوا وطمسوا على الحقائق ، ووصل بهم الأمر إلى أن يلتوي سلوكهم مع أنفسهم ومع الآخرين ، ويصل بهم إلى الطريق المسدود ، الذي لا يرجى معه شفاء.

والقرآن الكريم يقدم عن هذه الممارسات السافلة لليهود ، عبر التاريخ الكثير الكثير بدءً من المساحات الكبيرة التي تتحدث عن سلوكهم الملتوي هذا في سورة البقرة ... وحتى مقاطع القرآن الأخيرة ...

لكن هذا كلّه لم يمنع كتاب الله أن يقف مدافعاً عنهم ، مبرّراً ساحتهم من تهمة كاذبة ألحقها بهم بعض المحسوبين على المعسكر الإسلامي من المنافقين والضلال ، منزلاً غضبه

القاصم عليهم ، متوعداً إياهم أن يعودوا لمثلها بكلمات تقدح شرراً وناراً. (وقد عرضنا لهذا الموضوع بالتفصيل في بحث : الحياة التي يردها كتاب الله) من هذا الكتاب فلا مبرر لإعادة القول فيه.

[6]

في المقطع الأخير من سورة الجمعة نلحظ التوازن المرسوم نفسه ، ذلك الذي اعتمدته كلمات الله في التعامل مع الأمور : الدعوة الصارمة للتفرّغ للعبادة وذكر الله ... يوازيها أمر لا يقل صرامة للانتشار في الأرض وابتغاء الرزق ... فبدون ذلك التوازن بين المطلبين ... بدون تنفيذ مطالبها بالجد المطلوب ، لن يتحقق المؤمنون بالفلاح في هذه الدنيا التي أريد لها أن تكون مزرعة للآخرة ... وساحة – في الوقت نفسه – للبناء والانجاز والعمران على عين الله ...

ولنستمع : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سورة الجمعة ، (الآيات ٩–١١).

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ. . . ﴾ بحرف الفاء الاستئنافية التي تختزل الزمن والمكان ... ولا تترك أية مساحة متطاولة ... بين نمطين من الأفعال ... أحدهما تعبدي ... والآخر تجاري ...

ورغم ذلك فان هنالك في المنطوق القرآني أولويات معينة ، تجعل من العبادة وذكر الله أساساً عميقاً متيناً تنهض عليه سائر الفعاليات ، ومن ثم كان أي تهاون أو تساهل في هذه الحقيقة ، تعدهما كلمات الله لهواً وانفضاضاً عن هذا الهدف المركزي ، الذي تغدو معه التجارة لهواً يتحتم ألاّ ينسحب المؤمنون إليه تاركين العبادة وذكر الله ...

الأمر نفسه نلحظه في الآية الأخيرة من سورة (المزمل) : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة المزمل ، (الآية ٢٠).

فها هنا أيضاً نلتقي كفتي الميزان : عبادة الله ... والسعي في الأرض ابتغاء الرزق ... والجهاد في سبيل الله ... والاضطرار – بسبب الأوجاع والأمراض – إلى تقليص مساحة العبادة ...

إن القرآن الكريم عندما يصدر أوامره ، يلحظ بالرؤية الإلهية العادلة ، كل الحالات التي يتقلب فيها الإنسان ... كل المطالب التي تلح عليه في أن يستجيب لندائها ... ومن ثم يعطيها المساحة المناسبة من أجل أن تمضي الحياة الإسلامية إلى غاياتها دونما أي قدر من الخلل أو الميل او الانحراف ...

إن إقامة الليل ، وتلاوة القرآن ، لهما هدف المؤمنين في هذه الدنيا ... ولكن ماذا لو تفرغوا جميعاً لهذه المهمة فأهملوا الحركة في الأرض طلباً للرزق ... وتخلوا عن الجهاد في سبيل الله ... ومارس المرضى منهم نوعاً من تعذيب الذات بحجة التقرّب إلى الله ؟ ألاّ يقود هذا إلى تعطيل عجلة الحياة ، وإصابتها بالمتاعب والشروخ ؟!

إن الدلالة الزمنية التي ينطوي عليها هذا المقطع لتوحي ، بأسلوبها المؤثر ، بضرورة تقدير المؤمنين للزمن ، وتقسيمه العادل ، استجابة لمطالب الدين والدنيا معاً ... إذا أردنا فعلاً أن نجعل من الدنيا طريقاً معبداً للآخرة.

[7]

وطالما حدثنا القرآن الكريم عن تفاهة الحياة الدنيا ، وكونها زينة وتفاخر ، وبأنها متاع الغرور ... وعرض لسرعتها وانصرامها ، فكأنها لحظات من عمر الزمن ، واصفاً إياها بأنها يوم أو بعض يوم ، وبأنها ليلة أو ضحاها وبأنها أشبه بحفل للتعارف ما يلبث بعد ساعة أو ساعتين ينفض ، حيث ما تلبث أسماء المتعارفين أن تنسى ، وتضيع ملامح وجوههم ...

لكن هذا كله لا يعدو أحد وجهي التصوير القرآني للحياة الدنيا ... ويبقى ثمة الوجه الآخر : الاعمار والتنمية وتوظيف الخبرات العلمية للنهوض الحضاري ، فيما نجده في كل الآيات المتعلقة بالتسخير والاستخلاف والاستعمار (بدلالته اللغوية وليست الاصطلاحية) : ﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٦١) أي خلقكم في هذا العالم لتنميته وإعماره من أجل أن يكون بيئة صالحة لعبادة الله ، بدلالتها الحضارية وليست الطقوسية الشعائرية ، حيث يصير كل فعل يمارسه الإنسان عبادة يتقرّب بها

إلى الله ... فيما يذكرنا بحديث الرسول المعلم (عليه أفضل الصلاة والسلام) : (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألاّ تقوم حتى يغرسها فله بذلك أجر).

العمل والاعمار وزراعة الأرض ، ماضٍ في المنطوق الإسلامي حتى اللحظة الأخيرة من عمر الحياة البشرية ... وحتى لحظة النفخ في الصور ...

فأي توازن مدهش هو هذا الدين (تصغير) الحياة الدنيا (ولنلاحظ كلمة الدنيا هذه) في عيون المؤمنين من أجل ألاّ تأسرهم عن المضي بعيداً فيما وراءها ، من آخرة ، ومن حساب وثواب وعقاب ... وبين (تكبيرها) من أجل ألا يتركوها للآخر ، فيتمكن منها ، ويحكم قبضته على رقابهم ، ويسومهم سوء العذاب ...

أي توازن مدهش هذا بين أن تضع الآخرة نصب أعيننا ونركل الدنيا بأقدامنا ، فيما يذكرنا بعبارة (النفّري) في كتابه (المواقف والمخاطبات) : (يا عبدي إذا قمت إلى الصلاة فأجعل الدنيا كلها تحت قدميك) ... وبين أن نقدّرها حق قدرها باعتبارها الفرصة الوحيدة لاختبارنا ، ولتمكيننا من تنفيذ مشروعنا الحضاري الذي يلتقي فيه ، من بين سائر المذاهب والأديان : الوحي بالوجود ... والدنيا بالآخرة ... ! ولله سبحانه بالإنسان ... والروح بالجسد ... والفرد بالجماعة ... والعدل بالحرية ... والايمان بالعلم والمنفعة بالجمال !!

أي توازن مدهش هذا الذي يمسك كتاب الله من طرفيه فيقدمه للناس في أوضح صورة ، واشدها إقناعاً ... وأكثرها عذوبة وجمالاً ؟!

هذه مجرد شواهد قرآنية ستة ، وغيرها العشرات والمئات منبثة في ثنايا كتاب الله ، على الرؤية القرآنية العادلة ، المتوازنة ، التي تعرف ، بعلم الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، كيف تتعامل مع كل حالة وفق مكوناتها واطرافها جميعاً ... أفتنقضي عجائب هذا الكتاب[1].!

---

(١) تمت معالجة جملة من الثنائيات الأخرى في عدد من مؤلفاتي السابقة ، من مثل مقال (دعوة للتوزيع العادل للزمن) ومقال (الزوايا المختلفة للصورة) من كتاب (آيات قرآنية تطل على العصر) ومقال (ويل للمصلين) من كتاب (في الرؤية الإسلامية) والتحليل الخاص للآية ٦٥ من سورة الأنفال من كتاب (متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة).

دين التحرير

كان الإسلام منذ اللحظة الأولى ، عملاً تحريرياً ، وعلى المستويات كافة ... لقد بدأ برفع شعاره الإسلامي (**لا إله إلا الله**) لكي يحرر الإنسان من الضلالات والأوهام والطواغيت والأرباب ... ومضى لكي يمارس تحريره من الخوف ... والجهل ... والأمية ... وكل صنوف الكبت المدّمر ... ومن الخضوع للفوضى ، وضغوط الكتلة ، والانحناء للصدفة العمياء ... وتبصيره بقوانين العمل والحركة التي يسير الكون والعالم والتاريخ بموجبها ...

إن الميزة التحريرية هذه تصبغ دعوة الإسلام وتتشابك مع نسيجها الفذّ ، وتعسى بإلحاح لتحرير رغبات الإنسان وأشواقه الجسدية والروحية ، وفتح الطريق أمام دوافعه وحاجاته ومنازعه دونما إفراط أو تفريط.

وهي ميزة ترتبط أشد الارتباط بمفاهيم الحركة ، كما وردت في كتاب الله ، وفي أبعادها كافة : الكونية ، الإنسانية ، الاجتماعية ، السياسية ، الفكرية ، والعقدية ...

كما أنها دعوة للخروج من الضيق الذاتي والاجتماعي والسياسي والعقدي ...

وحيثما قلبنا أنظارنا في نسيج هذا الدين ، المحكم ، الشامل ، المحيط ، وجدنا أنفسنا قبالة دعوة واضحة ، صريحة ، للتحرير ، بمفاهيمه كافة ...

فلنبدأ رحلتنا إذن مع هذا البعد الثوري الانقلابي في ديننا وعقيدتنا ، وبالإيجاز الذي يتطلبه بحث موجز كهذا.

على مستوى الكون ... أو الكوزمولوجي بالتعبير العلمي المعاصر ، نجد أنفسنا قبالة طبقتين من حركة الخلق ، وهي بثنائيتها هذه تنطوي على بعد تحريري في أصل الخليقة التي هي أولاً وأخيراً من صنع الله الذي أتقن كل شيء ...

الطبقة الأولى تقوم على الكينونة ... على الخلق الكوني ابتداء بكلمة (**كن**) التي إذا أرادت شيئاً فان تقول له (**كن فيكون**) : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١١٧) ، ﴿ **... إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٤٧) ، ﴿ **... خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٥٩) ، ﴿ **... وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ...** ﴾ (سورة الأنعام ، (الآية ٧٣) ، ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة النحل ، (الآية ٤٠) ، ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٨٢) ، ﴿ **... إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ (سورة مريم ، (الآية ٣٥).

ثم ما تلبث (الكينونة) التي قد تنطوي على السكون الذي هو نقيض الحرية والحركة ، أن تتحول ، بإرادة الله إلى (الصيرورة) ... وهكذا يمضي البناء الكوني وفق مفهوم التنامي الحركي إلى ما شاء الله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة ياسين ، (الآيات ٣٨-٤٠) ، ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ٣٠) ، ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآية ٤٧) ، ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآية ١٠٤) ، ﴿ . . . إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (سورة هود ، (الآية ١٠٧) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ۞ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً ﴾ (سورة الفرقان ، (الآيتان ٤٥-٤٦) ، ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآية ٨٨).

إننا هنا بإزاء تحويل الساكن إلى متحرك ، لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى ... تحريره من السكون وتحويله إلى الحركة التي تنطوي على دلالات شتى بما فيها التنامي والامتداد والتطوير ، وتلبية المطالب الأساسية للحياة وللبيئة الكونية على السواء ...

اننا هنا نعثر على مفتاح الخلق الكوني ... إنها إرادة الله التي لا رادّ لها والتي تنشئ وتصيّر هذا الخلق من حال إلى حال ... بخلاف التفسير العقيم الذي طرحته المادية الديالكتيكية والتي فسرّت المتغيرات الكونية كما لو أنها تتم دون قصدية مسبقة ... هكذا تتحول الكميات إلى متغيرات نوعية ... وهي حالة تنطوي على الاستحالة المطلقة ... لأنه – وكما يقول الناقد الإنكليزي الكساندر عزي – لو جئنا بجذع شجرة وطرحناه أرضاً ، بانتظار أن يتحول – بالصدفة – إلى منضدة صالحة للكتابة : بقوائمها ومجراتها وسطحها الأملس ، ملايين السنين ، فانها ستظل على حالها !!

إن الرؤية القرآنية للخلق الكوني ... رؤية علمية بمعنى الكلمة ، لأنها تجيئ من لدن حكيم خبير هو الله (سبحانه وتعالى ... جلّ في علاه) ...

وثنائية الكينونة والصيرورة هذه هي الخط العريض التأسيسي الأوّل لمفهوم التحرير الذي جاء به هذا الدين ... عدم الثبات أو السكون أو الأسر على الحالة الواحدة ، وانما الانعتاق والتجدد والتطور ... أي الصيرورة التي تمضي بمفردات الخلق هذه إلى غاياتها وتحررّها من الجمود ...

وهذا – مرةً أخرى – يقود الإنسان إلى التحرّر من ضغوط الكتلة ، والانحناء لمواضعات البيئة ، والخضوع لحتميات الجغرافيا ... والأسر في صيغ الصدفة ، والكهانة ، والسحر ، والخرافة ... إنها رؤية تقدمية بمعنى الكلمة ، تتضاءل عندها ادّعاءات الماركسيين والعلمانيين ، وتغدو فجاجة وسخفاً لا يستحق أي در من الاحترام ...

أما على مستوى الإنسان والحركة البشرية ، فاننا نلمح البعد التحريري لهذا الدين عبر سياقات أربعة : السياق الذاتي – الروحي ، والسياق الاجتماعي – السياسي ، والسياق الفكري ، والسياق العقدي.

فأما على المستوى الأوّل فقد اعتبر الإسلام الإنسان المسلم مشروعاً دائماً للتحرّر والصعود عبر محطات الإسلام ، فالإيمان ، فالتقوى ، فالإحسان ... وسمى كفاحه الصعب هذا بالجهاد الأكبر لأنه يتطلب مقاومة فائقة لكل صنوف القهر والاستلاب والإغراء والإغواء ، وتجاوزها ... إنه ملاحقة يومية ، دقيقة بدقيقة وساعة بساعة ، بين (الحسنات) و(السيئات) ... دفتر الرصيد المفتوح لتسجيل أرقام الايجاب وتضييق الخناق على أرقام السلب ، من أجل تحرير الإنسان من شتى صنوف الضغوط التي تسعى لأسره واستعباده وتقييد حريته.

إنها فاعلية تحرّر الإنسان من الإحساس بالتأثم ، وهيمنة الخطيئة على عقله ووجدانه ... انها تمضي حتى إلى ما يسميه (فرويد) بالأنا الباطنية ... اللبيدو ... لكي تنظفها وتغسلها ، وتجعلها تتوافق مع الأعراف الاجتماعية ومطالب الدين ... انها رياضة روحية صعبة ، ولكنها ممتعة بقدرتها على تجاوز العقبات ، والتفوق عليها ، وتصفيتها في نهاية الأمر ...

إنه الطريق المفتوح للتحقق بالحرية ... والإحساس بالتوحد والائتمان الذاتي ، وعدم جعل الخطايا تطوّق الإنسان من جهاته الأربع ، وترغمه على الخضوع والانكسار ، فما دام الإنسان قديراً على ملاحقتها ، واستبدالها بالمعطيات الايجابية ، فمعنى هذا منحه الأمل بالتحرر من ضغوطها ، وايقافه قبالة كلمة الله سبحانه وتعالى وأوامره ... خفيفاً نظيفاً متطهراً وسعيداً ... وما أروعه من إحساس حيث لا هيمنة مطلقاً لقوى الشدّ التي تسعى إلى سحبه نحو الأسفل ...

بل إن الإنسان ، في المنظور الإسلامي ، حرّ ابتداء في أن يختار الطريق الذي يسلكه في الحياة الدنيا ... والطريق الخير أو طريق التيه والضلال ... والمسؤولية تقع على عاتقه وحده في هذا الاختيار الذي ترك أمامه مفتوحاً حتى مداه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾(سورة الإنسان ، (الآية ٣) ، ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾(سورة يونس ، (الآية ٩٩) ، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ . . . ﴾(سورة الكهف ، (الآية ٢٩) ، ﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ۞ لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾(سورة المدثر ، (الآيتان ٣٦-٣٧).

ثم ان العدل الإلهي يقتضي – لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى – أن يمنح الفرص للجميع ، مؤمنهم وكافرهم ، تقيّهم وفاجرهم على السواء ، ما دام قد كتب لهم الحياة ، فليأخذ كل منهم حظه الكامل منها شقياً أم صديقاً : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ۞ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ۞ كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً ۞ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآيتان ١٨-٢١) ، ﴿ . . . وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾(سورة آل عمران ، (الآية ١٤٥) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ (سورة الشورى ، (الآية ٢٠) ، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة هود ، (الآيتان ١٥-١٦).

وتلك هي لازمة الكرامة الإنسانية ... التفرّد الإنساني في هذا العالم ، أن يمنح – خلافاً للخلائق الأخرى – حرية الاختيار ، وأن يتحمل مسؤوليته كاملة : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى ﴾(سورة النجم ، (الآيات ٣٦-٤١).

وذلك هو مقتضى كرامة الإنسان وسيادته على العالمين : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(سورة الإسراء ، (الآية ٧٠).

وأما على المستوى الاجتماعي والسياسي : فقد جاء هذا الدين لكي ينشئ مجتمعاً لا ظالم فيه ولا مظلوم ... ولكي يحرر الإنسان من كل صنوف والابتزاز ، وينفخ فيه روح الحركة من أجل تجاوز مواقع القهر والكبت والانكسار والاستبعاد ، إلى الحرية الحقيقة على امتدادها ... ونادى كتاب الله سبحانه وتعالى المضطهدين في هذا العالم ، وبأعلى نبرة ، أن يتحركوا وألا يستسلموا للظلم بكل صيغه وأشكاله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ؟ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ۞ فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾(سورة النساء ، (الآية ٩٧-١٠٠) ، ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾(سورة النساء ، (الآية ٧٥).

ودعاهم إلى ألاّ يستسلموا للقهر والجوع : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(سورة الملك ، (الآية ١٥) ... وحذّرهم من السكوت على فتنة الظلمة الفجار ، وأنهم بسكوتهم هذا سيتلقون عقاباً قد يمضي لافتراس الجميع : ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(سورة الأنفال ، (الآية ٢٥) ... وناداهم أن يمارسوا مهمتهم الأساسية في هذه الحياة : الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر ، من أجل أن يحيوا حياة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآيتان ١٠٤-١٠٥) ، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ٧١) ، ﴿ ... الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة التوبة ، (الآية ١١٢).

والحق أن الإسلام ، كان منذ اللحظة الأولى عملاً تحريرياً وعلى المستويات كافة ، وقد عرضنا لذلك بالتفصيل في غير هذا الكتاب[1] فلا مبرّر لإعادة القول فيه.

في المستوى العقدي الذي يقوم عليه البنيان كله ، دعوة واضحة صريحة للتحرير ... انها الخروج بالناس من ظلمات القهر والعبودية والجهل والضلالة والطرق المعوجة ، إلى نور الإسلام وعدله وصراطه المستقيم واستجابته لمطالب الإنسان : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٥٧) ، ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة المائدة ، (الآيتان ١٥-١٦) ، ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ (سورة إبراهيم ، (الآية ١) ، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ (سورة إبراهيم ، (الآية ٥) ، ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... ﴾ (سورة الحديد ، (الآية ٩).

---

(١) ينظر : (حول تشكيل العقل المسلم) و(مدخل إلى الحضارة الإسلامية) للمؤلف.

إنه تحرير الإنسان والخروج به من شتى أنماط الاستعباد السياسي والاجتماعي والنفسي ... إنه تحرير لهم من حكم الطاغوت الذي يمسك برقاب الإرقاء والمستعبدين ... إنه خروج بالناس ، كما قال الفاتحون وهم ينطلقون في الأرض ويدكون عروش كسرى وقيصر التي استعبدت الناس من دون الله سبحانه وتعالى : (الله ابتعثنا لكي نخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده) ...

التحرير الذي ينطوي – بالضرورة – على مفهوم التعامل بالقوة ، إيجابا مع التعاليم القادمة من السماء ، وسلباً مع الطواغيت والأرباب ... ومع الخصوم والأعداء ... وكسر الأيدي التي تمارس خنق حرية الإنسان ... وحرية اختياره الديني والعقدي ... وتهيئة الفضاء الواسع مفتوحاً بسمائه الكبيرة أمام الإنسان دونما أي عائق أو تزييف ...

إنها (الثيمة) القرآنية التي طالما ترددت في كتاب الله : ﴿ ... خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٦٣) ، ﴿ ... خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٩٣) ، ﴿ ... فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ... ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٤٥) ، ﴿ ... خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٧١) ، ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ ... ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٦٠) ، ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ... ﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٩٥) ، ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ... ﴾ (سورة مريم ، (الآية ١٢).

ولن تتحقق حرية الاعتقاد ... لن يتحقق خيار الإنسان الحرّ في الانتماء إلى أية عقيدة أو دين ... ما لم يتحرك المسلمون في ساحات العالم ، ويدخلوا على الآخرين ... ليس بالضرورة بقوة السلاح التي لابدّ منها إذا أريد للطاغوت أن ينسحب من حكم العالم ... ولكن بقوة الفكر والعقيدة التي بمقدورها أن تفتح الأرض وتجلب حشود الضائعين والحيارى إلى هذا الدين ... ومن ثم نلتقي بـ (ثيمة) موازية للقوة ، تتردد هي الأخرى في جنبات القرآن الكريم مخاطبة المؤمنين في العالم بأن يأخذوا زمام المبادرة وأن يبدأوا هم الدخول على الآخرين ... وإلاّ فان الآخر سيدخل عليهم ويقتلعهم من الجذور ... فليس ثمة حل وسط ، أو منطقة حرام أو جزيرة محايدة بيننا وبين الآخر ... فإما أن ندخل عليهم سلماً أو حرباً أو أن يدخلوا علينا سلماً

أو حرباً ، وتلك هي شهادة التاريخ على امتداده الطويل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٥٨) ، ﴿ ... وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا : حِطَّةٌ ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٥٨) ، ﴿ ... وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ... ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٥٤) ، ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ... ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٢١) ، ﴿ ... ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ... ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٢٣) ، ﴿ ... وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة الأعراف ، (الآية ١٦١).

تلك هي – بإيجاز شديد قضية التحرير في هذا الدين ... وهي مسألة توغل في شرايين تعاليمه ، وتتحرك في كل اتجاه ذاتي أو اجتماعي أو عقدي ، فتمنح الحرية للإنسان ...

الحرية في مداها الواسع الذي لا يأسره إطار ، ولا يحدّه ضد ، ما دامت تجيئ منضبطة بمطالب الهدي الإلهي الذي يعلو – وحاشاه – على التحيز والهوى ، والذي يعرف كيف يتعامل مع الكائن البشري ، بعيداً عن دينه أو عقيدته أو انتمائه ... أليست هي من صنع الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ؟!

دين الكادحين

هل يمكننا القول بأن الإسلام هو دين الكادحين ؟

نعم ... وبكل تأكيد ... وقد سبق لي أن عرضت في كتابي (مقال في العدل الاجتماعي) الذي صدر في سبعينيات القرن الماضي ، وأعيد طبعه مراراً فيما بعد ، وكانت آخر طبعاته تلك التي أصدرتها دار ابن كثير في بيروت عام (٢٠٠٨م) ... حشوداً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ومعطيات السيرة النبوية ، ما يغطي عشرات الصفحات ، ويقدّم بالدليل المؤكد القاطع أن هذا الدين هو – بالفعل – دين الكادحين.

ولكني أريد في مقالي الموجز هذا أن أوسّع المنظور ، لكي يمضي إلى التراث النبوي كلّه عبر تاريخ البشرية ، والذي جاء الإسلام لكي يتممه ويضع لمساته الأخيرة ، ويقدمه للناس في كل زمن ومكان نموذجاً فذّاً في العدل الاجتماعي عبر أقصى وتائره فاعلية ومساواة ... ولكي ينصف المظلومين والفقراء والمسحوقين والمستعبدين ، وينزل حممه على الأغنياء المترفين والطواغيت ورجال الدين الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله !!

إننا إذا رجعنا في الزمن إلى عصور الأديان الأولى في التاريخ البشري ... دعوة نوح (عليه السلام) التي استغرقت تسعمائة وخمسين عاماً ... فاننا سنعثر على التأسيس المبكر لخط الرسالات الذي يبدأ بآدم وينتهي بمحمد بن عبد الله (عليهما السلام) .

إن الذين انتموا إلى دعوته – بادئ ذي بدء – هم الفقراء والمستضعفون والكادحون ... الأمر الذي استفز أصحاب المال والجاه والسلطة والمكانة الاجتماعية ، فنظروا بازدراء إلى هؤلاء وأدانوا نوح (عليه السلام) بأنه يلّم حوله الغوغاء وأراذل القوم.

فلنتابع الصورة بتفاصيلها كما يعرضها علينا كتاب الله في سورة هود : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ ۞ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ۞ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن

يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة هود ، (الآيات ٢٥-٣٦).

وفي سورة الشعراء يعاد المشهد نفسه ... ذلك الحوار الحسام بين نوح (عليه السلام) وبين رؤوس قومه من الأثرياء والمترفين وأرباب السلطة والطواغيت ... هؤلاء يدينونه بأن الذين التموا حول دعوته هم من الرعاع والأراذل والكادحين والمسحوقين ... وهو يجابههم بالتزامه هذه الشريحة من الناس وأنه لن يتخلى عنهما مهما كلف الأمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ۞ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۞ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۞ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآيات ١٠٥-١٢٢).

ولقد جاء الطوفان الإلهي ليكتسح ، ويغرق ، كل المترفين الذين ساوموا نوح (عليه السلام) لكي يطرد من صفوف الكادحين ... فلم يكترث لأسماعهم ... وجبروتهم ... وطغيانهم ... وأسند ظهره للإرادة الإلهية التي تنزلت بما لم يكن في حسبان هؤلاء ... الإغراق الشامل للفساد الذي يتمخض دائماً عن الترف والسلطة والجاه ...

أية صورة هذه يقدمها كتاب الله عن طرفي الصراع في العالم : المترفين والكادحين ... وأنه يقف مع الفئة الأخيرة ويكتسح الأولى اكتساحاً فلا يبقي لها على أثر !!

وثمة في سورة الكهف ... عبر قصة النبي موسى (عليه السلام) والخضر ، صورة أخرى لا تقل دلالة : وقفة صارمة ضد الملوك والطواغيت ، حتى لو تطلب الأمر اعتماد ما يسمى بسياسة الأرض المحروقة كي لا يترك الكادحون أية فرصة لابتزازهم : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ۞ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ۞ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً ۞ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ... ﴾ (سورة الكهف ، (الآيات ٧١-٧٣ ، ٧٨-٧٩).

إنها والحق يقال صورة صارمة تنطوي على الكثير من الدلالات (الشورية) في قضية الصراع بين الذين يملكون الثروة والسلطان وأولئك الذين لا يملكون ...

والصراع الذي لا يرحم ماضٍ في كتاب الله بين الأنبياء جميعاً وبين خصومهم من الجبابرة والطواغيت والمترفين : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ۞ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ فَأَخَذَهُمُ

﴿ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآيات ١٢٣-١٥٩).

وانما يجيئ عقاب الله لكي يكتسح الفئة الأولى ، ويمدّ بالبقاء للفئة الأخرى ، تلك هي سنة الله في العالم ... لأن جرثومة الفساد ، والبغي ، والطغيان ، والاستلاب ، واحتقار المعدمين ، وابتزاز الكادحين تتسلسل في حجيرات هؤلاء ، فنلتوي بسويتهم النفسية وتقودهم ، شاءوا أم أبوا ، إلى مواقع الظلم والطغيان : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (سورة العلق ، (الآيتان ٦-٧).

وبينما تنصب الأوصاف والنعوت القاسية السيئة على الفقراء المعدمين في المجتمعات التي يسودها الترف والطغيان فيوسمون بالأوباش والأراذل والسوقة والأدنياء والمتطفلين ... الخ ... ينعكس الموقف في القرآن الكريم حيث توجه أقسى الكلمات إلى (أصحاب المال) المارقين ويهون بأقسى النعوت. ها هو أحد المقاطع يتحدث عن (أحدهم) مخاطباً الرسول (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (سورة القلم ، (الآيات ١٠-١٦).

ولا نجد في كتاب الله ، في مقابل هذا ، أي نعت أو صفة سليمة ، تلحق الفقراء والمعدمين ، وكل ما ورد عنهم انما جاء على لسان الكفار والمترفين أنفسهم من تسمية هؤلاء بأراذل القوم ، واتهم طليعة من يتبع الأنبياء وهم يدعون قومهم إلى الايمان : ﴿ قَالُوا : أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ (سورة الشعراء ، (الآية ١١١) ، ﴿ ... وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٢٧).

" ولم لا يكافأ هؤلاء الناس البسطاء ، فدوا الصفحات البيضاء والعلوية السليمة ، والتوجه الخيّر ، والقلوب التي تشع نوراً ؟ لم لا يكافأ هؤلاء الأطهار الطيبون الذين لا يفعلون إلا طيباً ، على يقولون إلا طيباً ، والذين يتوحد في ممارستهم الفعل والكلمة ، فلا يعرفون معنى للنفاق ، والالتواء ، والازدواج ؟ لم لا يكافأ هؤلاء الذين يلبون نداء الحق أول من يلبي ، ويتجمعون ، بدافع فطرتهم النقية ، وتوحدهم ، حول كل نبي أو رسول أو داعية ، يدافعون عنه يوم يلاحقه

الكبراء ، ويحمونه في لحظات الأذى والعدوان ، حين يعتدي عليه الملأ ، وتطارده النخبة الممتازة ... ويلقون حواليه يوم ينفض الواجدون والمترفون ، ويعز التعبير ؟

إنه يشكلون نواة كل دين أو دعوة حق ، وقاعدتهما التي تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم ، فتحول الفكرة إلى واقع مشهود ، والحلم إلى ممارسة تمنح خيرها للناس ؟

والقرآن الكريم يقف أكثر من مرة عند هؤلاء ... وآياته البينات تتنزل لكي تتحدث عنهم بمحبة واعتزاز ، ولكي تمنحهم الوعد الجميل بالمصير ... ليس فقط لأنهم منحوا حياتهم ، ومحضوا وجودهم للدعوة ، في لحظات الاجتياز الصعبة ، بل لأنهم كانوا يعبّرون بسلوكهم ، عن وقفة حالات التوحّد ، والتوافق ، والانسجام، بين الفعل والكلمة ...

هؤلاء أعطوا الكثير ، فاستحقوا الأجر الكبير !

إننا نقرأ في كتاب الله خطاباً إلى رسوله الأمين (عليه أفضل الصلاة والسلام) : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۞ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة الأنعام ، (الآيات ٥٢-٥٥) ، ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ (سورة الكهف ، (الآية ٢٨) ، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (سورة عبس ، (الآية ١-١١).

ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عبر حياته جميعاً صديق هؤلاء البسطاء الكادحين ... كان أخاهم الكبير ... يحبهم ويحبونه ... ويربت على أكتافهم بحنان ، وهم يقفون بين يديه مسلمين ، مخلصين ، تغمر وجوههم البسمة الحانية ، وقلوبهم الود والفداء ... من أجل

هذا تحدث عنهم قائلاً فيما رواه مسلم (رب أشعث مرفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره) ... ولقد لبى هؤلاء البسطاء نداء الفتح منذ اللحظات الأولى ، وما كان بمقدور القيادات الإسلامية ، على تألقها وتفوقها وفدائيتها ، أن تصنع شيئاً لولا هؤلاء الجند الذين شكلوا عصب الحركة ، وحولوا مطالبها إلى واقع منظور ...

وفيما بعد ، وعبر المسار الطويل للتاريخ الإسلامي ... عبر جل التحديات التي شهدها عالم الإسلام ، والضغوط التي مورست ضده ، أو قبالة كل الهجمات التي شنها الخصوم ... كان هؤلاء (البسطاء) يشكلون الخامة الإسلامية في خط الثغور ، وبأذرعهم قدر هذا العالم على الدفاع عن أراضيه ، والتوسع والامتداد في ديار الخصوم والأعداء.

لقد أدرك فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع الدور الخطير الذي تمارسه هذه الجماعات البسيطة التي تتحرك في أسفل السلّم الاجتماعي ، وحدثنا (أرنولد توينبي) في تفسيره الحضاري للتاريخ ، عن الأكثريات المتبعة ، والأقليات المبدعة ، وعن أن حضارة ما لا تأخذ سبيلها إلى التحقق ما لم يتم التواصل بين القطبين ، فتتلقى الأكثريات المتبعة معطيات الإبداع ، وتؤمن بها ، وتتبناها ، وتنفذها في أرض الواقع ، وتنشرها في الآفاق ... أما (كارل ماركس) فقد مضى ، بإلحاحه المعروف ، وتعميماته المبالغ فيها ، إلى إلغاء دور النخبة ، وعلق الفعل التاريخي على أكتاف الجماهير الكادحة وحدها.

وفي كل الأحوال ، تظل كلمات الله (سبحانه وتعالى) ، وتعاليم رسوله (صلى الله عليه وسلم) الشاهد العدل على ما يفعله هؤلاء وهؤلاء : أولئك الذين يتربعون في القمة ، أو يتحركون عند السفوح ، وتظل الحكم العدل الذي يمنح الصير المناسب لكل الأقطاب ، شرط أن تتحقق – الأقطاب – بطرفي المعادلة : الايمان والعمل الصالح ، وإلاّ فانه باطل ايمانهم وعملهم إن لم يلتقيا ويتعاشقا من أجل تنفيذ كلمة الله في هذا العالم : ﴿ ... وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ... ﴾(سورة المائدة ، (الآية ٥) ، ﴿ ... وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(سورة الأنعام ، (الآية ٨٨) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ... ﴾(سورة الأعراف ، (الآية ١٤٧) ، ﴿ ... أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ... ﴾ (سورة الأحزاب ، (الآية ١٩) ، ﴿ ... مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ... ﴾

(سورة البقرة ، (الآية ٦٢) ، ﴿ . . . مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة المائدة ، (الآية ٦٩) ... "[1].

ثم ماذا بعد ؟

هل يستنتج من السياق آنف الذكر أن الإسلام هو دين الصراع الطبقي ، وأنه ما جاء إلاّ لكي يعبد للطبقات المسحوقة مكانتها الاجتماعية في مواجهة الطبقات المالكة والمترفة ؟

أبداً ... ولن يخطر هذا على البال ، بمجرد الرجوع إلى واقعة عصر الرسالة الذي يعكس بمرآته الصافية كالبلّور ... أن الأمر لم يكن كذلك ، بدليل أن أوّل المنتمين لهذا الدين كانوا من كلية القوم ... أولئك الذين يملكون الكثير ، والذين سبق وأن تبوّؤا في القيادة المكية المسماة (رجال الملأ) أعلى مكانة : أبو بكر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ... وعمر بن الخطاب ... و ... و ... جاء هؤلاء ووضعوا أنفسهم في صف واحد مع الضعفاء والمسحوقين والمستعبدين ... أخوة على الطريق ... وعملوا معاً ... الذين يملكون والذين لا يملكون ... في سبيل الدعوة الناشئة ، وشكلوا قاعدتها الأساسية ، قاعدتها الصلبة التي قدّر لها أن تمضي إلى أهدافها ، وأن تنشئ دولة الإسلام ... وأن تغيّر بها خرائط العالم القديم، وتحرّر الإنسان.

ليس ثمة في المنظور الإسلامي صراع طبقي ، انما هو العدل المطلق الذي بنيت عليه السماوات والأرض ، وجبلت في سنن التاريخ وقوانين حركته.

ولقد جاء هذا الدين لكي يحقق مفاهيم العدل بأقصى وتائرها فاعلية ، فينصف الفقراء والمستعبدين، ويرفع سويتهم المعيشية ، ويحررهم من الرق والاستعباد ... ويدفعهم مع إخوانهم الأغنياء معاً على الطريق ... كل يضحي بالذي يملك من مال أو جاه أو سلطان ، أو قدرات جسدية ... أو طاقات روحية ... في سبيل الهدف الواحد والبؤرة التي التّم حولها الجميع ... يداً بيد ... من أجل أن تنتصر كلمة الله بسواعد وسيوف الذين يملكون والذين لا يملكون ...

ومن أجل أن تستقيم سنن الحياة الجديدة التي جاء هذا الدين لكي يرسي دعائمها ... كان لابدّ من ملاحقة كل صنوف الفقر والاستعباد والجوع ... ورفع أصحابها المسحوقين إلى درجة الكفاية ، ووضعهم صفاً واحداً مع إخوانهم الذين قدموا طواعية ، بل تنالوا لهؤلاء عن الكثير مما يملكون استجابة لشيء واحد : قوة الأيمان !!

---

(١) ينظر بالتفصيل : عماد الدين خليل : رؤية إسلامية في قضايا معاصرة ، كتاب الأمة ، العدد ٤٥ ، (الدوحة-١٤١٦هـ) ، ص ١٣٣-١٣٨.

ليس ثمة أية لمسة من لمسات الصراع الطبقي وانما – بالعكس – كان التواؤم والتصالح والالتقاء بين الطرفين ، في مواجهة قوى الشرك والوثنية ، لتعزيز كلمة الله في الأرض ... فهو من ثم صراع بين الإسلام والكفر ، وليس بين طبقة وأخرى ، داخل الصف الإسلامي الواحد ، الذي لم يخطر في بال المنتمين إليه ، أغنياء وفقراء ، سوى التوحّد والانصهار في بنية الدعوة التي مضت تشق طريقها من أجل تحرير الإنسان ... مطلق إنسان ... وبعيداً عن كل الاعتبارات الاقتصادية أو المادية التي يريد البعض إدخال الحركة التاريخية من عنقها الضيّق ...

وثمة أخيراً – سؤال قد يتبادر إلى الأذهان وهي تتأمل هذا المقطع القرآني المدهش : ﴿ ... كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(سورة الحشر ، (الآية ٧) لماذا – إذن – لم يجعلها الإسلام مشاعية للتحقق بهدف كهذا ؟ والجواب يثير الدهشة هو الآخر في إعجاز هذا الدين ، وأنه من لدن حكيم خبير ... ذلك أن المشاعية تلغي الحافز الفردي ، وتستأصل رغبة الإنسان الأصيلة في التنمية ، وقد تبين ذلك من خلال فشل الشيوعية الذريع ... وبالتالي فان القرآن الكريم بقدر ما يؤكد على ضرورات التساوي قدر الإمكان ، بقدر تأكيده – في الوقت نفسه – على حماية الملكية الفردية ، وتحفيزها ، واعتبار الدفاع عنها والقتال دونها أمراً مقدساً ، وجهاداً في سبيل الله !!

حول النشاط العمراني في كتاب الله !!

ما أروع الصورة التي يرسمها كتاب الله عن النشاط العمراني الذي يستهدي بتعاليم ... النشاط العمراني على اطلاقه ... زراعة وصناعة وتجارة وفنوناً ...

إنها – ابتداء – تريد أن تقول لنا ... تؤكد علينا ... أن هذه الدنيا ليست ممراً خرباً أن نعبره ولا نعمره ... بل على العكس تماماً ... انها الساحة التي أعدت للامتحان البشري في قدرته على اعمارها وتحسينها وتزيينها ... وملئها بالخير الوفير من أجل أن تكون البيئة الصالحة لعبادة الله بالمفهوم الحضاري ، وليس الشعائري أو الطقوسي المحدود ... حيث يصير كل فعل أو ممارسة أو انجاز في هذا الحقل أو ذاك ، عبادة يتقرب بها الإنسان والجماعة البشرية إلى الله جلّ في علاه ...

النشاط العمراني على اطلاقه ، زراعة وصناعة وتجارة وفنوناً ... شرط أن ينضبط بكلمات الله وتعاليمه التي تجعله مؤهلاً لإسعاد الإنسان ، وتبعد به عن الانفلات باتجاه الشر والضلال الذي يقود الإنسان إلى البؤس والتعاسة والشقاء ...

إنها إحدى المعادلات المدهشة التي ينطوي عليها هذا الكتاب المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ... هذا التوازن المرسوم بين الدنيا والآخرة ... بين العلم والايمان ... بين العمل والتقوى ... بين الكدح والتجرّد ... وبين مطالب الجسد ونداءات الروح والوجدان ...

إنه يريد أن يقول للناس : إذا كانت الحياة الدنيا رحلة عابرة في المنظور الايماني ... وقفة سريعة تحت ظل شجرة ما يلبث أصحابها أن يغادروها إلى الأبدية ... فان عليكم أن تعتصروها حتى الثمالة ... انها فرصتكم الوحيدة ، وامتحانكم الصعب الذي لا امتحان بعده ... وان عليكم أن توغلوا في نواميسها وأسرارها التي سخرها الله لكم من أجل أن تحيوا الحياة المتحض رة التي تليق بالإنسان الذي كرمه الله على العالمين ، وعلمه ، منذ لحظة خلقه الأولى ، الأسماء كلها ...

لقد أريد له منذ البدء أن يكون إنساناً متحضراً بمعنى الكلمة ... من أجل أن يبني الدنيا بما يجعلها البيئة الصالحة لعبادة الله سبحانه وتعالى ، والتوجه إليه في المسير والمصير ...

لقد أريد له أن يعمل ... ويكدح ... ويبني ... ويعمر ... من أجل أن يتحرر من الضرورات ... من شدّ الأرض وكثافة الطين ... بالتنقيب بالطين واستخراج مذخوراته ، وبناء العالم الذي يعمّ خيره على جميع الكائنات ، فيحررهم من الضرورات ، ويمحضهم للتوجه إلى أعلى ... صعوداً إلى ما يرده الله سبحانه وتعالى من حياة وضيئة نظيفة متحضرة تليق بكرامة الإنسان.

إن القرآن الكريم يخصص آيات بينات ومقاطع عديدة ... بل سوراً بكاملها لهذا اللقاء المرتجى بين النشاط العمراني ، وبين الالتزام بتعاليم الله ... الوفاق والتصالح بين القوى الطبيعية

وبين الإنسان المؤمن ... القيادات النبوية الحكيمة التي تمسك بالميزان بالعدل والقسطاس فلا تنحرف بها اغراءات القوة والجبروت عن الصراط ... صورة مؤثرة عن النشاط العمراني : زراعة وصناعة وتجارة ، ذلك الذي يستهدي بكلمات الله ، والدمار الذي يحيق به في حالة الكفران ... وينقلنا عبر جغرافية الأرض إلى بيئات شتى ... بعضها قدر على تحقيق الوفاق المطلوب فبلغ القمة في التحضّر والعطاء ... وبعضها الآخر انقلب على عقبيه واستجاب لإغراء القوة والجبروت ، فانحرف عن الطريق ، وتلقى العقاب ...

يحكي لنا عن فلسطين يوم أن تولى حكمها أنبياء كرام كداود وسليمان (عليهما السلام) ... عن اليمن الذي سخّر لها سد مأرب العظيم فحوّلها إلى واحة خضراء مترعة بالعطاء ... عن البتراء التي نحتت جبالها بيوتاً وقصوراً ومعابد وطرقات ... عن مصر التي أغدق عليها نهر النيل العظيم وايلاً من النصح والخيرات ... عن بيئات أخرى بلغ نشاطها التجارب قمة منحناه قبل أن يطيش بها الضلال ، فيطفف في الميزان ... ويتحول التعامل إلى منظومة قذرة من الاحتيال واللصوصية والكسب غير المشروع ...

أحاديث ... وعروض قرآنية ينفسح مداها ... فلا تقف عند حدود التسخير ... بل تتجاوزه إلى الآفاق البعد ... فتحكي لنا عن نسبية المعرفة البشرية مهما اتسع سلطانها وامتدت كشوفها ... عن الموت الذي يقف بالمرصاد ويقول للناس أن هذه الدنيا ليست محطتكم الأخيرة ، ولكنها بدء رحلة طويلة إلى الآخرة ... فلا تغرّنكم منجزاتكم الكبيرة ... فتنسيكم أنفسكم ، وتغيّب عنكم الخرائط المحكمة التي أريد لها أن تعلّم الإنسان طريق رحلته ، وغاية وجوده على الأرض ... وما ينتظره بعدها ، من ثواب أو عقاب ...

عن الشيطان الذي يتمركز سعيه في الأرض على الانحراف بالجهد البشري عن مساره الصحيح ، المنضبط بكلمات الله وتعاليمه ، إلى الضلال والفجور ونسيان نعم الله ...

عن الصراع المحتدم القاسي والمتواصل بين الإنسان وبين كل القوى التي تريد أن تسحقه وتخرجه عن الطريق ...

والقرآن الكريم – ها هنا أيضاً – يربط دائماً الأرض بالسماء ... مؤكداً حاكمية الله سبحانه وتعالى للكون والحياة ومضي كلمته التي لا رادّ لها في العالم ... وهو يعيدنا – بين لحظة وأخرى – إلى يوم الحساب ، وكأنه حاضر قبالتنا ... وكأنه يذكرنا بأن الحياة الدنيا ، على كل ما فيها من متاع وعمران وتفوّق ، انما هي خير ماضٍ ... وأن الزمن الحاضر ... الزمن الدائم الأبدي ... المقيم ... هو الذي سيجيئ في المستقبل ، والذي ستتكشف أستاره بعد يوم الحساب ...

ذلك كله من أجل أن يفيئ الإنسان إلى الحق والعدل اللذين أقيمت بهما وعليهما السماوات والأرض ... واللذين أريد لهما أن يحكما التجربة البشرية ... بالقسط والميزان ... فيسعد الإنسان والجماعات البشرية التي تعرف كيف تسخّر نعم الله السابغة عليها دون أن يضل بها الطريق ...

وطالما حدثنا كتاب الله عن جملة من الخبرات التي تحمل دلالتها الواضحة والمؤكدة ، على البعد العمراني الذي تنطوي عليه : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (سورة ياسين ، (الآية ٤١) ، ﴿ ... وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ... ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٦٤) ، ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ... ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ ... ﴾ (سورة هود ، (الآيتان ٣٧-٣٨) ، ﴿ ... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ... ﴾ (سورة إبراهيم، (الآية ٣٢) ، ﴿ ... وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل ، (الآية ١٤) ، ﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ (سورة الإسراء ، (الآية ٦٦) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ... ﴾ (سورة الحج ، (الآية ٦٥) ، ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٢٢) ، ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ... ﴾ (سورة المؤمنون ، (الآية ٢٧) ، ﴿ ... وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الروم ، (الآية ٤٦) ، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ... ﴾ (سورة لقمان ، (الآية ٣١) ، ﴿ ... وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، (الآية ١٢) ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ... ﴾ (سورة الجاثية ، (الآية ١٢) ، ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (سورة الرحمن ، (الآية ٢٤).

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ۞ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ۞ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا

سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾(سورة الكهف ، (الآيات ٩٣-٩٧).

فها هنا نلحظ كيف يعقد ذو القرنين ، هذا القائد المؤمن ، قوى الأيدي العاملة ، والحديد ، والنار ، والريح ، والنحاس السائل ، لكي يبني السد الذي يعرف كيف يحمي المستضعفين في الأرض من عدوان الأقوياء ...

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنفال ، (الآية ٦٠). فها هنا دعوة قرآنية لتصنيع القوة العسكرية على اطلاقها ... بدءً من الرمح والسيف والسكين والخنجر ... وانتهاءً بالبندقية والرشاش والمدفع والدبابة والطائرة والصاروخ ... القوة على اطلاقها ... من أجل إرهاب الأعداء المتكالبين على مقدرات هذه الأمة ، والذين ما تمكنوا منها هذا التمكين اللعين زمن الاستعمارين القديم والجديد إلاّ بعد أن أغمض المسلمون أعينهم ووضعوا بينهم وبين الخطاب القرآني سدّاً ،وكفوا عن ملاحقة الخصم في ضرورات التصنيع العسكري وتطويره الدائم ، وإلاّ أصبحوا – وقد أصبحوا فعلاً – القصعة التي يولم عليها المولمون ...

وهذان اثنان من أنبياء الله : داود وسليمان (عليهما السلام) هيّأ لهما الله سبحانه وتعالى من طاقات الإعمار ما لم يهيئه لأحد من العالمين ... وتبدأ الآيات القرآنية بالحديث عن التأسيس الذي يقوم عليه الإعمار في المنطوق الايماني ... إنه التوازن المرسوم بين العلم والحكمة ... ففي أولاهما يتمكن هؤلاء الأنبياء من الإمساك بزمام القوة التي تمكنهم من توظيف الطاقات الكونية المسخرة أساساً للإنسان ... وفي ثانيتهما يجيئ ضبط هذه القوة من الانفلات ، والطغيان ... فتمسك بها الحكمة وتعرف كيف توظفها للبناء وليس للهدم والتخريب والإرهاب ، كالذي يحدث في العلم الوضعي المنفلت من معايير الحكمة والذي قاد دولة عظمى كالولايات المتحدة إلى اعتماد القوة المطلقة لتدمير مدينتين يابانيتين هما هيروشيما وناكازاكي اللتين لا تزال ذراريهما تعاني من آثار الاشعاعات النووية القاتلة ... وتمضي لتوظيف قوتها المفرطة في سحق دولتي أفغانستان والعراق ، حيث اعتمدت في أولاهما القنابل ذات الأطنان السبعة لإفراغ الكهوف والمغاور من الأوكسجين والقضاء على الحياة فيها حتى ولو لم يكن يقطنها المقاتلون ... وفي ثانيتهما أفرغت طائراتها خمسين ألف طن من اليورانيوم المخضب في جنوب العراق ... لا تزال آثاره المدمرة تحصد مئات الآلاف من الناس !!

أما في ظلال القيادة النبوية فلن يحصل شيء من هذا على الاطلاق ... انما هي الحكمة التي تمسك بالميزان فلا تسمح لإغراء القوة في أن يضرب على غير هدى ... ولنقرأ في كتاب الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۞ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۞ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيات ٧٩-٨٢).

وتلفت انتباهنا كلمة (العلم) التي تتردد عبر هذه المقاطع القرآنية التي تتحدث عما أتاه الله سبحانه وتعالى داود وسليمان من قوة وطاقات : ﴿ ... وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ... ﴾، ﴿ ... وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ۞ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيات ١٥-١٧). فبالعلم – إذن – يكون التفضيل على الايمان الأعزل بما يملكه العلم من قدرة على توظيف الطاقات المسخرة للإنسان ... وتلك لمسة قرآنية مدهشة في مسألة التعامل مع العلم في المنطوق الإسلامي ... والايماني عموماً ...

ونمضي مع الآيات القرآنية التي تحدثنا عما آتاه الله لداود وسليمان (عليهما السلام) من علم تطبيقي مكنهما من انجاز الكثير : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۞ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سورة سبأ ، (الآيات ١٠-١٣) ،

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (سورة ص ، (الآيات ٣٥-٤٠).

إنها ورشة عمل صناعي كبرى يشتغل فيها الحديد والنحاس السائل والريح والجن والشياطين من أجل إنجاز العديد من المعطيات التطبيقية.

ولكن ألاّ يلفت أنظارنا – ها هنا أيضاً – ذلك الفارق الحاسم الذي يستهدي بالايمان وذلك الذي يتنكر له ... إن القرآن في هذه الآيات يوسّع المنظور فيلم في سياق واحد : المرئي وغير المرئي ... والحضور والغياب ... وعالم الشهادة وعالم الغيب ... فها هي ذي الجبال والطير تؤوّب مع داود ... وها هم الجان والشياطين يعملون بين يدي داود وسليمان (عليهما السلام) ... بإذن ربهم ...

ثم ها هو ذا التحدي الأكبر الذي يقف قبالة الإنسان مهما تعاظم علمه ، واتسعت سطوعه ، وتفوقت قواه : الموت !! الذي لن يكون بمقدور أحد أن يقول له : لا ... إنساً كان أم جناً : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ (سورة سبأ ، (الآية ١٤) ... إنه الفارق الحاسم بين العلم اليقيني الذي يستند إلى الايمان ، والعلم الوضعي النسبي الذي لن يكون بمقدوره الإحاطة المطلقة بكل الظواهر والأشياء ...

إنها استكمال للصورة القرآنية التي تلمّ في اللحظة الواحدة المغيّب والمنظور ، والتي تقدم تعليماً خطيراً بخصوص الجهد العمراني والحضاري عموماً ... أنه ليس خاتمة المطاف ... وأن لكل شيء نهاية ، وأن الموت يقف للجميع بالمرصاد.

فها هو ذا النبي الذي سخرت له تلك الطاقات المدهشة يتعرض للموت ... فلا يعرف بمصيره أحد من الإنس والجن ، ولا تدلّهم على موته إلاّ واحدة من أحقر الحشرات وأحطها شأنا : دابة الأرض ... ويعرف الجن حينذاك أن لو كانوا يعلمون الغيب – الذي هو من اختصاص الله جل في علاه – ما لبثوا في العذاب المهين.

وتلك هي إحدى معجزات القرآن ... إنه لا يقف عند جانب واحد من الصورة أو الحالة التي يتعامل معها ، فما هو يدير كاميرته على أطرافها جميعاً لكي يقدّم رؤيته الموضوعية العادلة التي جنحت بكل المذاهب الوضعية التي تحجرت عند جانب واحد من الصورة[1].

ثم ها هي واقعة نقل عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين ، بقوة العلم الذي يمكن – إذا حسن توظيفه – أن يحقق المعجزات : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ : أَهَكَذَا عَرْشُكِ ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النمل ، (الآيات ٣٨-٤٢).

ألا تلفتنا في هذا العرض عبارات كهذه ﴿ عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ... ﴾ ﴿ ... وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا... ﴾؟ ثم ألاّ يثير تساؤلنا تفوّق (الإنسان) الذي عنده علم من الكتاب على العفريت ، وتمكنه من اختزال عملية النقل من ست ساعات إلى سدس اللحظة ؟ وربط سليمان اتيانه العلم من قبلها بكونه مسلماً ، أي منقاداً لأمر الله وسننه ونواميسه ثم ألاّ يعني هذا كلّه أن منح (علم الكتاب) لرجل أو عفريت أو نبي أو ملك هو اطلاعه على الدستور الرياضي والطبيعي لقوانين السماوات والأرض ، ومن ثم تسخيرها إلى أقصى مدى ممكن لتحقيق منجزات زمنية ومكانية خارقة[2] ؟

وفي أكثر من سورة يحدثنا القرآن الكريم عن التسخير الزراعي ، والتجاري ، والإداري ، والعمراني ، الذي عم خيره على أقوام وشعوب وجماعات شتى في جغرافية العالم والذي أريد له أن يستهدي بتعاليم الله القادمة من السماء بواسطة الأنبياء الكرام ، من أجل أن يتدفق العطاء ويتواصل ويعم خيره على الجميع ، وأن الدمار الذي حاق به بسبب إشاحة تلك الأقوام عن

---

(١) تمت معالجة هذه المسألة بالتفصيل في بحث من هذا الكتاب.

(٢) ينظر عن هذه المسألة بالتفصيل بحث (القرآن والبعد الزمني) من كتاب (مع القرآن في عالمه الرحيب) للمؤلف.

الاستجابة للنداء الإلهي ، حيث ركبوا رؤوسهم واستغشوا ثيابهم ، وأصروا على كفرهم وضلالهم الذي لا ينسجم بحال مع هذا الخير الوفير الذي أنعم الله به عليهم.

والجزاء ، كما يقول المثل ، من جنس العمل ، فكان عاقبة كفرهم وشذوذهم أن تلقوا العقاب الذي أتى على بنيانهم من القواعد وجعلهم خبراً من الأخبار ...

وتلك هي سنة الله في الخلق ... واحدة من نواميس أو قوانين الحركة التاريخية التي طالما خصّص لها كتاب الله المقاطع والسور الطوال ...

ولنرجع إلى كتاب الله لنرى ما الذي يقول : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ۞ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ۞ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۞ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۞ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۞ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْداً لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (سورة هود ، (الآيات ٥٠-٩٥).

ودائماً يربط القرآن الكريم بين فعل الإنسان وبين النتائج المترتبة عليه ... وبين الدنيا والآخرة ... ويضع حدّي المعادلتين في إطار واحد تذكيراً للقيادات البشرية بالمصائر التي

ستؤول إليها إن لم نحسن التعامل مع سنن الله في العالم : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (سورة هود ، (الآيات ١٠٠-١٠٣).

وفي سورة يوسف نلتقي الخبرة الإدارية الحازمة التي تستهدي بنور الايمان ، والتي عرفت كيف تنفذ مصد من مجاعة الأعوام الطوال ، وكيف تخرج بها إلى برّ الأمان : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة يوسف ، (الآيات ٥٤-٥٦).

لقد وضع يوسف الصديق برنامجه المحكم لمجابهة سنوات الجفاف السبع ، ذلك بأن أعلن : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (سورة يوسف ، (الآيات ٤٧-٤٩).

أما سورة الشعراء فهي تنطوي على عرض بانورامي يلتقي فيه السياسي بالديني بالاجتماعي بالزراعي بالعمراني بالأخلاقي بالتجاري ، في تصوير رائع ومؤثر عن تلك الأقوام التي أغدق عليها الله سبحانه وتعالى الخير العميم ، ولكنها لم تحسن التصرف فيه ، وضلّت وأضلّت ، وأصرت على ضلالها وكفرها وفجرها ، فما كان منها إلاّ أن تتلقى الصفعة الإلهية التي تلغيها من الوجود ، وتجعل منها شاهداً منظوراً على ما ينتظر هؤلاء من مصائر مفجعة بما صنعته أيديهم.

في كل سياق من السياقات آنفة الذكر : زراعية ، تجارية ، عمرانية ... يقرّ القرآن الكريم الفاعلية ولا يلغيها ، بمنحها أكبر مساحة ممكنة ، لكنه يضبطها ويوازيها بالقيم والمعايير القادمة من السماء ، من أجل التحقق بأكبر قدر من الفاعلية والتوازن والانسجام مع وضع الإنسان في العالم ، ووظيفته الأساسية قبالة الله سبحانه وتعالى ، واخوته من بني الإنسان. والدلالات التي

تتمخض عن هذا المنظور كثيرة ، خصبة ، منها أن الحياة الدنيا فرصة للعمل والابداع ، ولكنها ليست هدفاً نهائياً ، وان الإنجاز مطلوب شرط ألاّ يصل حدّ التكاثر بالأشياء الذي يقود إلى الطغيان والغفلة والفسوق والكفر ، وأنه لا توجد أرجحية لفاعلية على أخرى ، واحتقار لبعضها دون الآخر ، فالمجال مفتوح إزاء سائر الفاعليات الحضارية ، وأن جهود الأنبياء (عليهم السلام) متوحدة في أساسها وغاياتها الكبرى ، ولكنها كانت متكاملة ، ففي كل حلقة يتم التأكيد على جانب ما ، وبتكامل الجوانب جميعاً تتحقق الحياة السعيدة العادلة.

إن القرآن الكريم يقدم ، فيما سبق وأن أوردناه من شواهد ، تأسيسات لعالم عمراني ينعم فيه الناس بالخير العميم ، ويسهمون جميعاً في بنائه وتطويره وإدامته ، في ظلال الايمان الذي لا يشذ بأصحابه عن الطريق ، ويدفعهم ، كما دفع كل الأقوام التي لم تستهد بنور الله ، إلى الطرق المعوجة ، والأساليب الملتوية التي قادتهم في نهاية الأمر إلى البوار.

هذا ما أردت أن أقوله في كل كتاباتي عن الظاهرة العلمية التطبيقية في الحياة الإسلامية ، وليس أبداً كما توّهم أحدهم باتهامي بأني أدعوا كما سماه هو ، إلى (التكنولوجيا القرآنية) ... وشتان ...

وثمة فرق كبير بين الحديث عن التأسيس القرآني للعلم التطبيقي ، إذا أردنا فعلاً أن ننعم بحياة متوازنة آمنة وسعيدة ، وأن نحمي أنفسنا من عدوان المعتدين ، فيما نلحظه في المقاطع القرآنية السابقة ، وبين القول بأن في كتاب الله (تكنولوجيا قرآنية) ... بهذا الأسلوب من المباشرة والفجاجة ...

وعندما تحدثت عن البعد الرابع في التعامل القرآني مع الظاهرة العلمية ، وهو (التطبيق)، أوردت في بداية المقطع الفقرة التالية ذات الدلالة الواضحة فيما نحن بصدده : " في الاتجاه الرابع نطالع في القرآن الكريم دعوة ملحة في أكثر من موضع إلى اعتماد حقائق العلم وكشوفاته لتطوير الحياة وترقية الحضارة البشرية بمزيد من التطبيقات (التقنية) على كافة المستويات. وهو موقف يتميز بالشمولية والديمومة ، إذ هو دعوة للإفادة من الحقائق العلمية (الراهنة) في مدى كل عصر ، لإحداث تطبيقات على مستوى العلاقات (المدنية) لذلك العصر ، ناءاً ما حدث وأن تغيرت الحقائق العلمية ، وتبدلت العلاقات المدنية ، كان بمقدور النداء القرآني أن يمضي لكي يخاطب كل جيل من أجل أن يتحرك لإحداث تطبيقات أخرى على مستوى الحقائق الجديدة ومن خلال العلاقات المتغيرة "[1].

---

(١) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت–١٩٨٣م) ، ص ٢١٧.

وهو الأمر نفسه الذي تم التأكيد عليه في خاتمة كتابي (حول أصول تشكيل العقل المسلم) والتي تحمل عنوان (نحو تكنولوجيا إسلامية) جاء فيها : " ان الدعوة لقيام مجتمع إسلامي (تكنولوجي) وبدء عصر (تكنولوجيا إسلامية) انما هو استمرار طبيعي لموقف الإسلام ، المفتوح من معطيات العلم في آفاقه ، واستكمالاً للدعوة إلى إعادة تشكيل العقل الإسلامي من أجل أن يكون أكثر قدرةً على استيعاب المتغيرات وتطوير الحياة الإسلامية وحمايتها – في الوقت نفسه – من التفكك والعدوان. إن (التكنولوجيا الإسلامية) التي ترتبط – بطبيعة الحال – بخلفيتها الايمانية ، تعد ضرورة ملحة ليس فقط على مستوى الجماعة الإسلامية نفسها ، ولكن على مستوى البشرية عامة ، لأنها ستعرف كيف تتحرك وتنضبط على هدى القيم الدينية والإنسانية القادمة من عند الله ، فتكون حقاً في خدمة (الإنسان) الذي عانى الكثير من تكنولوجيا الكفر والعرقية ، والطبقية ، والأنانية ، والعصيان.

" إن على العقل المسلم الجديد أن يأخذ بتلابيب الطاقة التي كشف عنها النقاب ، والقوانين العلمية التي تحيل الطاقة إلى حركة وفعل وتطبيق وإبداع ... أن يمسك برقبة الزمن فيضيفه إلى المادة لتحقيق اللحاق بمسيرة الخصم ، والسبق عليه ، ما دامت قيم هذا الدين تؤكد بإلحاح على فكرة الزمن ، وعلى أن المؤمن الحق هو الذي يعرف كيف (يسارع) وكيف (يسبق) !!

" وسواءً شئنا أم أبينا ، فنحن – أولاً وأخيراً – مسؤولون عن هزائمنا العقيدية ، وانحطاطنا السياسي ، وتخلفنا الحضاري ، ومرفوضة كل محاولة تسعى إلى اتخاذ ممارسات الأمم والجماعات الأخرى مشجباً لتعليق هذه الهزائم وتبريرها " ولن ينقذنا إلاّ فعلنا الخاص ، ولن يعيدنا إلى موقعنا المتقدم إلاّ تحملنا الكامل لمسؤوليتنا ...

" والمفاتيح اعتدنا ، أولاً وأخيراً ، فان لم نصل اليوم الذي نبني فيه (مختبراتنا) ونشغلها بعقولنا ... ونصنع سلاحنا ونستخدمه بأيدينا ... إن لم نعد تشكيل عقولنا لكي (تعمل) كما أراد لها الإسلام أن تعمل ، فلن تكون لنا خارطة أو مكان في هذا العالم ، ولن يكون بمقدور ألف سنة أخرى من الاتكالية وصور التعبد والذكر القائمة أن تصنع المعجزة ... ذلك هو التحدي الحقيقي الذي يقف قبالتنا صباح مساء وهذا هو طريق الاستجابة المرسوم في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ...هذا هو الجواب "[1].

وهو نفس ما ذهب إليه المفكر المصري المعروف (محمد جلال كشك) (رحمه الله) في كتابه القيم (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية).

---

(١) حول تشكيل العقل المسلم ، ط٣ ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، (الكويت–١٩٨٩م) ، ص ١٤٨–١٥١.

نكون أو لا نكون ... تلك هي القضية ... كما يقول أحد أبطال شكسبير ...

فإما أن نحصّن أنفسنا وندافع عن مقوماتنا باستخراج الحديد ... وكل خامات الأرض ... وتصنيعه لأغراض السلم والحرب ، كما نصت الآية ٢٥ من سورة الحديد ، وإما أن نغدو ، وقد سحبنا أيدينا وعقولنا من فيزياء العالم ، القصعة التي يولم عليها المومولون !! وقد كان ...

إما أن نمضي لاستلهام الخطاب القرآني في كل صغيرة وكبيرة في حياتنا المعاصرة ، وإما أن نغمض أعيننا ونستريح ... ويلاحق بعضنا بعضاً بجملة قيلت هنا، وعبارة وردت هناك ، متغافلين عن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي يقول فيه : (انما الأعمال بالنيات وانما لكل أمرئ ما نوى) ...

فلا حول ولا قوة إلا بالله !!

الفرح الكوني

من أين يبدأ الإنسان وهو يتحدث عن السماء الكبيرة ... عن الفضاء اللانهائي ... عن الفرح الكوني الذي منحه هذا الدين للمنتمين إليه ؟!

من أين يبدأ والبوابات الكبرى مشرعة أمامه ، كل منها يناديه أن يجتازها لكي يجد نفسه إزاء العالم ... والكون ... كما أراد الله لها أن يكونان .. في تركيبهما المدهش ... في طبقاتهما التي يعلو بعضها بعضاً ، وفي انفتاحهما على الحقيقة ، والمعرفة ، والجمال ؟!

من أين يبدأ ... وهذا الدين جاء لكي يحرر الإنسان من كل صنوف الطاغوتيات والحتميات والأسر في المحدود ... ويبعثه حراً طليقاً في مواجهة العالم ... فوق العالم ... قبالة الفضاء الكوني الذي لا تحدّه حدود ؟

لعل البداية الحقيقية تقودنا إلى نقطة الانطلاق التي تشكل هذا الدين وفق مقولاتها المدهشة : الغار ... وهزة الوحي ... ورحلة الإسراء والمعراج ...

إن البعد الروحي هو – بلا شك – أشد الأبعاد ثقلاً وخطراً في حياة الإنسان ، والروايات القليلة التي تحدثنا عن عزلة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، في غار حراء ، بعيداً عن صخب مكة وضجيجها ، حين بعد حين ، وعن انقطاعه إلى الصحراء وحيداً ، متأملاً ، باحثاً ، منقباً ، مقلباً وجهه في رمداء السماوات والأرض ... هذه الروايات تكفي لالتقاط الإشارة الأخيرة للصورة التي علينا أن نعرفها عن حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل مبعثه.

فكما علمه الانشقاق الأخلاقي عن الوضع المكي القدرة على الرفض والتمرّد ، فقد جاء تغرّبه وعزلته وانقطاعه إمداداً نفسياً باتجاه آخر ، لكنه متمم ، وبدونه لا يمكن لإنسان ما أن يمارس دوره الحاسم الكبير ... إنه إمداد باتجاه الاندماج والاتصال ، بمواجهة رفض الجاهلية والتمرد على قياداتها وأعرافها وسلطاتها ... اندماج بالكون على انفساحه ... بالعالم الجديد الذي جاء لكي ينقل البشرية إليه ، بالنواميس التي سيبعث عما قريب كي يجعل الإنسان في كل مكان وزمان يعود إليها ، وينسجم في مسارتها المعجزة ، مغادراً مواضعه المنحرفة ، الخاطئة التي ساقته إليها زعامات جائرة ، وسلطات مستبدة ، وألوهيات زائفة ، وأعراف وبيئات مليئة بالدنس والوحل والخطيئة ، واتصال – عبر البحث والقلق والتقلب الطويل – بالسلطة الواحدة التي تشرف على الكون وتحرك الإنسان والخلائق في ساحاته الكبرى ، غاية في الدقة والاتقان ... اتصال بالمصدر الوحيد للحيوان والأشياء ، بالإرادة التي تنبثق عنها سائر الإرادات وتؤول إليها ... بالله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

إن عزلة رسولنا (صلى الله عليه وسلم) وانقطاعه ، واتساع مساحات هذه العزلة والانقطاع ، عكساً إزاء طغيان الجاهلية ، وطرداً تجاه يوم الوحي ، كانت بمثابة الارهاص الأكبر والأخطر والأخير ، في الوقت نفسه ، إلى أن موعد القطاف قد حان ، وأن هذه الشخصية

التي رتبها عناية الله في مدى أربعين سنة ، قد غدت على استعداد تام للتلقي ، والاتصال المباشر بمبعوث الله ، في آخر حلقة من حلقات تعاليم السماوات للأرض !!

في رمضان من السنة الأربعين من عمره ، خرج محمد (صلى الله عليه وسلم) كعادته إلى غار حراء متأملاً متفكراً مقلباً وجهه في السماوات ... وفي ليلة اثنين من الليالي الأخيرة من الشهر نفسه جاءه جبريل (عليه السلام) بأمر الله (سبحانه وتعالى). ولنستمع إلى رسولنا (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا بنفسه عن تجربة لقائه الأول الحاسم مع مبعوث الله : " فجاءني جبريل بخط من ديباج فيه كتاب فقال : اقرأ. قلت ما أنا بقارئ فعتني به (أي عصرت عصراً شديداً) حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ. فقلت : ما أنا بقارئ ، فعتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ. فقلت ماذا اقرأ ؟ فعتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ. فقلت : ماذا اقرأ. فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (سورة العلق ، (الآيات ١-٥) فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني ، وهببت ... فكأنما كتبت في قلبي كتاباً، فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل !! فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل. فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء قال أنظر في ناحية منها لا رأيته كذلك. فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك. ثم انصرف عني. وانصرفت راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها. فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا إلي. ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت : أبشر يا ابن عم وأثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة "[1].

وقد رأى بعض الصحابة – فيما سيتلو من أيام – رسولهم (صلى الله عليه وسلم) وقد ظهرت وبدت عليه علائم نزول الوحي ، ورأوه وقد نزل عليه الوحي واشتد به ، وقد أجمعوا كلهم على أنه كان يعاني في اثناءه شدة وصعوبة ، يبقى على ذلك ما شاء الله ، فلا يهدأ ولا

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، دار المعارف ، (القاهرة-١٩٥٩م) ، ١/١٠٨-١١٠ ، ابن هشام : تهذيب سيرة ابن هشام ، ط٢ ، المؤسسة العربية الحديثة ، (القاهرة-١٩٦٤م) ، ص ٤٦-٤٧ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، (القاهرة-١٩٦١م-١٩٦٢م ، ٢/٢٩٨-٣٠٢) ، البخاري : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، ط٢ ، دار الارشاد ، (بيروت-١٣٨٦م) ، ١/٥.

يهب عنه الروع إلا بعد انتهاء الوحي ، فيجلس عندئذ وقد تصبب عرقاً ، يجلس ليرتاح ويجفف عرقه ، ثم يتلو على من عنده من أصحابه ما وعاه وما حفظه من الوحي. فإذا خصم عنه كان قد وعى كل ما قاله الملك له وحفظه لا يذهب عنه حرف[١].

انطلقت خديجة (رضي الله عنها) إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان قد تنصّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال ورقة : " قدوس ، قدوس ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت ". فرجعت خديجة وأخبرت محمداً عما قاله ورقة ، فذهب بنفسه إليه ، وطلب ورقة منه أن يعيد حديثه ، فلما تمه قال ورقة : والذي نفسي بيده ، انك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ! ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه منه فقبل يا فوخه. وعاد الرسول إلى منزله[٢].

هذه هي الضربة الأولى التي فتحت بوابات الكون ، والطريق إلى عالم الغيب أمام نبي الإسلام ... ولسوف يلحق به عما قليل ثلة من أصحابه الكرام ، وهم يتلقون عن طريقه خطاب السماوات للأرض ... وكلام الله (سبحانه وتعالى) للمؤمنين الذين سيقدّر لهم أن يشكلوا أمة من الناس أقيم بنيانها على أساس من هذا اللقاء الحميم بين الوحي والوجود ...

ثم ما لبثت الضربة الكبرى الثانية أن جاءت بعد عدة سنين ، لكي تأخذ نبي هذه الأمة في رحلة مدهشة إلى المسجد الأقصى ، ثم ما تلبث أن تعرج به إلى السماء ...

ولقد كان هذا الحدث الكبير يحمل – منذ لحظاته الأولى – مغزاه الواضح على التوجه الكوني لهذا الدين ... رفض الأسر في حيّز العالم الضيق والانحسار في فضائه القريب ... والانطلاق بعيداً في المدى حيث تتساقط الحواجز وتذوب الفواصل ولا تكون الأمكنة والأزمنة التي قطعتها المذاهب والأديان سوى مكاناً واحداً وزماناً موصولاً أريد لهذا الدين أن يضع الإنسان في ساحته الكبرى ، ويدفع به في مجراه الذي يصل بين الأبدية والخلود.

لقد قالها الفاتحون الذين خرجوا لممارسة مهمتهم التحريرية في العالم : " جئنا لكي نخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ... ".

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، (القاهرة–١٩٣٢م) ، ٣/٢١–٢٢ ، جواد علي : تاريخ العرب في الإسلام (السيرة النبوية) ، مطبعة الزعيم ، (بغداد–١٩٦١م) ، ص ١٣٤–١٣٥ ، محمد عزة مدة سيرة الرسول : صور مقتبسة من القرآن الكريم ، ط٢ ، مطبعة عيسى البابي ، (القاهرة–١٩٦٥م) ، ١/١٢١–١٤٦.

(٢) ابن هشام ، ص ٤٨ ، الطبري : ٢/٢٩٨–٣٠٢ ، البلاذري : ١/١١١ ، البخاري : تجريد ١/٦.

إن انفكاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الارتباط بالأرض ومضيه صعداً صوب الأعالي ، لهو واحد من المؤثرات التي ستتأكد تاريخياً فيما بعد. فلم تكن مهمة المسلم في العالم ، ولن تكون سوى المضيّ بالإنسان صعداً ، وتحريره من كل ما من شأنه أن يصدّه عن أن يكون في حالة تقابل فعاّل مع السماوات !!

إن المذاهب الوضعية تضع الإنسان حيناً في دائرة الحسّ ، وحيناً في رغبات الجسد ، وحيناً في مطالب الجغرافيا أو البيئة أو الطبقة ... ولكن ها هنا ، في دائرة الفعل الإسلامي ، فان الإنسان يراد له أن يتحرر ، يطلب منه أن يتحرر من هذا كلّه ، وذلك بحدّ ذاته كسب لا يعدله كسب : لأننا ها هنا سنكون بإزاء الإنسان الكوني الذي يكون كفاء مهمته في العالم وخلافته في الأرض.

إن الوضعيات البشرية والكهنوتيات المحرّفة للأديان ، مزقت الإنسان وأقامت بين أشلائه وتفاريقه الحواجز والأسلاك الشائكة ، وكان مردود ذلك، وسيظل ، مزيداً من التعاسة والتمزق والشقاء ... أما هنا ، حيث يكون حدث الإسراء والمعراج الكبير ، تأكيداً للتوحد البشري بين الروح والجسد ، فان الوئام النفسي يبلغ مداه في دين أريد له أن يحي وحدة ابن آدم من التشتت والتبعثر ، وأن يدفع بها في قلب العالم أكثر توحداً وسعادةً وائتماناً ... وأكثر ، بالتالي ، قدرة على الفاعلية والعطاء ...

إن أحدث النظريات في مجالي التشريح والفيزياء الذرية ، على وجه الخصوص ، فضلاً عن فلسفات العالم في أكثر عروضها جدة وحداثة ، تؤكد أكثر فأكثر ، انفتاح المنظور على الغيب ، الظاهر على الباطن ، وتشير أكثر فأكثر ، إلى لقاء محتوم ، تحقق أو هو في طريقه إلى التحقق ، بين الروحي والمادي. ويكفي أن نقرأ ما كتبه علماء كبار كاينشتاين وحينز وكاريل وسوليفان وأغروس وستانسيو واريك فروم ، لكي يتبين لنا هذا ، بل ما هو أكثر من هذا : ان مكونات الذرات الخفية التي لا تراها العيون ، تملك قدراً من الوعي الحرّ الذي يدفعها إلى التسبيح للخلاق الذي فطرها ، بلسان الحال أو لسان المقال ... (سبحانه وتعالى) ..

وإن هذا الكون في صفحته الظاهرة ليس سوى تعبير مؤكد على عقل مركزي فعال هو الذي يصّمم ويصنع ويخلق ، ويحيل الكتل الصماء إلى تصاميم صالحة لاستقبال الحياة ، قديرة على إعانة الإنسان على مواصلة سعيه الهادف في هذا العالم.

أفلا يكون إسراء رسولنا (عليه السلام) ومعراجه إلى السماء ، مباركة وتزكية لهذا اللقاء الذي سيقدّر له أن ينكشف بعد قرون من تحققه كحدث معجز يصعب تبيّن أبعاده للوهلة الأولى ؟!

إن رحلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانت بمثابة اكتشاف كوني للسنن والنواميس الإلهية التي تصنع الأشياء وتسيّر الموجودات وتسوق العالم إلى مصائره وفق أشد الطرق استعصاء على التعامل المسطح ذي المنظور الأحادي ، والنزعة المستسلمة التي لا تبحث ولا تنقّب ولا تسعى إلى الكشف عن السرّ المكنون.

إن الفعل الحضاري هو في أساسه ممارسة اكتشافية ، وأنه لا حضارة بدون عقل توّاق للبحث والاكتشاف والتنقيب ... بل ، وأقولها متردداً ، بدون مجازفة أو مغامرة كونية ... فان الحضارات تضعها فضلاً عن الكشوف ، المغامرات الكبيرة التي لابدّ أن يضحى من أجلها بالدقة والأمان !

لقد صنع المسلمون ، فيما بعد ، حضارتهم المتفوقة بكل المقاييس ... ولكن اللبنة الأولى ... حجر الزاوية ، يتحتم أن تبحث عنها هناك في كتاب الله وسنة رسوله ، وفيما يحدثنا عنه كتاب الله وسنة رسوله من رحلة كهذه الرحلة التي أتيح للرسول (عليه السلام) أن يكتشف بها المجاهيل.

إنني لأتذكرها ، ملزماً نفسي بالإيجاز ، واحدة فحسب من هذه الاكتشافات ، حيث يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو يتحدث عن سدرة المنتهى " لقد غشيتني ألوان لا أدري ما هي " ... وأتذكر معها ما يقول العالم الأمريكي المعاصر (كريسي موريسون) من أن أجهزتنا الحسية ، ها هنا في هذا العالم ، مهيأة فقط للتعامل مع مقادير محدودة من المرئيات ، أما هناك ، فانها تمنح بقوة الروح الخالدة مساحة أوسع للاستقبال ، فتكون الألوان التي لم يدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف يصفها لأصحابه ، لأنه لم يجد اللغة التي تنقلها إليهم.

إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصادق الأمين ، الذي رفضته قوى الشر في كل شيء وعلى كل مسار إلا في هذه : صدقه المطلق : إنه ينقل ، في أعقاب رحلته المتفردة هذه حدثاً ليس كالأحداث. وكما أن على المرء أن يكون قبالة الله مؤمناً أو كافراً ، إذ ليس ثمة من موقف وسط ، فاننا ها هنا إزاء هذا الصوت الكوني العائد من الرحلة الكبرى يتحتم أن نكون مؤمنين بصدقه ، وإلا فاننا ، وحاشا لله ، لن نظل لحظة واحدة في دائرة الايمان.

لقد سمي الصديق أبو بكر (رضي الله عنه) (صديقاً) لأنه كان أول من أدرك المغزى الأخلاقي العميق للخبر العجيب ، وكان تعليقه الذي عبّر بدقة بالغة عن هذا البعد ، قوله المعروف : اننا كنا نسلّم بخبر السماء ، يأتيه عن طريق الوحي ، أفلا نصدّق بخبر هذه الرحلة التي هي جزئية فحسب من جزئيات الخبر المدهش الكبير ؟!

ومع الصدق المطلق ، ثمة ما يحمل قيمته التي لا تقل أهمية في دائرة الأخلاق ... إنها البطولة !!

البطولة الفذة الطموحة التي أريد لها أن تتجاوز تحديات العالم صوب الكون ، وأن تسعى لتغيير التاريخ وإعادة تصميم الحياة بما يجعلها أكثر سعة وتحرراً وتوحداً وامتداداً.

وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد تلقى ، لحظة اسرائه ، تذكرة عبور للعالم وصعود للسماوات العليا ، فيما منحه الفرح والسعادة بمواجهة ، أو فوق ، كل الأحزان والمرارات التي حاصرته وعذبته طويلاً ... فانها ستظل التذكرة نفسها التي ستعبر بالبشرية كلها ، تخوم العالم الضيق إلى الكون ، وتمنح الإنسان في كل زمن ومكان ، الفرح والسعادة التي تعلو به على الأحزان والمرارات ، وتفكه من أصفاد الحصار والعذاب ... وما أكثرها وأمرّها !!

بعد هذا يجد الإنسان المسلم نفسه مطالباً ، من أجل التحقق بالسقف العالي لإيمانه ، بأن يمارس الرحيل اليومي عبر اتجاهاته الأربعة : رحلة يومية مع الماضي ... مع التاريخ الكوني والبشري من أجل اغناء حياته بالمزيد من التجارب والخبرات ... ورحلة يومية صوب المستقبل البعيد ... باتجاه الأبدية ... حيث الاطمئنان والتوحد والأمل ... وحيث يصير الموت مجرد نقلة للعبور ، فيما يفسر لنا ذلك التأثير العجيب في تعامل الفاتحين مع الموت ، وقدرتهم المدهشة على تغيير خرائط العالم ... ورحلة يومية في المكان ... في الطبيعة والعالم والكون .. الغبطة والفرح والامتداد والألفة الميتافيزيقية مع الوجود ... وهو يتذكر انحناءه الرسول المعلم (عليه أفضل الصلاة والسلام) على شجرة ورد ومخاطبته إياها : (ليتني شجرة تعضّد) ، ووقوفه المؤثر أمام جبل أحد ومخاطبته إياه : (أحد جبل يحبنا ونحبه) !! ورحلة يومية ذات طابع عمقي في الروح والوجدان لتعميق الخبرة ، واستجاشة الطاقة البشرية ما وراء الحسية ، واغناء الحياة ... منها الملح والطعم واللون والرائحة !!

فأي دين عقيدة أو مذهب ، غير هذا الدين ، فتح على الإنسان هذه البوابات الكبرى الأربع لكي يتحقق بوجوده كإنسان ؟!

باختصار شديد ، لقد أراد الإسلام أن ينشئ ، ويبني ، إنساناً كونياً بمعنى الكلمة ... يتجاوز الأرض إلى السماء ، وضيق الدنيا إلى سعتها ، وعبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، والحس والغريزة إلى العقل والروح ، والإقليم والعرق والطبقة والجغرافيا والون ، إلى فضاء الإنسانية الرحب ... وشد الأرض إلى التحرر منها ، والارتباط بالقريب الملاصق إلى الآفاق البعيدة ... والأسر في الزمن الأرضي إلى الزمان الكوني بمعاييره الكبرى ... والفناء والتآكل إلى الاستمرارية والخلود ... والفوضوية والعدمية والعبثية إلى النظام والأمل والجدوى ... والحران على نقطة محددة في الزمن إلى التاريخ على تشعبه وامتداده ...

اننا هنا بصدد وحدة تاريخ الرسالات حيث يمثل الإسلام مظلة حب ولقاء للك الأنبياء (عليهم السلام) ... وهكذا فان الاعتزاز بكل نبوة ، وبمعطياتها الأصيلة ، واعتبارها رصيداً

إسلامياً ، يمنح الإنسان فرحاً وانتماءً من نوع خاص ... وهذا بعد ممتد في الزمن والمكان ... مستشرف آفاق الكون والحياة والوجود ، سيما وأن دعواتهم جميعاً تتمحور عند كلمة الله ، وتوحيده المطلق ، والانتماء الصادق للكون والروح والخلود : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ١٣٦) ، ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٨٥) ، ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (سورة آل عمران ، (الآية ٨٤) ، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (سورة النساء ، (الآية ١٥٢).

إن التوحيد الذي بلغ صيغته المثلى في هذا الدين ، ليمثل منطلقاً للحقيقة الكونية التي تهد بكل تفاصيلها بـ **(لا إله إلا الله)** ... وتحرّر الإنسان من الصنميات والطاغوتيات وكل صنوف القسر والابتزاز ، وتعينه على بناء عالم جميل ، متناسق ، سعيد ، خال من المخاوف والأحزان ... إنه التحرّر من ضغوط الكتلة ، واطلاق فاعلية الحواس في التعامل مع العالم والطبيعة والكون ... والتأكيد على " الجمالية " وانعكاساتها في المعطيات الأدبية والفنية ... وتسخير السماء والطبيعة لسعادة الإنسان ... والدعوة الملحة للتفكر في خلق السماوات والأرض ، والتأكيد على حقيقة البعث المتجدد ، واعتبار الحياة مرحلة فحسب في رحلة طويلة ممتدة ... والتعامل مع الموت ، كنقلة إلى حالة أفضل وأكثر دواماً ... إلى الأبدية والخلود ... ومنح الروح أفراحها المتوهجة الدائمة في الدنيا والآخرة ... وتجاوز الهم والحزن ... الارتفاع على المخاوف والأفراح المنصرمة العابرة ... البحث عن الفرح الأكثر عمقاً وامتداداً ودواماً ... اعتبار الروح هي القيمة الأكثر فاعلية وثقلاً في الكينونة البشرية ... الامتداد في الزمان ... في التاريخ ... في العمق الزمني للكون ... حيث وحدة النبوات والجماعات المؤمنة ... الامتداد في المستقبل على الأرض وفي اليوم الآخر ... الامتداد في المكان ... في العالم ... في الطبيعة ... في السماء القريبة ... في الكون البعيد ... في الجنة التي عرضها كعرض

السماوات والأرض ... التحقق بالثواب الكبير وبما ينطوي عليه من دلالات الفرح الذي لا تستوعبه مفردات القواميس : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۞ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآيات ٧٣-٧٥) ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۞ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، (الآيات ١٠١-١٠٣). وصولاً إلى حالة الفرح القمة حيث النظر إلى الله (جلّ في علاه) : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (سورة القيامة ، (الآيتان ٢٢-٢٣).

إننا كمسلمين نتفوق على الآخرين بايماننا اليقيني الثابت بأن هذا الكون يقوم على طبقتين وليس طبقة واحدة كما يرى الملاحدة والعلمانيون : الشهادة والغيب ... الظاهر والباطن ... المنظور والمغيب ... بل ان الغيب هو الذي يمثل المساحة الأوسع من الوجود الكوني ، حيث تبدو الظاهرة ككتلة الجليد المغيبة في مياه البحار والمحيطات والتي لا يظهر منها سوى العشر وتبقى الأعشار الأخرى مغيبة تحت الماء.

إن إيماننا بالغيب يمنح حياتنا البشرية خصباً وامتداداً ... فضلاً عما ينطوي عليه من صدق وواقعية في التعامل مع بنية تشمل في حقيقتها الطبقتين معاً ، فتتجاوز بذلك ، ليس التضحل فحسب ، وانما الكذب والخطأ والتخبط ... وطالما عجز الإنسان عن الإحاطة علماً بالطبقة الثابتة هذه ، فجاءت الأديان لكي تلقي الضوء على أبعادها الحقيقية ، وتمنحنا المقدار ، والنسبة الذهبية ، المعطاة من عالم الغيب للتعامل الأمثل مع العالم ، وفق مطالب الاستخلاف والتسخير والاستعمار (بدلالته اللغوية لا الاصطلاحية) : ﴿ ... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴾ (سورة هود ، (الآية ٦١). ها هنا يكمن الفارق الحاسم " حضارياً " بين الإسلام والمبادئ الوضعة والأديان المحرفة.

إن هذا الدين فرصة ذهبية ... كنز يعد بألف عطاء وعطاء ... وان علينا أن نعيش التجربة عمقاً وطولاً وعرضاً ... أن نفرح بها ذلك الفرح الكوني الكبير الذي تحدثت عنه كلمات الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (سورة يونس ، (الآيتان ٥٧-٥٨).

الفرح الذي يوازي حجم هذه العقيدة ، والذي يأخذ الإنسان المسلم إلى واحدة من أروع الرحلات عبر مسالك الحياة لكي ينتهي به عند الخلود.

الفرح الذي تبدو ازاءه كل أفراح البشرية ، العابرة ، السريعة ، المنصرمة ، بقعاً منحسرة في الزمن والمكان ، لا تخلف سوى الحزن والتعاسة والندم والشقاء : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد ، (الآيتان ٢٢-٢٣) ، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ۞ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (سورة غافر ، (الآيات ٧٣-٧٥) ، ﴿ . . . وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ (سورة الرعد ، (الآية ٢٦).

إن هذا الدين يريدنا أن نتجاوز الزائل إلى الدائم ، والفاني إلى الخالد ، والنسبي إلى المطلق ، والمنحسر إلى اللامحدود ... إنه يريد أن يخرجنا من أسر المتغيرات والنسبيات والتناقضات ، ومن دوامات الاصطراع بين الأفراح والأحزان ... إلى حالة من الفرح الكبير الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يزول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (سورة فصلت ، (الآيات ٣٠-٣٢).

إنه الخروج الكبير الذي تحدث عنه الفاتحون وهم ينطلقون إلى العالم لإعادة صياغته من جديد ... " الله ابتعثنا لكي نخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل

الإسلام ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده " والذي أطلق عليه كتاب الله : الخروج من الظلمات إلى النور : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ . . . ﴾ (سورة البقرة ، (الآية ٢٥٧) ، ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ (سورة إبراهيم ، (الآية ١) ، ﴿ . . . لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ﴾ (سورة الطلاق ، (الآية ١١) ... كسر لقشرة العالم الصلبة ... وتجاوز الانحسار في الأرض ، والتخبط في الحفر الضيقة والطرق المعوجة ... إذ أنه للالتصاق بنداءات الحس حيث تصير الحياة البشرية كحياة العجماوات والأنعام : تأكل وتتزاوج وتنام !!

في السعي لتشكيل الحياة الإسلامية الحقة ، نجد كيف أن الإسلام يقدم تأسيسات أو شروط عمل لوضع المسلم في صميم الفاعلية الحضارية ، وكيف أننا كمسلمين لا نقل امتلاكاً للشروط عن أشد الحضارات المادية فاعلية في العالم ... لكن ها لا يعدو أن يكون واحداً من صيغ تشكيل الحياة الإسلامية ، بل هو مجرد وسيلة لهدف أعلى وأكثر انفساحاً إنه العبادة بمفهومها الكوني الشامل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (سورة الذاريات ، (الآيات ٥٦-٥٧).

هذا يتمخض عن انفساح الأفق أمام الإنسان المسلم في العمق والطول والعرض ... تجاوز الراهن إلى الخلود ... الرحيل في المكان إلى حافات الدنيا ... باختصار انها وضع الإنسان في حالة كونية مفتوحة ، هي نقيض الدنيا الضيقة التي قال الفاتحون أنهم جاءوا لكي يحرروا الناس منها ... يخرجوهم من أسرها.

إن الإسلام يعني التسليم لأمر الله ، ووضع الإنسان في حالة وفاق مع الخلق في سياقاته كافة : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة الزمر ، (الآيتان ٦٢-٦٣).

والآن فاننا إذا جزأنا تجربة الحياة وتعاملنا مع كل جانب منها على انفراد – وهذا مستحيل – فان الإسلام يوازي في كل واحدة من هذه الجزئيات سائر التجارب الأحادية ويتفوق عليها ، تماماً كما يحدث في بطولات الساحة والميدان : العقل في أقصى حدود الاحتمال ... الروح في أشدّ حالاتها توتراً ... الجسد في أقصى حالات توازنه وإشباعه.

وإذا تعاملت مع تجربة الحياة كوحدة متكاملة ، فليس ثمة كالإسلام في قدرته على احتواء الخير ، في شموليتها وتفاصيلها ، والتعامل معها وفق أكثر الصيغ توافقاً وانسجاماً مع حيثيات الحياة ... ونتذكرها هنا معضلة التفريق في المذاهب والحضارات الأخرى بين العقل والروح والجسد ... وربما خطأ المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي) في تصنيفه للحضارات.

وإذا أحلنا التجارب الأخرى الدينية المحرفة والوضعية على الإسلام نجد كلاً منها قد قطعت خطوات في قناة أو ممر واحد ، بينما مضى الإسلام لكي يقطع الطريق عبر شبكة القنوات والممرات جميعاً فيحقق التفوق في كل منها.

إن المساحة التي يمنحها الإسلام لحركة الإنسان في العالم لهي أكثر عمقاً واتساعاً – بما لا يقبل نقاشاً – من أية مساحة – منحتها أية عقيدة أو دين أو فكرة ... اننا – بذلك نتعامل مع أخصب وأعمق فرصة منحت للإنسان في تاريخ البشرية.

إننا إذا جئنا لاستقصاء مفردات الفرح بكل دلالاته ، في كتاب الله ، فلسوف نجد أنفسنا إزاء منظومة خصبة لم تبلغ الأديان المحرفة ولا المذاهب والنظريات الوضعية عشر معشارها ... وإليكم بعض شواهدها (الانشراح ٤ مرات) (الأمل مرتان) (الأمن ٢٠ مرة) (الرحمة ٣٣٤) (الرغد ٣ مرات) (الزينة ٤٦ مرة) (السكينة ٣٥ مرة) (القسط ٢٧ مرة) (القصد ٥ مرات) (الاستقامة ٣٧ مرة) (النعيم ٩٠ مرة) (الحب ٨٤ مرة) (الحبور مرتان) (الشفاء ٨ مرات) (إسلام ٥٥ مرة) (الاطمئنان ١٣ مرة) (الغفران ٢٣٥ مرة) (الفلاح ١٤٠ مرة) (الفوز ٢٧ مرة) (النور ٥٠ مرة) (الهدى ٣٢٥ مرة) (اليسر ٤٠ مرة).

في ضوء ذلك كله تبدو المجتمعات الإسلامية على مدار التاريخ ، ورغم ما عانته من انكسارات سياسية ، وهجمات شرسة ، واستعمارات ، أقل المجتمعات تعرضاً لحالات الاكتئاب ، واليأس ، والغم ، والإحباط ، والشذوذ ... والبحث عن الطرق المعوجة للتحقق بالفرح والانشراح : كالخمر والمخدرات والشذوذ والجرائم المنظمة ، وصولاً إلى المغيبات ... والانتحار.

وأمامي الآن إحصائيات نشرتا على الفضائيات في عامي (٢٠١٠ و ٢٠١١م) إحداهما تقول أن عشرة بالمائة من الأمريكيين يعانون من حالات الاكتئاب المركز الذي يقود بعضهم إلى الانتحار. والأخرى تقول بأن الحكومة اليابانية خصصت مبلغ ثلاثين مليار دولار لملاحقة وتحجيم حالات الاكتئاب والانتحار هناك ... أما ما تشهده الساحة الاسكندنافية ، حيث تبلغ الحضارة المادية قمتها في التكنولوجيا والخدمات والتقدم العلمي ، فأمر يعرفه الجميع عن نسبة الانتحار المتزايدة التي يمارسها الاسكندنافيون.

هذا ما يجري صباح مساء في أرقى دول العالم مدنية وتقدماً ... الأمر الذي دعا كبار فلاسفة القوم هناك ، ومفكريهم وأدبائهم وإعلاميهم وساستهم ... إلى رفع أصبع التحذير من المصير المفجع الذي تقود إليه حضارة رفضت – ابتداء – الايمان بالله والغيب واليوم الآخر ... وقتلت إنسانية الإنسان ... واغتالت أنبل ما يملكه مما يعينه على مواصلة الحياة : منظومة القيم الخلقية والدينية والإنسانية.

وها هو ذا هيرمان هيسة وجون شتاينيك وكونستانتان جيورو جيو وآرت كوستلر وسترايتشي وكولن ولون وأرنولد توينبي واشبنغلر وبرناردشو وبيرتراند رسل وروجيه غارودي ومراد هوكمان ومارسيل بوازار وأريك فروم وأغروس وستانسيو ... وغيرهم كثيرون ... وكثيرون جداً ، يحكون لنا في أعمالهم عن المأساة التي تحيق بإنسانية الإنسان في ديار الغرب ، والتي امتدت نارها إلى العالم كلّه لأن قيادتها أضحت منذ زمن بعيد بأيدي فاجرة ، كافرة ، لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، وتسعى في الأرض علواً وإفساداً ...

ليس هذا فحسب ، بل ان كل المنظومات الفكرية والعقائد الوضعية راحت تتساقط الواحدة تلو الأخرى ، بعد إذ عجزت عن منح الإنسان (الفرح) الذي به وحده يمكن أن يواصل الحياة ، ويستشعر طعمها العذب ويأمل بالفوز الكبير على ما بذله من جهد وما قدمه من تضحيات.

القوميات الشوفينية العدوانية ... نظرية تفوق الرجل البيض ... الوجودية ... الشيوعية ... الاشتراكيات الطوباوية ... ثم الرأسمالية التي تعاني الآن من اختناقات مدمرة ... والأديان المحرفة التي أخذت فضائح كبار رجالاتها تزكم الأنوف.

وها هو ذا (أريك فروم) في كتابه الشهير (الإنسان بين الجوهر والمظهر) يؤكد حقيقة أن الحضارة الغربية المعاصرة ، بتشبثها بمبدأ التكاثر بالأشياء ، وعبادة القوة ، والصنمية العلمية ... أغفلت جوهر الإنسان ... أي روحه ، وطمست عليه فقادته إلى التعاسة والشقاء ...

إن مستقبل العالم ، بوضعه الراهن هذا ، مظلم ومعتم ... وان المصير البشري إذا لم يمنح الأمل بالفرح الكوني ... بالايمان بالخالق (جلّ في علاه) ... وبحياة أبدية أخرى غير هذه الحياة السريعة المنصرمة التافهة ... فانه سيضيّق الخناق أكثر فأكثر على الإنسان ... ولابدّ – إذن – من فتح الطريق للصورة إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، والتي لا تجد ذاتها وتحققها إلا بالاستجابة لنداءات الفرح الكوني ، والأمل بالمصير الذي يعد به هذا الدين.

إن الإسلام، في سعيه لفك الإنسان من أسر الضرورات ... في منحه القدرة على تجاوز الخوف والحزن والألم ... في الارتفاع به عن ثقله الأرض وكثافة الطين ... يغدو خفيفاً رشيقاً ... وأكثر استعداداً لتلقي إضاءات الكون ونداءاته الآسرة ، وفرحه الدائم الذي لا يتغير ولا يتبدل ... أبداً ...

ليست نيرفاناً هندية ... ليست سكوناً مطلقاً وتجاوزاً للاندفاع في المجرى المضطرب للأشكال ... ليست تطهراً روحياً يقود إلى الكتب والاندفاع المضاد باتجاه أبشع أنواع الملذات الحرام كالذي تشهده ساحات الفاتيكان ... ولكنها حالة فريدة من الانشقاق عن العالم ، وتجاوز جاذبيته ... ولكنها في الوقت ذاته اندماج إيجابي في الكون والعالم ... واستجابته لأشواق الإنسان وحاجاته الأساسية ... والتحامه بالطبيعة والجمال والوجود.

إنه البديل الوحيد ، ولا بديل غيره ... وان المفكر الفرنسي روجيه غارودي يمنحنا الجواب القاطع في كتابه المعروف (وعود الإسلام) : " ماذا يعد به الإسلام ليكون جوابا على أزمنة الحضارة الغربية المعاصرة ؟! إن المشكلة كونية ولابدّ للجواب إلاّ أن يكون كونياً ... والإسلام هو هذا الجواب " !!

إن بين أيدينا نحن المسلمين الرسالة المعجزة التي بعث بها الينا خالق السماوات والأرض جلّ في علاه ، وتكفل بحفظها من أي تبديل أو تحوير ... وهي الرسالة التي يتحتم علينا أن نضعها في عقولنا وقلوبنا وأرواحنا ... أن نقرأها جيداً صباح مساء ... وأن نتحقق بكل حرف أو كلمة أو آية أو مقطع ، أو سورة من سورها وآياتها البينات ...

وحينذاك ... حين يصبح كل واحد منا قرآناً يمشي على الأرض ، كما حدث زمن جيل الصحابة الكبار (رضوان الله عليهم) حينذاك يمكن أن نتقدم للعالم الغارق في ماديته ، وشهواته ، وتكاثره بالأشياء ... بما يخرجه عن النقرة الضيقة التي وضع نفسه فيها إلى سماوات الحرية ... والفرح ... والرؤية الكونية التي يلتقي فيها كما يحدثنا كتاب الله : الوحي والوجود ، والايمان والعقل ، والظاهر والباطن ، والحضور والغياب ، المادة والروح ، والقدر والاختيار ، والضرورة والجمال ، والطبيعة وما وراءها ، والتراب والحركة ، والمنفعة والقيمة ، والفردية والجماعية ، والعدل والحرية ، واليقين والتجريبي والوحدة والتنوع ، والإشباع والتزهد ، والمتعة والانضباط ، والثبات والتطور ، والدنيا والآخرة ، والأرض والسماء.

وقبل هذا كله ، ومعه ، وبعده ، تلتقي سني العمر المحدودة بالأبدية الخلود ، ويتلقى الجهد البشري جزاءه العادل هناك ، فيما يحدثنا عنه كتاب الله في مساحات واسعة من سوره ومقاطعه وآياته البينات ...

النعيم الدائم الذي لا يتفكك أو يزول والذي يمنح الإنسان الأمل ... يمنحه الفرح العميق بجدوى الحياة الدنيا التي يعرف هذا الدين كيف يربطها بالعمق الكوني ... فيعطيها طعمها العذاب ... واحساسها العميق بالسعادة ، والتوحد والاطمئنان والفرح ...

بسم الله الرحمن الرحيم

موجز بالسيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل

- ولد في الموصل – العراق عام (١٩٤١م).
- حصل على البكالوريوس (الليسانس) في الآداب بدرجة الشرف من قسم التاريخ بكلية التربية / جامعة بغداد عام (١٩٦٢م) ، والماجستير في التاريخ الإسلامي بدرجة جيد جداً من معهد الدراسات العليا بكلية الآداب / جامعة بغداد عام (١٩٦٥م) ، عن رسالته الموسومة بـ (عماد الدين زنكي : ٤٨٧-٥٤١ هـ/١٠٩٤-١١٤٦م) ، والدكتوراه في التاريخ الإسلامي بدرجة الشرف الأولى من كلية آداب جامعة عين شمس في القاهرة عام (١٩٦٨م) ، عن أطروحته الموسومة (الامارات الارتقية في الجزيرة الفراتية والشام: ٤٦٥-٨١٣هـ/١٠٧٢-١٤١٠م).
- عمل مشرفاً على المكتبة المركزية لجامعة الموصل عام (١٩٦٨م).
- عمل معيداً ، فمدّرساً ، فأستاذاً مساعداً ، في كلية آداب جامعة الموصل للأعوام (١٩٦٧-١٩٧٧م).
- عمل باحثاً علمياً ، ومديراً لقسم التراث ، ومديراً لمكتبة المتحف الحضاري ، في المؤسسة العامة للآثار والتراث – المديرية العامة لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية في الموصل للأعوام (١٩٧٧-١٩٨٧م).
- حصل على الأستاذية عام (١٩٨٩م) ، وعمل أستاذاً للتاريخ الإسلامي ومناهج البحث وفلسفة التاريخ في كلية آداب جامعة صلاح الدين في أربيل للأعوام (١٩٨٧-١٩٩٢م)، ثم في كلية تربية جامعة الموصل (١٩٩٢-٢٠٠٠م) ، فكلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ، بالإمارات العربية المتحدة (٢٠٠٠-٢٠٠٢م) ، فجامعة الزرقاء الأهلية ، الأردن ، عام (٢٠٠٣م) ، فكلية آداب جامعة الموصل (٢٠٠٣-٢٠٠٥م) التي أعارت خدماته لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك-الأردن ، لفصلين دراسيين عاد بعدهما للعمل في كلية آداب جامعة الموصل حتى إحالته على التقاعد عام (٢٠٠٩م) لكي يعيّن بعدها أستاذاً متمرساً في الكلية ذاتها. هذا إلى تعيينه أستاذاً محاضراً في قسم الدراسات العليا لكلية الإمام الأعظم في الموصل حيث لا يزال.

- **شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية من بينها :**

(١) المؤتمر الأول للتعليم الجامعي – بغداد – العراق – ١٩٧١م.

(٢) المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية – الدوحة – قطر – ١٩٧٩م.

(٣) المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) – عمان – الأردن – ١٩٨٠م.

(٤) الندوة العالمية الثالثة للآثار والتراث – بغداد – العراق – ١٩٨١م.

(٥) ندوة حوار حول الأدب الإسلامي – المدينة المنورة – السعودية – ١٩٨٢م.

(٦) ندوة كتابة تاريخ الأمة الإسلامية – الزقازيق – مصر – ١٩٨٩م.

(٧) ندوة المنهاجية وإسلامية المعرفة – أكسفورد – المملكة المتحدة – ١٩٩٠م.

(٨) الأسبوع الثقافي للمعهد العالمي وجمعية الدراسات والبحوث الإسلامية – عمان – الأردن – ١٩٩٢م.

(٩) المؤتمر العالمي الثاني حول سعيد النورسي وتجديد الفكر الإسلامي – إسطنبول – تركيا – ١٩٩٣م.

(١٠) ندوة مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر – فاس – المغرب – ١٩٩٣م.

(١١) المؤتمر العالمي الثالث حول فكر سعيد النورسي – إسطنبول – تركيا – ١٩٩٥م.

(١٢) المؤتمر الثاني لجامعة الزرقاء الأهلية حول الأدب الإسلامي : الواقع والطموح – عمان – الأردن – ١٩٩٩م.

(١٣) الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي – أغادير – المغرب – ٢٠٠١م.

(١٤) الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي – فاس – المغرب – ٢٠٠٤م.

(١٥) مؤتمر (العولمة) – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان – الأردن – ٢٠٠٤م.

(١٦) مؤتمر حول (ابن خلدون) المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان – الأردن – ٢٠٠٧م.

(١٧) المؤتمر العالمي الثامن حول فكر سعيد النورسي – إسطنبول – تركيا – ٢٠٠٧م.

(١٨) الحلقة الدراسية في الفلسفة في الفكر الإسلامي : قراءة منهجية ومعرفية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان – الأردن – ٢٠٠٨م.

(١٩) ندوة أسواق الموصل – كلية الآداب – جامعة الموصل – ٢٠٠٨م.

(٢٠) ندوة مورفولوجيا مدينة الموصل التراثية : مقترحات تطويرية – مركز دراسات الموصل – جامعة الموصل – ٢٠٠٨م.

(٢١) المؤتمر العلمي السادس – كلية الآداب – جامعة الموصل – ٢٠٠٩م.
(٢٢) ندوة المناهج الجامعية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – بيروت – لبنان – ٢٠١٠م.
(٢٣) ندوة (تاريخ العلاقات التركية العراقية والآفاق المستقبلية) – إسطنبول – تركيا – ٢٠١٠م.
(٢٤) مؤتمر التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الاسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – تلمسان – الجزائر – ٢٠١٠م.
(٢٥) المؤتمر القرآني الثالث لجمعية المحافظة على القرآن الكريم – عمان – الأردن – ٢٠١٠م.
(٢٦) المؤتمر العالمي التاسع حول فكر سعيد النورسي – إسطنبول – تركيا – ٢٠١٠م.
(٢٧) ندوة كلية الالهيات – جامعة إسطنبول – حول الفكر الإسلامي – إسطنبول – تركيا – ٢٠١١م.
(٢٨) المؤتمر العالمي العاشر حول فكر سعيد النورسي – إسطنبول – تركيا – ٢٠١٣م.
(٢٩) المؤتمر الأوّل للدولة الإسلامية – مؤسسة نصر للدراسات والبحوث – إسطنبول – تركيا – ٢٠١٣م.
(٣٠) الندوة العلمية السادسة والأربعين لمركز دراسات الموصل – جامعة الموصل حول (شارع النجفي : ثقافات وأجيال) – الموصل – ٢٠١٣م.
(٣١) المؤتمر الثاني للدولة المعاصرة في ظل مقاصد الشريعة – مؤسسة نصر للدراسات والبحوث – إسطنبول – تركيا – ٢٠١٤م.

- **شارك في إنجاز عدد من الأعمال العلمية لبعض المؤسسات ومنها :**

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس.
(٢) مركز الدراسات الإسلامية – أكسفورد.
(٣) المعهد العالمي للفكر الإسلامي – فيرجينيا.
(٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض.

- **حاضر في عدد من الجامعات والمؤسسات العربية والإسلامية والعالمية ومنها :**

(١) جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.
(٢) جامعة العين – الإمارات العربية المتحدة.
(٣) مركز الدراسات الإسلامية – أكسفورد.
(٤) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – أم درمان.
(٥) جامعة أم درمان – أم درمان.
(٦) الجامعة الأردنية – عمان.
(٧) جامعة صنعاء – صنعاء.
(٨) جامعة العلوم والتكنولوجيا – صنعاء.
(٩) جامعة الزرقاء الأهلية – عمان.
(١٠) جامعة جرش الأهلية – عمان.
(١١) جامعة قطر – الدوحة.
(١٢) مكتب الأردن للمعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان.
(١٣) جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية – عمان.
(١٤) الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.
(١٥) المجمع العلمي العراقي – بغداد.
(١٦) كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي.
(١٧) جامعة اليرموك – أربد.

- **شارك في صياغة مناهج التاريخ لعدد من الجامعات منها :**

(١)جامعة العلوم والتكنولوجيا – صنعاء.
(٢)الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.
(٣)المعهد الأوربي للدراسات الإنسانية – فرنسا.

- **أنجز العديد من المواد العلمية في التاريخ والحضارة والفكر والأدب للموسوعات العربية والإسلامية ومنها :**

(١)موسوعة دار الشروق – القاهرة (٤٠ مادة).
(٢)الموسوعة العلمية المتطورة – مدريد (١٠ مواد).
(٣)موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية – القاهرة (٣٥ مادة).
(٤)موسوعة مؤسسة الوقف التركية – إسطنبول (مادة واحدة).
(٥)الموسوعة الدينية – بيروت (٦ مواد).

- **شارك في عضوية اللجان الاستشارية لهيئات تحرير عدد من المجلات العلمية والفكرية المحكمة ومنها :**

(١) مجلة المسلم المعاصر – مصر.
(٢) مجلة الإنسان المعاصر – لبنان.
(٣) مجلة المنعطف – المغرب.
(٤) مجلة إسلامية المعرفة – ماليزيا.
(٥) مجلة الدراسات الإسلامية – الباكستان.
(٦) مجلة التاريخ الإسلامي – الهند.
(٧) مجلة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية – الإمارات العربية المتحدة.
(٨) مجلة النور – تركيا.
(٩) مجلة كلية العلوم الإسلامية لجامعة الموصل – العراق.
(١٠) مجلة كلية التربية الأساسية – العراق.

- أشرف على العديد من طلبة الماجستير والدكتوراه في التاريخ الإسلامي.
- كتب عن أعماله عدد من رسائل الدبلوم والماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات العربية.
- ترجمت بعض مؤلفاته إلى عدد من اللغات وبخاصة الإنكليزية والفرنسية والتركية والفارسية والكردية والاندونيسية.
- نشر عشرات البحوث في العديد من المجلات العلمية والأكاديمية والمحكمة ومنها : سومر (بغداد) ، المؤرخ العربي (بغداد) ، المورد (بغداد) ، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ، آداب الرافدين (الموصل) ، المسلم المعاصر (القاهرة) ، إسلامية

المعرفة (ماليزيا) ، التجديد (ماليزيا) ، العلم والايمان (الخرطوم) ، مجلة جامعة أم القرى (مكة المكرمة) ، المنعطف (المغرب) ، الإنسان (باريس) ، الدراسات الإسلامية (باكستان) ، مجلة التاريخ الإسلامي (الهند) ، آفاق الثقافة والتراث (الإمارات العربية المتحدة) ، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية (الدوحة) ، عالم الفكر (الكويت) ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية (الدوحة) ، الآفاق (عمان).

- نشر مئات المقالات والبحوث الثقافية والأعمال الأدبية (دراسة وتنظيراً ونقداً وإبداعاً) فيما يقارب السبعين مجلة وصحيفة عربية وإسلامية.
- اختير عضواً في مجلس جامعة صلاح الدين – أربيل ، العراق (١٩٨٩-١٩٩١) ومجلس جامعة الموصل – العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٥) ممثلاً عن التدريسيين.
- حصل على العديد من التقييمات من دوائر وجامعات ومؤسسات شتى كان من بينها حصوله على جائزة الدولة التقديرية لرئاسة دولة السودان عام (٢٠٠٥م) ، وجائزة جامعة الزرقاء الأهلية لأفضل كتاب عن عام (٢٠٠٣م) ، واعتباره الأستاذ الأوّل في جامعة صلاح الدين – أربيل – العراق – عن عام (١٩٨٩م). كما قيمّ كتابه (مدخل إلى الحضارة الإسلامية) من قبل مؤسسة ارامكس ميديا واحداً من أفضل عشرة كتب في العالم لعام (٢٠٠٥م).
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- متزوج منذ عام (١٩٧٢م) وله ولد وابنتان وهواياته تنصب على المطالعة والرياضة.

قائمة بالأعمال الكاملة للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل
وفق تصنيفها الموضوعي
أولاً : الأعمال التاريخية

محور : <u>المنهج والفلسفة :</u>

١- التفسير الإسلامي للتاريخ (٥ طبعات) (دار العلم للملايين – بيروت).
٢- حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٣- ابن خلدون إسلامياً (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٤- في التاريخ الإسلامي :فصول في المنهج والتحليل (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٥- المستشرقون والسيرة النبوية : بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٦- دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية (بالاشتراك مع المهندس حسن الرزو) (طبعة واحدة) (دار الرازي – عمان).
٧- المنظور التاريخي في فكر سيد قطب (طبعتان) (دار القلم – بيروت).
٨- التاريخ والسنن التاريخية في كتابات النورسي (قيد النشر).
٩- مدخل إلى التاريخ الإسلامي (التأصيل الإسلامي للتاريخ) (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي – الرباط).
١٠- مدخل إلى الحضارة الإسلامية (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي – الرباط).

محور : <u>السيرة والتراجم :</u>

١١- دراسة في السيرة (١٨ طبعة) (دار النفائس – بيروت).
١٢- كتابات معاصرة في السيرة النبوية (طبعة واحدة) (دار وائل – عمان).
١٣- ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٤- عماد الدين زنكي (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٥- نور الدين محمود : الرجل وتجربته الإسلامية (٣ طبعات) (دار القلم – بيروت).

محور : <u>البحوث والدراسات :</u>

١٦- دراسات تاريخية (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

١٧- المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي : عصر ولاة السلاجقة في الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

١٨- الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام : أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر (طبعة واحدة) (مؤسسة الرسالة – بيروت).

١٩- الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين (طبعة واحدة) (دار الفكر – دمشق).

٢٠- خطوات في تراث الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

٢١- محاضرات في التاريخ والحضارة الإسلامية (قيد النشر).

محور : <u>قضايا في التاريخ المعاصر :</u>

٢٢- ملامح مأساتنا في إفريقيا (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٣- لعبة اليمين واليسار (٥ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٤- أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٥- مقالات إسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٦- الرؤية الآن : في هموم فلسطين والعالم الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٧- أولى ملاحم القرن (طبعة واحدة) (مؤسسة الرسالة – بيروت).

٢٨- مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (طبعة واحدة) (دار الفكر – دمشق).

٢٩- أمريكا مرةً أخرى (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).

ثانياً : الأعمال الفكرية

محور : <u>المنظور الإسلامي للمعرفة :</u>

١- أصول تشكيل العقل المسلم (حول إعادة تشكيل العقل المسلم) (٥ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٢- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٣- العلم في مواجهة المادية (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٤- مدخل إلى إسلامية المعرفة (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٥- تهافت العلمانية (٧ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

محور : <u>المنظور الغربي للإسلام :</u>

٦- قالوا عن الإسلام (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٧- القرآن الكريم من منظور غربي (طبعتان) (دار الفرقان – عمان).
٨- المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي (طبعتان) (دار الفرقان – عمان).
٩- الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٠- نظرة الغرب إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم (طبعة واحدة) (دار النفائس – بيروت).
١١- غربيون يتحدثون عن الإسلام (طبعة واحدة) (دار السلام – القاهرة).

محور : <u>البحوث والدراسات :</u>

١٢- مع القرآن في عالمه الرحيب (٣ طبعات) (دار العلم للملايين – بيروت).
١٣- حوار في المعمار الكوني : وقضايا إسلامية معاصرة (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٤- رؤية إسلامية في قضايا معاصرة (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٥- مقال في العدل الاجتماعي (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٦- متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة (طبعة واحدة) (دار الحكمة – لندن).
١٧- كتابات على بوابة المستقبل (بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٨- الله أو الطاغوت : مسائل أساسية في التصوّر الإسلامي (طبعة واحدة) (دار السلام – القاهرة).
١٩- رحلة في عالم الكتاب الإسلامي (طبعة واحدة).
٢٠- محاضرات إسلامية (قيد النشر).
٢١- أخطاء في حياتنا الإسلامية (قيد النشر).
٢٢- دراسات قرآنية (قيد النشر).

محور : <u>المقالات الإسلامية :</u>

٢٣- آفاق قرآنية (٣ طبعات) (دار العلم للملايين – بيروت).
٢٤- مؤشرات إسلامية في زمن السرعة (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٢٥- في الرؤية الإسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٢٦- في دائرة الضوء (طبعة واحدة) (دار السلام – القاهرة).
٢٧- من النافذة الإسلامية (طبعة واحدة) (دار السلام – القاهرة).
٢٨- العالم ينتظر البديل (طبعة وحدة).
٢٩- آيات قرآنية تطل على العصر (قيد النشر).
٣٠- أحاديث نبوية تطل على العصر (قيد النشر).

ثالثاً : الأعمال الأدبية

محور : <u>الدراسات الأدبية والفنية :</u>

١- الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٢- فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٣- الفن والعقيدة (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٤- قراءة في كتابات النورسي : رؤية جمالية (الكلمات) (طبعة واحدة) (دار سوزلر – القاهرة).

محور : <u>التنظير :</u>

٥- في النقد الإسلامي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٦- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٧- حول ستراتيجية الأدب الإسلامي (الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي) (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٨- متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).
٩- من يوميات الأدب الإسلامي (قيد النشر).

محور : <u>النقد التطبيقي :</u>

١٠- محاولات جديدة في النقد الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١١- في النقد التطبيقي (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٢- في النقد التطبيقي الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).

محور : <u>الإبداع :</u>

<u>المسرحيات :</u>

١٣- المأسورون (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
١٤- الشمس والدنس (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٥- المغول (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٦- الهمّ الكبير (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).
١٧- التحقيق (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).
١٨- معجزة في الضفة الغربية (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
١٩- خمس مسرحيات إسلامية ذات فصل واحد (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٢٠- العبور (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

<u>الروايات :</u>

٢١- الاعصار والمئذنة (٤ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).
٢٢- السيف والكلمة (طبعة واحدة) (المركز الثقافي العربي – الرباط).
٢٣- مذكرات جندي في جيش الرسول (صلى الله عليه وسلم) (طبعة واحدة) (دار وائل – عمان).

<u>القصص :</u>

٢٤- كلمة الله (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).
٢٥- رحلة الصعود التي لا نهاية لها (طبعة واحدة) (دار ابن كثير – بيروت).

الشعر :

٢٦- جداول الحب واليقين (٣ طبعات) (دار ابن كثير – بيروت).

٢٧- ابتهالات في زمن الغربة (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

أدب الرحلات :

٢٨- من أدب الرحلات (طبعتان) (دار ابن كثير – بيروت).

أدب الحوار :

٢٩- ريبورتاج : حوار في الهموم الإسلامية (طبعة واحدة) (دار الحكمة – لندن).

٣٠- الطريق إلى فلسطين (طبعة واحدة) (دار وائل – عمان).

٣١- لقاءات صحفية (طبعة واحدة) (دار السلام – القاهرة).

السيرة الذاتية :

٣٢- السيرة الذاتية :

لا إله إلا أنت (سيرة ذاتية) (قيد التأليف).

الفهرست

رحلتي مع كتاب الله .....
يا حسرة على العباد .....
الغيب يخترق المنظور .....
حول معجزة الإمطار .....
مستويات الخطاب الإلهي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .....
الطاغوت وتوقيت العقاب الإلهي .....
حول النبوءات المستقبلية .....
شيء عن اليهود في كتاب الله .....
الحياة التي يريدها كتاب الله .....
رحلة مع الصوت في كتاب الله .....
من هم العلميون ؟ .....
حول ثنائية الخطاب القرآني .....
دين التحرير .....
دين الكادحين .....
حول النشاط العمراني في كتاب الله .....
الفرح الكوني .....
كتب للمؤلف .....
الفهرست .....